الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليـــم العالـــي والبحث العلمي

جامعة العربي التبســي - تبسة

جامعة العربي التبسي – تبســـــــة
LARBI TEBESSI – TEBESSA UNIVERSITY

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
UNIVERSITE LARBI TEBESSI – TEBESSA-

قسم: التاريخ والآثار

الميدان: علوم إنسانية وإجتماعية

الشعبة: علوم انسانية

التخصص: تاريخ معاصر

العنوان:

البعثات التبشيرية الفرنسية في بلاد الشام وتأثيرها على الدولة العثمانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر " ل.م.د "

دفعـــــــــــة: 2018

إعداد الطالبتان :

- حفصة مسعي
- منية علالة

إشراف الدكتور:

صالح عسول

لجنـــــة المناقشـــــة:

الاسم واللقـــــب	الرتبـــــــة العلميـــــــة	الصفـــــــــة
حفظ الله بوبكر	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
صالح عسول	أستاذ محاضر –ب–	مشرفا ومقررا
نجاة بورنان	أستاذ مساعد –أ–	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة العربي التبسي- تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

تعهد

أنا الموقع أسفله

الطالب (ة): مسعودي جمعة .....

صاحب بطاقة التعريف الوطني رقم: 27287186 الصادرة بتاريخ: 26/01/2009

والمكلف بإنجاز مذكرة تخرج ماستر في التاريخ المعاصر.

المعنونة بـ :

البعثات التبشيرية الدومنيكية في بلاد الشام وتأثيرها على الولايات العثمانية .....

.....

أتعهد أنني التزمت بمراعاة كافة معايير الأمانة العلمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه، وفي حالة مخالفتي لذلك أتحمل جميع التبعات القانونية.

تبسة في : 24/04/2018.

إمضاء وبصمة الطالب

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة العربي التبسي- تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

تعهد

أنا الموقع أسفله

الطالب (ة): ..... علالة منيرة .....

صاحب بطاقة التعريف الوطني رقم: ..... 49.40.82 ..... الصادرة بتاريخ: ..... 2010/05/02 .....

والمكلف بإنجاز مذكرة تخرج ماستر في التاريخ المعاصر.

المعنونة بـ :

..... البعثات التبشيرية الى مشيخة في بلاد الشام وتأثيرها على .....

..... الدولة العثمانية .....

أتعهد أنني التزمت بمراعاة كافة معايير الأمانة العلمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه، وفي حالة مخالفتي لذلك أتحمل جميع التبعات القانونية.

تبسة في : 24/04/ 2018.

إمضاء وبصمة الطالب

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
و بتفويض منه رئيس مكتب الحالة المدنية
السيد : عياد أحسن

شكر

أولا اشكر المولى عز وجل الذي رزقنا العقل وحسن التوكل عليه فالحمد لله

إلى من بلغ الرسالة وادى الأمانة ونصح الأمة ،إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

لابد لنا و نحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام فمن أي أبواب الثناء سندخل وبأي أبيات القصيدة نعبر تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظم عقد الشكر لكل من قدم ويقدم ولكل من ساهم ويساهم ولكل من يطمع إن يرتقي بالشبكة وأغصانها يا من كان لهم السبق في ركب العلم والتعليم للذين بذلوا لكثير ومازالوا يبذلون ويعطون بلا كلل أو ملل نهديكم عطر الورد وعبارات الشكر والتقدير أتقدم بخالص الشكر الجزيل والعرفان بالجميل لمن اختصنا بالنصح وتفضل علينا بقبول الإشراف على رسالة الماستر استأذنا ومعلمنا الدكتور المشرف غسول صالح للنجاح أناس يقدرون معناه وللإبداع ناس يحصدونه لذا نقدر جهودك المضنية فانت اهل للشكر والتقدير فوجب علينا تقديرك فلك منا كل الثناء والتقدير الاستاذ الدكتور عبد الحمان بن عطا الله ولو اني أوتيت كل بلاغة وأوفيت بحر النطق في النظم والنثر لما كنت بعد القول مقصرا ومعترفا بالعجز عن واجب الشكر إلى الأستاذ الدكتور احمد شنتي لك منا جزيل الشكر والامتنان على عطائك الدائم ولا يفوتنا أن نشكر الأستاذ سليمان بن رابح مهما قلنا عن فضلكم ومهما ذكرت عبارات بالطبع لن توفيكم حقا ونخص بالشكر من قدم لنا يد العون احتانا في الله سلمان حورية وسلمان سمية ان قلت شكرا فان شكري لن يوفيكما حقا سعيتم فكان السعي مشكورا كمانشكر مسؤول مكتبة الحمامات عبادلية الهادي شكرا على جميلك الكبير نتقدم بأسمى عبارات الشكر لمن ساعدنا على إتمام هذا البحث وسهر على إعداده العم سنوسي ابراهيم

إلى هذا الصرح العلمي الفتي الجبار جامعة العربي التبسي –تبسة

هل يستطيع احد إن يشكر الشمس لأنها أضاءت الدنيا لكن سنحاول رد جزء من جميلكم بان نكون كما أردتمونا إنسانية قبل مهنية .

قد حررنا هذه السطور بلسان الإمكان لابقلم التبيان سائلين المولى عز وجل أن يجعلنا وإياكم من أهل القران وان يرزقنا وإياكم الفردوس الأعلى من الجنان وصدق قول الله (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)

قائمة المختصرات

تحقيق	تح
ترجمة	تر
تعريب	تع
الجزء	ج
المجلد	مج
دون مكان	دم
دون دار نشر	د.د.ن
الصفحة	ص
مراجعة	مرا
من الصفحة الى الصفحة	ص ص
ميلادي	م
الهجري	ه

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
فهرس المحتويات .	
قائمة المختصرات.	
.مقدمة .	أ-ز
مدخل: لمحة تاريخية وجغرافية لبلاد الشام.	08
1/ جغرافية بلاد الشام.	09
2/ التوسع العثماني في المنطقة.	11
3/ أوضاع الشام في القرن التاسع عشر (19)م..	16
الفصل الأول: ظهور التبشير الفرنسي في بلاد الشام وعوامل انتشاره	19
المبحث الأول: ماهية التبشير.	20
1/مفهوم التبشير وجذوره.	20
2/دوافعه واهدافه في بلاد الشام .	24
المبحث الثاني وسائله.	32
1/الخدمات التعليمية .	32
2/الخدمات الطبية.	33
3/الوسائل الإعلامية .	33
4/إنشاء المكتبات النشرية لبيع الكتب .	33
5/استغلال الأعمال الاجتماعية في التبشير .	34
6/التغلغل في المجتمعات الصناعية الإسلامية .	34
المبحث الثالث : العوامل المساندة على انتشار التبشير في المنطقة .	35
1/الامتيازات الفرنسية .	35
2/التواجد الاروبي بالمنطقة .	43
3/أثر الحكم المصري في بلاد الشام.	46
4/الإصلاحات العثمانية في الشام.	49
الفصل الثاني: النشاط التبشيري الفرنسي في بلاد الشام.	57
المبحث الأول: سوريا.	58

1/المؤسسات التعليمية .	58
2/النشاط الديني .	61
3/الجانب الثقافي.	62
4/المجالات الطبية .	64
5/الأنشطة التجارية.	65
المبحث الثاني: لبنان.	66
1/المؤسسات التعليمية .	66
2/النشاط الديني .	72
3/النشاطات الثقافية.	73
4/المرافق الاجتماعية.	76
5/النشاط الاقتصادي.	77
المبحث الثالث: فلسطين وإمارة نهر شرق الأردن.	78
1/المؤسسات التعليمية .	78
2/النشاط الديني .	80
3/ المستشفيات	80
4/النشاطات الثقافية.	81
الفصل الثالث: تأثير البعثات التبشيرية الفرنسية على بلاد الشام .	83
المبحث الأول: إثارة الفتن و النزاعات الطائفية.	84
1/التنافس الطائفي.	84
2/ثورة 1840 -.1841	88
3/ثورة الدروز والموارنة 1860.	90
المبحث الثاني: النهضة الأدبية والفكرية	94
1/ابرز روادها.	95
2/مظاهرها.	100
المبحث الثالث: القومية العربية.	105
1/مفهومها.	105

2/الجمعيات العلنية والسرية .	106
المبحث الرابع:الثورة العربية .1916	114
1/أسبابها.	114
2/مراسلات الشريف حسين ماكماهون .	117
3/الحركة العربية بقيادة الحسين بن علي.	120
4/اعلان الثورة العربية على الدولة العثمانية ضمن التحالف العربي البريطاني .	121
5/نتائجها.	123
خاتمة.	127
الملاحق.	133
قائمة المصادر والمراجع.	151

مقدمة

التعريف بالموضوع وأهميته:

تعد البعثات التبشيرية الفرنسية الوافدة إلى بلاد الشام من أهم المظاهر التي شهدتها المنطقة من خلال تدخلها في شؤون الدولة العثمانية، ويعتبر العامل الأهم في عملهم هو ارتباطاتهم الخارجية بالفاتيكان وبفرنسا التي تعتبر نفسها حامية للكاثوليك في العالم.

وتكمن أهمية بلاد الشام بالنسبة للمبشرين في كونها مهبط للديانات ووجود المقدسات الدينية بها ومن أهمها بيت المقدس لذلك فإن الشام تعد قلبا نابضا للعالم الديني وبخاصة الإسلامي، وبذلك أصبحت محط أنظار المبشرين.

ونتيجة لضعف السلاطين العثمانيين وتساهلهم في الحفاظ على ممتلكات وحدود الدولة ووحدتها هيأ الجو للعناصر المعادية لأن تعمل في السر والعلانية لغزوها فكريا وعسكريا فكثرت البعثات التبشيرية عامة والفرنسية خاصة في بلاد الشام محاولة تغيير المفاهيم الإسلامية، ولأن أطماع الدول الغربية لم تكن خافية على المسلمين وكان التدخل الأوربي فيها هو الذي فتح المجال لدخول هذه البعثات التبشيرية بحصولها على الامتيازات وطلب حماية الطوائف المسيحية هناك.

وكانت فرنسا أسبق الدول الأوروبية في التفكير بإيجاد ركيزة سياسية لها على أرض الشام عن طريق التبشير الكاثوليكي ورعايتها له، وركزت جهدها على النشاط التبشيري فالتبشير عند الفرنسيين لا يعني الدعوة إلى النصرانية بقدر ما يعني تحقيق مكاسب سياسية واستغلال كل ظرف طارئ لتكون الشام أرضا فرنسية، ومن هذا المنطلق كانت فرنسا تبني علاقاتها مع الدولة العثمانية وتمارس الضغوط عليها وتحرك عملائها لتحقيق مطامعها.

ووثقت البعثات الفرنسية علاقاتها الدينية والفكرية والسياسية في بداية أمرها مع مختلف الطوائف، وكثفت نشاطها الذي رعته الكنيسة الكاثوليكية منذ أوائل القرن التاسع عشر ميلادي، ويظهر أن التبشير في بلاد الشام قد نمى وترعرع خلال هذا القرن، فالبعثات التبشيرية الفرنسية التي استمر عملها في بلاد الشام بتداخل مميز وبارع بين التبشير والتعليم

ارتبط نشاطها في الوقت نفسه وفي فترات متلاحقة بسياسات الدول الاستعمارية أي أنها انتقلت من إطار توجهات الكنيسة إلى فلك النفوذ الفرنسي وسياساته لغرس لغته وثقافته واتخذت البعثات التبشيرية ثوبا غير ثوبها ورداءا غير ردائها ووجها غير وجهها.

ولهذا فإن التبشير الفرنسي نشاط تمت حياكته ببطء وتمهل وتأني متين ليجسد ذلك الترابط بين السياسي والثقافي والديني الذي برعت فيه الإرساليات الفرنسية وقطفت ثمار غرسته خلال فترة طويلة من الزمن.

أهميته: تكمن أهمية هذا الموضوع في إبراز الدور الخطير للبعثات التبشيرية، فالتبشير الفرنسي في بلاد الشام له أهدافه وبرامجه التي تجري داخل المجتمع العربي والإسلامي وخطورته تتمثل في كونه يمارس على أبناء المسلمين ومحاولة تحويلهم عن وطنيتهم وتشكيكهم في ديانتهم.

أسباب اختيار الموضوع: لقد تضافرت مجموعة من الأسباب دفعتنا لاختيار هذا الموضوع نذكر منها:

- **الأسباب الذاتية:**

– خوض غمار البحث في تاريخ المشرق المعاصر كون أن المواضيع المشرقية تستهوينا، وظلت هذه الفكرة تراودنا منذ مرحلة الليسانس.

– الرغبة الجامحة في دراسة تاريخ بلاد الشام.

- **الأسباب الموضوعية:** ظهرت دراسات عدة تبنت البحث في ثنايا التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام، لكن مجال التبشير الفرنسي في المنطقة لم يحظى بدراسات توازي أهمية هذا الموضوع ومن هنا جاءت هذه الدراسة التاريخية بهدف التعرف على البعثات التبشيرية الفرنسية التي توالت على بلاد الشام والتي رسمت فيها ملامح التطور الفكري.

- محاولة المبشرين خداع الناس بمزاولة نشاطهم تحت مسميات مختلفة فكان لزاما أن يوضح ذلك للقارئين.
- خطورة التبشير في الماضي واستمرارية تأثيره على واقعنا الإسلامي.
- شيوع فشل التبشير حتى أصبح كثير من المسلمين يصدق هذا الأمر ويقلل من خطورته.
- إبراز الظروف التي دعت الدولة العثمانية في التساهل مع المبشرين.
- التأثير الفرنسي في حركة التبشير الذي كان له أثر واضح في رسم السياسة العثمانية والذي ساعد كثيرا في جذب الأجيال نحو الغرب.

- **الإطار الزماني والمكاني:**

ولضبط الموضوع زمنيا تم تحديد الفترة منذ تزايد النشاط التبشيري الفرنسي مطلع القرن 19م، إذ شهدت هذه الفترة نمو واتساع عمل البعثات التبشيرية ووصلت هذه النشاطات ذروتها بقيام الثورة العربية على الدولة العثمانية سنة 1916م.

ومن هنا يمكن طرح **الإشكالية** التالية:

كيف أثرت البعثات التبشيرية الفرنسية على الدولة العثمانية؟ وما مظاهر ذلك؟

كما أدرجنا ضمن هذه الإشكالية المطروحة عدة تساؤلات فرعية وذلك للإلمام بالموضوع:

- ما مفهوم التبشير؟ وما هي دوافعه؟
- ما الوسائل التي استخدمها المبشرون لتحقيق أهدافهم؟
- ما هي أبرز العوامل التي ساهمت في انتشار التبشير الفرنسي في بلاد الشام؟
- كيف سمح العثمانيون لإرساليات التبشير الفرنسي أن تبث سمومها في الأراضي الشامية؟
- فيما تجلت أهم النشاطات التبشيرية الفرنسية في الشام؟
- كيف ساهمت فرنسا في إثارة الفتن الطائفية ضد الدولة العثمانية؟
- ما الداعي لإيجاد النهضة الفكرية وإثارة القومية العربية؟

وللإجابة على الإشكالية المطروحة ارتأينا لوضع خطة مكونة من:

- مقدمة

- **مدخل:** اشرنا فيه الى دراسة جغرافية بلاد الشام، والتوسع العثماني فيها، كما تم فيه استعراض الأوضاع العامة لبلاد الشام خلال القرن التاسع عشر (19) م.

- **الفصل الأول اشرنا فيه الى ظهور التبشير الفرنسي في بلاد الشام وعوامل انتشاره،** يتضمن مفهوم التبشير وما تبعه من أهداف ووسائل وجذوره والتي يمكن اعتبار البعثة الكاثوليكية الأقدم في النشاط التبشيري في منطقة الشام إذ يعود نشاطها إلى مطلع القرن السابع عشر ميلادي، إذ تميز هذا النشاط بالتقطع إلا أنه استمر خاصة في بدايات القرن (19)م، ثم بيان أهم العوامل التي ساعدت في انتشاره بداية بموضوع الامتيازات العثمانية الفرنسية لكونها تمثل بداية استحواذ الفرنسيين بحقوق داخل الدولة العثمانية والتي ساهمت بأن يصبح لفرنسا نفوذ قوي في الدولة العثمانية والتي تزايدت مع مرور الزمن حتى أصبحت فرنسا هي صاحبة الحق في حماية الطوائف الكاثوليكية، وكان سفرائها وقناصلها يتدخلون عند الباب العالي دفاعا عن طوائفهم، واستغلت فرنسا امتيازاتها أبشع استغلال راحت تخطط لاسترجاع الأماكن المقدسة، وساهمت هذه الامتيازات في تراجع الدولة العثمانية وضعفها وزيادة الوجود الأوروبي في الشام ثم الحكم المصري لها، وفيه تمكنت الحكومة الفرنسية من تحديث مناهجها خاصة في المجال التعليمي وبالرغم من انتهاء الحكم المصري عام 1840م إلا أنها تركت في البلاد حافزا قويا للحكومة العثمانية بعد عودة الحكم العثماني إليها والسير على ركب الإصلاح واتخاذ مجموعة من التدابير الخاصة بالإصلاحات والتي كانت في نظرهم هي الحل لمشكلات الدولة العثمانية من خلال تقليد الفكر الغربي.

- **الفصل الثاني خصصناه للحديث عن النشاط التبشيري الفرنسي في بلاد الشام:** تطرقنا فيه الى مختلف أنشطة البعثات الفرنسية في كل من سوريا ولبنان وفلسطين وصولا إلى إمارة نهر شرق الأردن، ولقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر مرحلة خطيرة ذلك أن الدولة العثمانية كانت سائرة في طريق التدهور والانحدار، كما شهدت تلك المرحلة بداية

انتقال المفاهيم والمصطلحات الغربية إلى العالم الإسلامي، فالمبشرون الفرنسيون استطاعوا معرفة اختيار الأسلوب المقنع في نقل أفكارهم وكانوا بذلك أعمق في التأثير من أي دولة أوروبية أخرى، حيث قامت البعثات الكاثوليكية في نشر التعليم الفرنسي، فأساس العمل التبشيري يقوم على نشر المدارس ويعتبر اليسوعيون أكثر هذه البعثات عزيمة في ميدان التعليم، ثم وسعت البعثات الفرنسية نشاطها لتضم جميع الميادين الدينية والثقافية ... وغيرها.

- **الفصل الثالث:** يتمحور حول تأثير البعثات الفرنسية على الدولة العثمانية:

يتناول في البداية كيف سعى المبشرون الفرنسيون إلى نشر أفكار ومبادئ هدامة مخربة ونشرها بين مختلف سكان بلاد الشام كي تؤتى ثمارها وتزرع الفرقة والتنافس بين سكان الدولة العثمانية ولا شك أن تزايد الأنشطة الفرنسية قد زادت من قلق العرب المسلمين الذين أدركوا خطورة هذا الغزو الثقافي والذي أحدث لهم رد فعل قوي بداية بالنهضة الفكرية العربية ومدى أهميتها في تشكيل الوعي النهضوي العربي والحقيقة أن النهضة العربية مثلت الإطار الفكري الذي تنامى فيه الوعي القومي العربي والتي ساهمت على اختلاف اهتماماتها في تفتح الأذهان ونشر الوعي الأدبي والعلمي.

ثم تطرقنا إلى دراسة القومية العربية والتى تمثلت في ظهور الجمعيات والأحزاب التي أسهمت بتشكيل تيار عروبي أخذ على عاتقه المطالبة باستقلال العرب عن الدولة العثمانية والذي بدأ

بظهور الجمعيات العربية والسرية والعلنية في الوطن العربي مع بيان برامجها والتي تشكلت فيما بعد الحركة القومية العربية ورسمت عبر مسيرتها التي أخذت بالظهور في الثلث الأخير من ق 19م طموحات الشعب العربي في التحرر وتطالب بحقوق العرب القومية.

وفي ختام هذا الفصل تحدثنا عن الثورة العربية 1916م بقيادة الشريف حسين ضد الدولة العثمانية.

– وخاتمة تتضمن حوصلة للنتائج المتوصل إليها، بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق التي تضمنت وثائق وصور وخرائط لإبراز الوجه الكامل للموضوع.

– **المناهج المستخدمة:** ولمعالجة موضوعنا تم الاعتماد على:

– المنهج التاريخي السردي: وذلك لسرد الأحداث وربطها زمنيا ومكانيا.

– المنهج التاريخي التحليلي: الذي يسمح بتحليل النشاط التبشيري الذي قامت به البعثات الفرنسية ووضعها في صورة مختصرة ضمن إطار البحث.

– المنهج الإحصائي: اعتمدنا عليه في مختلف الأنشطة التبشيرية الفرنسية في بلاد الشام.

–الى جانب قائمة من المصادر والمراجع ارتأينا أنها تخدم الموضوع.

– **1– المصادر:** ولإثراء موضوعنا تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع المتخصصة وغير المتخصصة بالإضافة إلى مجموعة من المجلات والأطروحات والموسوعات.

- **كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية:** لمحمد فريد بك المحامي اعتمدنا عليه في قضية الامتيازات العثمانية الفرنسية والحملة الفرنسية على بلاد الشام لما يحتويه من معلومات هامة.
- **كتاب يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية** للمؤلف جورج أنطونيوس: ويعتبر من المصادر المهمة حيث تحدث عن النشاط الكاثوليكي في المنطقة، كذلك النهضة الفكرية العربية والذي يعتبر أهم روادها، وتم الاعتماد على هذا الكتاب في الفصلين الثالث والرابع.

2– المراجع:

- **العلاقات العثمانية الأوربية في القرن السادس عشر:** للكاتب إدريس الناصر الرائسي، يوضح هذا الكتاب بداية ارتباط العثمانيين مع الفرنسيين في الامتيازات.
- **التبشير والاستعمار في البلاد العربية** لمصطفى خالدي وعمر فروخ، يدرس بواعث التبشير وميادينه.

- **الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر** لليلى الصباغ
- **المؤامرة الكبرى على بلاد الشام:** دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين: إعداد محمد فاروق الخالدي.
- **صحوة الرجل المريض:** موفق بني المرجة، وضفناه في الفصل الثالث.
- **البعثات اليسوعية مهمة إعداد النخب السياسية في لبنان** لطلال عتريسي قدم لنا هذا الكتاب معلومات مهمة عن البعثات اليسوعية ونشاطها خاصة في لبنان.

3- المجلات:

- الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني (1876- 1918) لمحمد أحمد: تساهم هذه المجلة في إلقاء الضوء على الحياة الثقافية والفكرية في دمشق أواخر العهد العثماني.

4- **أطروحات الدكتوراه:**

دور السفراء العثمانيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية 1203- **1327هـ/1788- 1909م، أطروحة دكتوراه لفردوس بنت حافظ محمد جمال الدين.**

- **الصعوبات:** لا شك أن أي بحث لابد أن تقابله بعض الصعوبات والعراقيل التي تظهر أثناء جمع المادة ولكن بتوفيق من الله تعالى يستطيع الطالب أن يجتازها، ومن الصعوبات التي واجهتنا:

- تشابه المادة العلمية.

صعوبة التعامل مع المراجع الإلكترونية عكس المراجع الورقية.

مدخل: لمحة تاريخية وجغرافية لبلاد الشام

1/ جغرافية بلاد الشام.

2/ التوسع العثماني في المنطقة.

3/ أوضاع الشام في القرن التاسع عشر (19)م

تتربع بلاد الشام على مساحة شاسعة وهذا ما جعلها محط أطماع داخلية وخارجية في الوقت ذاته ظهرت الدولة العثمانية كدولة إسلامية كبرى، واعتبرت نفسها حامية الديار الإسلامية من كل الأخطار، إذ زحفت نحو بلاد الشام للحد من الأطماع التي تهدد أرضه، ولقد شهدت بلاد الشام تحت الحكم العثماني استقرارا سياسيا وازدهارا اقتصاديا وأصبح للدولة العثمانية علاقات مع الدول الأوربية وحصلت بموجبها هذه الدول على امتيازات يمكن أن نقول أنها بداية التواجد الأوربي في المنطقة فضلا عن الحكم المصري الذي ساهم في توافد العناصر الأجنبية التبشيرية وتعدد الطوائف الدينية نتيجة لإصلاحات الدولة العثمانية في بلاد الشام.

1/ جغرافية بلاد الشام:

أ- **الموقع الجغرافي:** تقع بلاد الشام شمال الجزيرة العربية تحدها جبال "طوروس" شمالا[1] وصحراء سيناء وخليج العقبة جنوبا[2] والبحر الأبيض المتوسط غربا وبادية الشام شرقا[3]، ويذكر الرحالة القزويني (1203- 1283) الموقع الجغرافي لبلاد الشام بقوله: "الشام هي من الفرات طولا، ومن جبلي طيء إلى بحر الروم عرضا... والشام هي الأرض المقدسة التي جعلها الله منزل الأنبياء ومهبط الوحي ومحل الأنبياء والأولياء هواءها طيب وماؤها عذب، وأهلها أحسن الناس خَلقا وخُلقا وزيًا وريًا، وبها جبل السماق، وهو جبل عظيم من أعمال حلب... وبها طور سينا بين الشام ووادي القريتين بقرب مَدْيَن... (وبها) طور هارون من قبلي بيت المقدس... وبها جبل لبنان وهو مطل على حمص... يأوي إليه الأبدال، لا يخلو عندهم أبدا لما فيه من القوت الحلال."[4]

---

[1] - أحمد طربين: تاريخ المشرق العربي المعاصر، ط1، د د ن، دمشق، 1986، ص 335.

[2]- جهان بنت ابراهيم شار علي عبد الرحيم: الآثار السياسية والحضارية للإنتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام، 1342- 1359هـ / 1924- 1939، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2011، ص 02.

[3]- أحمد طربين:المرجع السابق، ص 335.

[4]- ثروت الحنكاوي اللهيبي: الأطماع الأجنبية في بلاد الشام سورية تحت الانتداب الفرنسي نموذجا1920- 1946، ط1، دار دجلة، الأردن، 2014، ص 26.

ب- الموقع الفلكي: تقع سوريا في الجنوب الغربي من قارة آسيا، تشرف على البحر المتوسط بواجهة بحرية طولها حوالي (200) كلم... وهي تمتد شمالا حتى تلامس العرض الجغرافي الشمالي (37 درجة و20 دقيقة) وجنوبا حتى تصل إلى العرض الجغرافي الشمالي (32 درجة و19 دقيقة)، كما أنها محصورة بين خطي طول (35 درجة و43 دقيقة) و(42 درجة و25 دقيقة) شرقي خط طول غرينيتش، وهكذا فهي تشغل موقعا فلكيا من العالم يدخلها ضمن نطاق مناخ الشريط الجنوبي للمنطقة المعتدلة فهي النصف الشمالي من الكرة الأرضية[1]

ج- أصل التسمية: الشأم والشام والشآم هو إسم لقطر عربي [2]، وقد أعطى العرب لهذه البلاد إسم (الشام) لوقوعها إلى اليسار من الحجاز[3] أما إسم سوريا فهو عربي إستعمله البابليون[4]، وأطلقوه على الفرات الأعلى باسم (سوري) ويظهر هذا الإسم في الكتابات الأدبية المكتشفة بمدينة أوغاريت[5]، وسورية إسم غلب إطلاقه على القطر الشامي وقيل سبب التسمية أن اليونان لما فتحوا الشام رأو الآشوريين [6]يتولون أمره فسموه آشورية والفرس كانوا

6[1]- ثروت الحنكاوي اللهيبي: المرجع السابق، ص 25.

3 - محمد فاروق الخالدي: المؤامرة الكبرى عل بلاد الشام، دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين، ط1، دار الراوي، 2000م، ص 13.

[4]- محمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الأموي، دراسة سياسية إجتماعية، إقتصادية، فكرية، عسكرية، ط2، جوهرة الشام للنشر والتوزيع، سوريا، 1997، ص 28.

[4] - نسبة إلى مدينة بابل المشتقة من كلمتين (باب) و (أيلوه)أي باب الالاه وهم شعب سامي قدم من شبه الجزيرة العربية، انظر،عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسية، ج1، دار الهدى للنشر والتوزيع، لبنان، د.ت، ص235.

[5] - محمد اسماعيل علي: المرجع السابق: ص28 .

[6]- ينتسبون إلى منطقة آشور وهي المنطقة التي يحدها نهر دجلة من الشرق وتشرف على الصحراء في الجنوب والغرب واسم آشور منسوب إلى الإله الآشوري (آشور) وسميت العاصمة الأولى باسمه وهم من الأقوام السامية الذين كانوا في جزيرة العرب، انظر، عبد الوهاب الكيالي: المرجع السابق، ص 205.

يسمون العراق والجزيرة والشام سورستان إضافة إلى السريانيين الذين هم الكلدانيون[1] وتسميهم العرب النبط، وللغويين والجغرافيين في تسمية (شاما) آراء مختلفة فقيل سمي لتشاؤم بني كنعان إليه وقيل سمي باسم سام بن نوح لأنه نزل به واسمه بالسريانية (شام) وقيل سميت شاما لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فتشبهت بالشامات[2].

2/ التوسع العثماني في المنطقة:

لما تولى السلطان سليم الأول[3] الحكم، كانت الدولة العثمانية تعاني من الضعف والانحطاط من جراء الحروب التي خاضتها، حيث انصرف السلطان سليم الأول إلى تنظيم الجيش وتعزيزه وزحف به لمقاتلة الفرس وملكه شاه إسماعيل الشيعي، وكان السلطان سليم يطمح لفتح الديار الشامية والمصرية لما رأى ما آلى إليه هذان القطران في عهد المماليك من ضعف وانحطاط.[4]

وهناك جملة من الأسباب أدت إلى اتجاه الدولة العثمانية صوب المشرق العربي في أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي من أبرزها:

- شعور الدولة العثمانية بتراجع القوة المملوكية وأنها أمست غير قادرة على الوقوف في وجه التحديات الخارجية مثل الغزو البرتغالي في البحر الأحمر.[5]

---

[1]– هي القبائل العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية واستوطنت على ضفاف نهري دجلة والفرات في جنوب العراق وانصهرت تلك القبائل في بوتقة واحدة مع غيرها كالسومريين والأكاديين ويرى بعض المؤرخين أن أصل تسميتهم هو كالدي وقد يكون في العربية خالدي، انظر،عبد الوهاب الكيالي :ج5، المرجع السابق، ص 132.

[2]– محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 13.

[3]– هو ياوز بن با يزيد... تاسع سلاطين السلطنة العثمانية تولى السلطنة عندما خلع أباه با يزيد الثاني في (886هـ– 918هـ) وقتل إخوته وجمع سلطات الدولة في يده بدأ حكمه بقتل 40 ألفا من الصفويين والسلطان سليم هو الذي قاد أعظم فتوحات العثمانيين في العالمين الغربي والإسلامي، انظر،عبد الوهاب الكيالي:ج3،المرجع السابق:ص 254.

[4]– بولس مسعد: الدولة العثمانية في لبنان وسورية حكم أربعة قرون 1571– 1916، ط1، د.د.ن، د م، دت، ص ص 7،8.

[5]– بسام عبد السلام البطوش: الأردن وفلسطين نظرات في التاريخ المشترك، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 42.

- التشبع العسكري العثماني وأن الدولة العثمانية بلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر.
- الأحداث المحلية التي تدور وقتئذ في المشرق العربي أو حول أطرافه خاصة قيام الدولة الصفوية الشيعية في فارس بغزو العراق العراق ومحاولتها نشر المذهب الشيعي في المناطق المجاورة، مما أرغم العثمانيين على الخروج لحماية آسيا الصغرى خاصة والعالم السني عامة من الزحف الشيعي.[1]
- الخلافات الحدودية بين العثمانيين والمماليك.
- التنافس على زعامة العالم الإسلامي السني، فالدولة العثمانية لا تستطيع أن تعلن زعامتها للعالم الإسلامي إذ لم تتمكن من حكم البلاد العربية والحجاز في مقدمتها.
- استقبال كل طرف من العثمانيين والمماليك للمعارضة للطرف الآخر.[2]
- الأحداث العالمية التي وقعت حول أطراف العالم العربي سواءا الشرقية أو الغربية وتتمثل في زحف الاستعمار الأوروبي على العالم العربي وتصدي العثمانيين لهذا الزحف والمتمثلة في الاعتداءات الإسبانية والبرتغالية.[3]

تقدم الجيش العثماني عبر الأناضول في ربيع 1516 حتى أخذ المماليك في مصر يتساءلون عن وجهته، فهل كان السلطان العثماني يفكر في التقدم صوب أذربيجان[4] لمواجهة الصفويين؟ أو صوب سوريا لمواجهتهم هم؟ لهذا حرك السلطان الغوري جيشه الرئيسي عبر الفرات وجبال طوروس، برغم ما أكده السلطان سليم من أنه لا يضمر له شرا، وبالرغم من معارضة معظم كبار قادة المماليك لهذه الخطوة لأنهم كانوا يخشون إستفزاز سليم بالصورة

---

[1]– اسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، ص 26.

[2]– بسام عبد السلام البطوش: المرجع السابق، ص 42.

[3]– اسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،1997، ص 28.

[4]– جمهورية وأذربيجان المحافظتان في إيران والاثنتان تشكلان منطقة أذربيجان يفصل بينهما نهر أراكس الذي يعرف قديما بنهر أراكسس، أنظر، مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية والجغرافية، ج1، ط2، دار رواد النهضة، لبنان، 1994، ص 132.

التي تؤدي إلى حرب لم يستعدوا لها وبإيحاء من نائب الغوري في حلب وكان قد أقام صلات من الآستانة[1] أرسل الكثير من كبار موظفي المماليك رسائل سرية للسلطان سليم يعدونه فيها بالتعاون معه إذا ما غزى سوريا في مقابل ذلك ينعم عليهم بوظائف عليا وموارد وفيرة، ويبدو أن السلطان سليم لم يكن قرر وجهته بعد، إلى أن وصلته أخبار عن تقدم الغوري إلى داخل الأناضول وحينئذ قرر شن الحرب على الدولة المملوكية.[2]

بعد إنتصار السلطان سليم على الصفويين ودخول عاصمتهم تبريز، استولى على المناطق التي كانت تفصل بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية شرقي الشام وغربي الفرات فأصبحت الدولة العثمانية بحدودها الجديدة في مواجهة دولة المماليك في تلك المنطقة وبات الخطر وشيكا ولم تلبث أن اشتعلت الحرب بين الدولتين بعد أن فشلت محاولات الصلح بينهما، واستطاع العثمانيون إنزال هزيمة ساحقة بالجيش المملوكي[3] في معركة مرج دابق وهي قريبة من حلب 1516 كان جيش العثمانيين يتألف من 300 مدفع وكان عدد جيش المماليك 80.000 جندي، ولم يتمكن المماليك من الإستفادة من قلة عدد العثمانيين 60.000، وبفضل هذه المدافع الـــ 300، كان الجيش المملوكي يتألف من الشراكسة والتركمان عدا عدة كتائب من البدو، أنهى السلطان سليم الحرب بعد 8 ساعات[4] وسقط ملكهم على جواده فمات وحينئذ قطع رأسه ضابط من ضباط العساكر العثمانية وطرحه أمام أقدام السلطان سليم فغضب من إهانة الدم المملوكي، وأراد قتل الضابط المذكور فتشفع فيه

[1]– الإسم اقديم لإسطنبول ونعني به عتبة الباب والمركز والتكتية الكبيرة، انظر، سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000، ص 15.

[2]– أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، لبنان، 1993، ص 83.

[3]– السيد محمود الذقن: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، ط1، د.د.ن، دم، دت، ص 45.

[4]– يلماز أوزوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، مج1، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988، ص222.

الوزراء حتى عفى عنه، ولكن عزل من وظيفته[1]، وكان إنتصار العثمانيين في هذه المعركة لعدة أسباب:

- خيانة خايربك والي حلب المملوكي الذي خان المماليك وانضم إلى السلطان العثماني أثناء المعركة[2].
- كثرة الفتن والقلاقل والاضطرابات بين المماليك حول ولاية الحكم مما أدى إلى عدم استقرار الحكم.
- كره الرعايا للمماليك الذين كانوا يشكلون طبقة أرستقراطية[3] مترفعة منعزلة عن الشعب.[4]
- استعمال السلاح الناري والمدافع العثمانية في المعركة علما بأن المماليك لم يستعملوا هذه الأسلحة بل استعملوا السيف والرمح واحتقروا من يستعمل الأسلحة النارية التي أسموها أسلحة الشيطان لأنها صنعت في البلاد الأوربية.[5]
- سوء الأوضاع الاقتصادية وبخاصة عندما تغيرت طرق التجارة المارة بمصر واكتشاف رأس الرجاء الصالح.

---

[1]– حضرة عزتلو يوسف بك آصاف: صفحات من تاريخ مصر تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم محمد زينهم محمد عراب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص 58.

[2]– تيسير جبارة: تاريخ الدولة العثمانية 1280– 1924م، ط1، د.د.ن، القدس، 2015م، ص 112.

[3]– باليونانية سلطة خواص الناس وكفكرة سياسية تعود إلى تكوينها لأفلاطون في الجمهورية إذ كان يكره الحكم الديمقراطي ويرغب أن يحكم البلاد طبقة أرستقراطيين أو كما يسميهم الطبقة الذهبية، لكن مفهوم أفلاطون للروح الأرستقراطية مفهوم قيمي لا مفهوم طبقي وقد صنف أرسطو الأرستقراطية في النظم السياسية وحددها أنها سلطة الحكماء التي لا تلبث أن تتحط وتصبح أوليغارشية أي حكم بعض الأسر التي تستأثر بالحكم بالرغم من عدم أهليتها، وكانت الطبقة الأرستقراطية أو الأشرف صاحبة الحل والعقد في القرون الوسطى ومالت بمالها للوقوف ضد الملكية، تركزت الأرستقراطيات على الأراضي المملوكة وعلى مبدأ الوراثة وقد تركزت الأرستقراطية على الثورة والأرض كما في قرطاجة وفيينا (البندقية في العصور الوسطى) وقد تكون دينية كالطائفية البرهمية بالهند والمبدأ الديمقراطي عدو المبدأ الأرستقراطي، انظر عبد الوهاب الكيالي: ج1، المرجع السابق، 148.

[4]– علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001، ص 190.

[5]– تيسير جبارة:المرجع السابق، ص 112.

- ضعف التزام المماليك بمنهج الله ويقابله تمسك العثمانيين بشرع الله.[1]

لم يقم السلطان سليم الأول بإجراءات إدارية وسياسية في بلاد الشام قبيل توجهه إلى مصر[2]، حيث أبقى الكثير من مظاهر الإدارة المملوكية بها لضمان استقرارها وعينوا ولاة تابعين لحكم الشام، كما أبقوا في بعض الأماكن على الأمراء المحليين، وأنعم على أمراء جبل لبنان الذين أعلنوا له الولاء وثبت رئيسهم فخر الدين المعني على إمارة الشوف[3] وبذلك لم تخضع بلاد الشام لحكومة مركزية واحدة كما حدث في مصر بل قسمت إلى عدد من الولايات[4] وكان يطلق على حاكم كل منها أول الأمر (أمير الأمراء) ثم أطلق عليه فيما بعد باشا[5] وهذه الولايات هي:

- **ولاية دمشق:** وشملت عشرة ألوية أو صناجق[6] هي دمشق مركز الولاية والقدس وغزة وصفد ونابلس وعجلون وتدمر، وصيدا مع بيروت والكرك مع الشوبك[7].

---

[1]– علي محمد محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 190.

[2]– أحمد طربين: التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا؟، ط1، مكتبة دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987، ص 36.

[3]– عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: التنصير الأمريكي في بلاد الشام (1834– 1914)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، ص 09.

[4] –ملحق رقم(05)142 ،التقسيمات الادارية تحت الادارة العثمانية،احمد طربين:المشرق العربي المعاصر،ص642.

[5]– كلمة باشا معناها في الأصل قدم الملك أو الشاه ثم صارت معناها مستخدما واستعملت بعد ذلك كلقب لحكام الولايات واخيرا أصبحت أعلى لقب تشريفي في الدولة وهو لقب عثماني أطلق منذ النصف الثاني من ق 19 على الذين يرقون إلى درجة وزيرا وأمير الأمراء والفريق والمشير يضاف إليه أنه يمنح إلى بعض شيوخ القبائل وإلى كل من كان ذا موقع مرموق، انظر،سهيل صابان: المرجع السابق، ص 52.

[6]– معناها اللغوي العلم أو اللواء الخاص بالدولة ثم خص بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير تعبيرا عن ثقته بأنه أهل للحكم، ثم تطورت للدلالة فأصبحت تعني قسما إداريا من أقسام الدولة وحلت محلها مؤخرا الكلمة العربية (لواء) للمعني نفسه أي (قسم إداري) أنظر،نفسه: ص 136.

[7]– عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص 09.

- **ولاية حلب:** وكانت تضم القسم الشمالي من سوريا الحالية وعينتاب وأورفة اللذين بقيا جزءا من تركيا وتبعها لواء الإسكندرونة الذي ضم إلى تركيا في 05 جمادى الأولى 1358هـ – جوان 1939م[1].
- **ولاية طرابلس:** وشملت طرابلس مركز الولاية وحماة وحمص وسلمية وجبلية واللاذقية والحصن.

شهدت بلاد الشام تحت الحكم العثماني استقرارا سياسيا كما إزدهرت إقتصاديا وإتسع نطاق التصدير والإستيراد بين الشام وأوروبا، فكانت الشام تصدر لأوروبا فائض إنتاجها من القطن والحرير والحبوب والمنسوجات الحريرية والقطنية والتبغ، وقامت بولايات الشام المختلفة قنصليات لدول أوروبية، وأصبحت حلب منذ منتصف القرن السابع عشر مركزا فكريا، كما أن الحياة الثقافية شهدت إنتاج العديد من المؤلفات في التاريخ والجغرافيا وعلوم الأدب والعلوم والرياضيات[2]، كما أن الدولة العثمانية حققت أهدافا إقتصادية وإستراتيجية على جانب كبير من الأهمية فقد زادت مواردها الإقتصادية وإستفادت من الخيرات الموجودة في مصر والشام والحجاز، وحصلت على قواعد عسكرية جديدة خاصة المطلة على سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر.[3]

3/ أوضاع بلاد الشام في القرن 19 م:

حكم بلاد الشام في القرن 19 م (86) واليا معظم ولاياته الرئيسية حلب[4].

---

[1]– جهان بنت ابراهيم علي عبد الرحيم: المرجع السابق، ص09.

[2]– عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى:المرجع السابق، ص 10.

[3]– محمد عبد اللطيف هريدي: الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في إنحصار المد الإسلامي عن أوربا، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص 54.

[4]– من أهم المدن السورية وأعظمها، تبعد عن دمشق حوالي 350 كلم وهي من أهم المراكز الزراعية والصناعية في البلاد ومرت بعهود كثيرة حتى صارت بأيدي العرب وأصبحت عاصمة الحمدانيين سنة 944 أنظر،كمال موريس شربل: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، دار الجيل للنشر والطباعة، بيروت، 1998، ص209

حمص[1]، دمشق وصيدا وبيروت فقد دخلت السكك الحديدية وخطوط التلغراف والمدارس والجمعيات وتعززت فرص العمل وسوء الحياة المعيشية وزادت هجرة الشباب خاصة في أواخر هذا القرن إلى أمريكا الجنوبية وإفريقيا الغربية ودخلت حركة الطباعة والنشر وأسس الشاميون المطابع، وأصدروا الصحف والمجلات وانتشرت في بلادهم وخارجها شرقا وغربا من الوطن العربي وتوسعت ولاية حلب وازدادت سكانا وكانت أبرز المدن صناعة وتجارة رغم المنافسة الشديدة من بيروت ودمشق[2]، أما في الأردن فكان سكانها معتمدين على ذاتهم وكانت مجمل احتياجاتهم المعيشية من الإنتاج المحلي ومارس الأهالي التجارة المتبادلة مع دمشق والقدس وحيفاء.[3]

وأنشأت الدولة العثمانية في الأردن قضاء عجلون ومركزه مدينة إربد ملحقا بلواء حوران، وفي عام 1866 تم إنشاء قضاء البلقاء ومركزه السلط ملحقا بلواء حوران وآصيانا يلحق بنابلس، وفي عام 1893 تم إنشاء لواء معان وأصبح يضم لواء الكرك عام 1894 واهتمت الدولة العثمانية بتأمين سلامة طريق قافلة الحج الشامي عبر الأردن، وفي 1896 بدأت فكره إنشاء سكة حديد الحجاز وبدأ العمل بها من دمشق[4].

وكانت المناطق اللبنانية والسورية والفلسطينية متداخلة فيما بينها سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا، وبالرغم من هذا التداخل فإن الدولة العثمانية لم تعمد إلى ترسيم الحدود بين ولاياتها ومقاطعاتها بالمعنى الكياني لكل ولاية او مقاطعة[5] .

---

[1]– مدينة سورية تقع على نصف المسافة بين دمشق وحلب يقال أن إسمها ينسب لإسم من بناها وهو حمص بن مهر بن جان ودعاها الرومان (إيمنرا) وتعد من أهم المراكز الصناعية والتجارية، أنظر كمال موريس: المرجع السابق، ص213

[2]– مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 237.

[3]– بسام عبد السلام البطوش: المرجع السابق، ص 48.

[4]– نفسه: ص46.

[5]– غانم سمية: السياسة العثمانية في بلاد الشام 1876– 1916، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014–2015م، ص 30.

وكثرت المسؤوليات والأعباء الملقاة على عاتق الدولة العثمانية وتفرغها لمواجهة الأخطار الأوروبية جعلت الدولة العثمانية غير مهتمة بالانخراط في تفاصيل الحياة اليومية وتركت للسكان حرية التصرف والمبادرة في التصرف في كثير من شؤون حياتهم، كما قامت حركات وحوادث عدة ضد الإدارة العثمانية نذكر منها حادثة الشوبك في الأردن عام 1905 حيث طلبت الحامية العثمانية من الأهالي تزويد الجنود في القلعة بالماء فهاجم الأهالي القلعة وطردوا الجنود واحتلوها، لكن الدولة أرسلت حملة عسكرية أعادت السيطرة على المنطقة لم تبدي الدولة العثمانية اهتماما بالتعليم لأن سياستها تقوم على فكرة مفادها أن الواجبات الأساســـية تــدبر أمورهم في الصحة والتعليم وغيرها [1].

ورغم التغيرات الكثيرة التي عرفتها بلاد الشام من الناحية الإدارية إلا أن مستوى الإدارة وتحسين الأمن وزيادة الجباية لم يصل إلى المستوى المطلوب فتكررت الثورات وهجمات القبائل على المزارعين وكسرت هيبة الدولة وتحمل الناس الغرامات والضرائب الباهضة وإستحوذ الأجانب على الأراضي وشعور الولاة بعدم جدوى الإصلاح لأنهم فقدوا الأمل وتسارعت البعثات البشرية إلى بلاد الشام لأغراض دينية ولنشر المسيحية ولتثبيت النفوذ الأوربي في المنطقة.[2]

[1]– بسام عبد السلام البطوش: المرجع السابق، ص 48.

[2]– مفيد الزيدي: المرجع السابق، ص 238.

الفصل الأول: ظهور التبشير الفرنسي في بلاد الشام وعوامل انتشاره

المبحث الأول: ماهية التبشير.

المبحث الثاني وسائله.

المبحث الثالث: العوامل المساندة على انتشار التبشير في المنطقة .

المبحث الأول ماهية التبشير.

1- مفهومه التبشير وجذووره:

أ-**المعنى اللغوي:** يقال بشرته فابشر واستبشر وتبشر وبشر[1] وذلك يكون بالخير والشر فإذا أطلقت فالبشارة بالخير وبشره تبشيرا[2] تعني إيصال رسالة أو خبر ما يؤثر في بشرة الوجه تعبيرا ملحوظا سواء أكان تعبير فرح تظهر منه على الوجه علامات السرور وهو ما يعرف بالبشر[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ التِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ سورة فصلت 30، والتبشير إذا جاء مقيدا بالشر فيكون المقصود به السخرية والتهكم والاستهزاء الزائد في غيط المستهزئ به وتألمه واغتنامه، ومنه قول الرجل لعدوه: "أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك"، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾. سورة النحل 58-59.

ب- **المعنى الاصطلاحي:** التبشير (التنصير) حركة غزو فكري تستهدف تحويل المسلمين في بعض الشعوب الإفريقية والآسيوية إلى النصرانية والوقوف في وجه انتشار الإسلام بين هذه الشعوب[4] يقول محمد الطشو: "إذا أطلق التبشير فهو يعني في اصطلاح مفكري الإسلام التبشير برسالة عيسى عليه السلام ليس كما أنزلها الله هادية وإنما فكر محرف يخدم الاتجاه الغربي ويقضي على المفاهيم الأخلاقية ويساعد على الاستعمار الأوربي في احكام العالم كله وبذلك تحول مفهوم التبشير في العصر الحديث من أسلوب هداية للضالين كما أراد رب

---

[1]- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري: لسان العرب مج 4،د ط، دار صادر للنشر و التوزيع بيروت ،د ت،ص61.

[2]- عبد الفتاح إسماعيل غراب: العمل التنصيري في العالم العربي رصد لأهم مراحله التاريخية والمعاصرة، رسالة ماجستير، مكتبة البدر، 2007م، د م، ص 14.

[3]- ابراهيم بن مسعود المالكي:النشاط التنصيري في منطقة الخليج، أهدافه وأبعاده وسبل مقاومته، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراء في العقيدة لعام 1429هـ، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، السعودية، ص 22.

[4]- سلمان سلامة عبد المالك: أضواء على التبشير والمبشرين، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1999، ص 22.

العالمين الى أسلوب تضليل وإبعاد عن منهج الله كما أراد من تبنوا أنفسهم إليه فيقول احد المنصرين: "لقد تمت محاولات نشيطة لاستخدام المبشرين لا لمصلحة المسيحية وإنما لمصلحة الاستعمار والعبودية[1] لذلك يفهم المسلمون أن كلمة تبشير في استخدامها الاصطلاحي الأخص الذي يريده المنصرون تعني تبليغ تعاليم النصرانية على ما هي عليه إلى المسلمين ومن هنا فإن موقف المسلمين من المصطلح التبشير بمعنى تنصير" وهو عدم القبول بل الرفض التام، إذ لا يقبل أن يستخدم مصطلح إلا من يدرك أبعاده التي يريدها المنصرون من فرض هذه المصطلحات المنتقاة من بين عدد من العبارات ليسهل استخدامها عند المسلمين، فلا غرابة أن أدرك المسلمون مغزى اختيار المنصرين كلمة تبشير بدلا من كلمة تنصير وذلك لإخفاء حقيقة ما يريدون من تحويل المسلمين عن دينهم مع أن القرآن الكريم يسن لهم مراميهم حيث قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾. البقرة 109.[2]

2- جذوره:

العمل التنصيري في العالم العربي الإسلامي قديم ويمتد تاريخه إلى عصر النبوة والصحابة، حيث حاول النصارى تقويض الدعوة الإسلامية بعدة وسائل فكرية، سياسية واجتماعية[3]

بدأت محاولات الغزو الصليبي في القرن الخامس عشر ميلادي، بعد سقوط مدينة غرناطة[4] آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس 1492 بعد عدة حروب وسلسلة من المعارك ضد المسلمين وقد بارك البابا هذا الانتصار الصليبي وشجع المسيحيين على متابعة وتعذيب

[1]- عبد الفتاح إسماعيل غراب: المرجع السابق، ص 17.

[2]-ابراهيم بن مسعود المالكي: المرجع السابق، ص 23.

[3]- عبد الفتاح إسماعيل غراب: المرجع السابق، ص 20.

[4]- مدينة إسبانية، احتلها المرابطون سنة 1890 واحتلها محمد بن نصير مؤسس سلالة بني الأحمر عاصمة له في 1235م فاستمرت قاعدة هذه الدولة حتى سقوطها في 1492م وأصبحت في أيامهم مركزا حضاريا وثقافيا لامعا أهم آثارها العربية قصر الحمراء الذي يعد رائعة الأندلس، انظر، مسعود الخوند: ج1، المرجع السابق، ص 308.

المسلمين من بقية بلاد الإسلام في الأندلس[1]و من جانب آخر فإن الحركات التبشيرية وليدة أطماع استعمارية صليبية[2] وقد وضع أسسها الملك لويس التاسع[3] حينما كان في سجن المنصورة، فكتب داعيا إلى تحويل الحملات العسكرية الصليبية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه[4] نظمت الكنيسة بعد إخفاق الحروب الصليبية بعثات تنصيرية ودعت إلى دعمها وحمل لوائها إلى العالم ومن ثم دخلت منظمات نصرانية وكذلك يهودية وتعدى الأمر إلى أن واكبت الصهيونية الحديثة تلك الدعاوي وعمل الجميع على تأسيس ودعم الإرساليات وتوجيهها لتدمير الدولة العثمانية والقضاء عليها.[5] واستعادة القسطنطينية، ومملكة بيت المقدس، و جاء التنصير والمنصرون للدولة العثمانية في ركاب الغزاة، وليس تعبيرا عن صحوة إيمانية وإصلاحية نصرانية، فمع تصاعد الفراغ الروحي للنصرانية بعد عزلتها العلمانية[6] عن كل معارف وتطبيقات العمران الحضاري خرجت تلك الإرساليات عن معايير

---

[1]– خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني: الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام 1327هـ /1909م، ط2، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2003، ص 182.

[2]– منقذ بن محمود السقار: الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية، ط1، د.د.ن ،دم، د ت، ص 21.

[3]– ملك فرنسا ولد في 1214م وتوفي في 1270 م قاد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة وأسره المصريون في المنصورة في 1250 م وأطلق سراحه لقاء فدية كبيرة مات بالطاعون في تونس، انظر، رؤوف سلامة موسى: موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، ط1، دار ومطابع المستقبل بالفجالة والإسكندرية ومكتبة المعارف، بيروت، 2001، ص 939.

[4]– منقذ بن محمود السقار: المرجع السابق، ص 19.

[5]– فردوس بنت حافظ محمد جمال الدين: دور السفراء العثمانيين والفرنسيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية 1203– 1328هـ/ 1788– 1909م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أم القرى، السعودية، 2013، 2014، ص ص 223 ،222 .

[6]– ترجمة خاطئة لكلمة sécularism في الإنجليزية أو sécularinte بالفرنسية وهي كلمة لا صلة لها بلفظ العلم ومشتقاته على الإطلاق، والترجمة الصحيحة للكلمة هي (الدنيوية) وتعرف على أنها حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا وحدها، أنظر: سفر بن عبد الرحمان الحوالي: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ط1، دار الهجرة للنشر والتوزيع، د م، د ت، ص ص 21 22، ونشأت إبان عصر التنوير والنهضة الأوربية وعارضت ظاهرة سيطرة الكنيسة على الدولة وهيمنتها على المجتمع وتنظيمها على أساس الانتماءات الدينية الطائفية وترى ان من شأن الدين أن يعنى بتنظيم العلاقة بين البشر وربهم ونادت بفصل الدين عن الدولة وبتنظيم العلاقات الاجتماعية على أسس إنسانية تقوم على معاملة الفرد على انه مواطن ذا حقوق وواجبات وبالتالي إخضاع المؤسسات والحياة السياسية لإرادة البشر وممارستهم لحقوقهم وفق ما يريدون وما يحقق مصالحهم وسعادتهم الإنسانية، أنظر، عبد الوهاب الكيالي: ج4، المرجع السابق، ص 179.

الأخلاق الإنسانية التي ادعوها وعملوا على تزايد المد التنصيري في البلاد العثمانية لتدمير حضارتها وضربها في العقيدة التي تأسست على أصولها[1] وقد أجاب المبشرون بشأن هذه الحروب الصليبية الجديدة بقولهم " أن الحروب الصليبية التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا ولقد احتفظت فرنسا طويلا بروح الحروب الصليبية وبالحنين إلى تلك الحروب نفسها".[2]

ففي القرن السادس عشر كان مجال نفوذ هذه البعثات محدودا إذ اقتصرت على إنشاء عدد قليل من المدارس والمعاهد في أماكن متفرقة ونشر كتب العبادات، وكانت البعثات كلها كاثوليكية ومعظمها من الفرنسيين وتنسب إلى اليسوعيين[3] أو الكبوشيين[4] أو الكرمليين[5]، تسارعت البعثات التبشيرية إلى بلاد الشام لأغراض دينية لنشر المسيحية وسياسية تثبيت النفوذ الأوربي في المنطقة[6] حيث كانت بلاد الشام في القرن السابع عشر من أهم المراكز التي عرفت توافدا كبيرا من تلك الإرساليات التبشيرية إليها ولعل ذلك راجع إلى تواجد غالبية الأماكن المقدسة ضمن هذه المنطقة وهذا ما جعل تلك البعثات تركز اهتماماتها

---

[1]– فردوس بنت حافظ محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص ص 223، 224.

[2]– عبد الرحمان بن عبد الله الصالح: التنصير تعريفه وأهدافه ووسائله حسرات المنصرين، ط1، د.د.ن د م، د ت، ص 05.

[3]– هناك إختلاف حول وصول بعثة اليسوعيين إلى بلاد الشام كما كانت تسمى في ذلك الوقت ويتراوح هذا الإختلاف وفقا لرواية المؤرخين أو المبشرين بين سنوات 1625– 1638 – 1650– 1656م، أرسلهم روما لفحص عقائد الموازنة وعاداتهم وكتبهم المريبة، أما البعثة الثانية تم التحضير لها عبر رحلة إستطلاعية إلى الشرق قام بها الأب ريللو والأب ريكادونا لدراسة أفضل السبل لعودة اليسوعيين وحمل الأب ريللو إلى روما بعد هذه المرحلة مقترحات جديدة لعمل الإرساليات في الشرق، أنظر، طلال عتريسي: البعثات اليسوعية مهمة إعداد النخب السياسية في لبنان، دراسة وثائقية تاريخية، ط1، الوكالة العالمية للنشر والتوزيع، دم1987، ص 67.

[4]– من أقدم البعثات التي وصلت إلى سوريا عام 1625 وهي ذات إدارة فرنسية بحتة ينتمي تلاميذها إلى الطائفة الكاثوليكية أظهر الكبوشيين المرسلون المبدعون عبقرية فرنسية في دعايتهم الدينية في الخارج وكانوا يمهدون لتوسعها الاستعماري بطريقة غير مباشرة، أنظر: نفسه، ص 165.

[5]– خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني:المرجع السابق، ص 188.

[6]– مفيد الزيدي: المرجع السابق، ص 358.

ونشاطاتها التبشيرية في الشام فضلا عن ذلك ساهم التسامح الديني الذي اتخذته الدولة[1] العثمانية اتجاه الملل في زيادة نجاح نشاطاتهم، ومما زاد دعمها أيضا تلك الامتيازات الدينية التي حصلت عليها الدول الأوربية ضف إلى ذلك أتساع رقعة الدولة العثمانية وضمها العديد من الأجناس، لتجد بذلك الإرساليات التبشيرية الفرصة السانحة لنشر أفكارها ومخططاتها[2] ومع بداية القرن التاسع عشر ركز الفرنسيون على نشر الثقافة الفرنسية داخل حدود الدولة العثمانية، ومن ثم انفردت ببث سمومها التبشيرية في بلاد الأناضول لأنها مركز الخلافة[3] وهذه البعثات لم ترسل إلا تمهيدا لانقضاض الحملات العسكرية الأجنبية على الدولة الإسلامية بهدف تصفية الحسابات القديمة منذ الحروب الصليبية، فانطلقت هذه الأخيرة ساعية لتحقيق غايتها مستخدمة جميع الوسائل المتاحة لها دون تفريق بين وسيلة فكرية أو عسكرية، فكانت طليعة الغزو الاستعماري الجديد.[4]

2/ دوافعه وأهدافه في بلاد الشام:

ا /دوافعه:

يمكن أن نجمل مجموعة من دوافع التبشير وندرجها كالتالي:

1- دوافع سياسية وعسكرية:

- فشل الصليبيون في حملاتهم المتوالية على الشرق الإسلامي وظهر ذلك واضحا في وصية لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة والذي وقع أسيرا في أيدي المصريين في مدينة المنصورة ولم يطلق سراحه إلا بعد تقديم فدية استطاع بها الخلاص من الأسر، وبعد عودته إلى فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلى النصر

[1]- سهيلة أحمد سرير فتيحة حاج بن فطيمة: الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية بين الآثار الإيجابية والسلبية 1310هـ/ 1916م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية جامعة يحي فارس، المدية، 2014- 2015م، ص 63.

[2]- فردوس بنت حافظ محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص 222.

[3]- نفسه، ص 223.

[4]- خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني: المرجع السابق، ص 192.

والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية وأنه لابد من سبيل آخر وهو تحويل التفكير الإسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري وقد سار الأوروبيون في طريق تنفيذ هذه الوصية.

- انتصارات المسلمين في أوروبا وقد ترتب عن ذلك أن اكتسب الإسلام أنصارا يقدر عددهم بعشرات الملايين.[1]

- الإنهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان فأرادوا أن ينفسوا عنها بقولهم: "ألم نكن نحن ورثة الصليبيين؟ أو لم نرجع تحت راية الصليبيين لنستأنف التسرب التبشيري ولنعد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح".[2]

- الخوف من تمهيد الإسلام للنفوذ السياسي والعسكري على العالم.

- خوفهم من أن يقوم المسلمون بأعمال سياسية تخدم مصالحهم في الغرب.[3]

2- الدوافع الدينية:

- دعوة الكنيسة للأخذ بالثأر والتنكيل للإسلام والمسلمين، حيث أوزعت الكنيسة إلى رجال الدين والمبشرين للعمل والاعتكاف على دراسة الإسلام لمعرفة حقيقته وللرد عليه وبالتالي العمل على رسم الخطط المناسبة للهجوم على الإسلام والقضاء عليه.[4]

- الحقد الذي يحمله الغربيون للمسلمين باعتقادهم أن الدين ضروري لكل الناس فهم يستخدمونه في تخذير الشعوب ويحكمون من خلاله الخناق على الشعوب .

---

[1]- خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني: المرجع السابق، ص 178 ،179.

2 – جمال حسن أحمد السراحنة: فلسطين بين الغزو الفكري والاستعمار،، ط1، دار الصنيعي للنشر والتوزيع، السعودية، 2008، ص 78.

[3]- عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص 22.

[4]- جمال حسن أحمد السراحنة:المرجع السابق، ص 79.

– خيبة أمل المسيحيين لأن الكنيسة ورجال الدين جعلوا الدين أداة لفرض السيطرة والسلطان على مختلف الشعوب في الوقت الذي كان المسلمون يعيشون جنبا إلى جنب مع المسيحيين في تسامح.

– انتشار الإسلام في القارة الأوربية حيث بدأ الفكر الإسلامي يغزوها بعد أن شملت الأندلس وسردينيا وجنوب إيطاليا ومن هنا أصبح الإسلام خطرا يهدد البابا وحكام الغرب من ملوك وأمراء، مما جعل الخوف بين هذه القوى لمواجهة الإسلام والمسلمين.[1]

– لقد كان لانتشار الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية الأولى في أوربا الأثر العظيم على نفوس أعدائه من الغربيين حيث اعتبروه خطرا يهدد مسيحيتهم واستمر الرعب في نفوسهم يأخذ طريقهم كلما تحقق للدولة الإسلامية ازدهارا وتوسعا فما إن كان القرن 16م حتى شعر أعداء الإسلام بأن أمجاد المسلمين وصلت إلى عقر دارهم.[2]

– انتشار الإسلام انتشارا سريعا إذ أصبح قوة فعالة في العالم، حيث يزداد عدد من يعتنقونه يوميا في أنحاء المعمورة فعلى سبيل المثال يوجد مسلم أو اثنان من بين كل خمسة أو ستة مسيحيين فاعتقدوا أن الوقت قد حان لنبذ الأفكار التي حملوها عن الإسلام الذي غدا قوة دينية وفكرية.[3]

– اعتقاد النصارى أنهم على حق في دعوتهم ويجب عليهم أن ينشروا دينهم في كل مكان من بقاع الدنيا وأن ما يقومون به هو إبلاغ الناس الخبر الطيب.[4]

– لم يستطع العمل التبشيري الذي رعته الكنيسة رغم انتشاره أقصى الأرض منذ قرون أن يحقق نشر الدين المسيحي وذلك راجع إلى ما تعرضت له الكنيسة من صراعات ومشاكل

---

[1]– عماد شرف: حقائق عن التبشير، ط1، المختار الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1975، ص ص،15، 16.

[2]– فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري: أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1989م، ص 156.

[3]– عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص 32.

[4]– نفسه: ص 33.

وتنافس الممالك الأوروبية وتدمير قواتها الذاتية في حروب داخلية متواصلة إلى عدم إتحاد البعثات الكاثوليكية وبالتالي إلى عدم إتحاد المسيحية هذا بالإضافة إلى الضربة التي وجهتها الثورة الفرنسية للكنيسة.[1]

3- دوافع فكرية وحضارية:

- ضعف المقاومة الروحية والنفسية في نفوس أبناء المسيحيين.
- خوفهم من أن يتربى جيل المسيحيين يحمل أفكار المسلمين وثقافاتهم وبالتالي السيطرة عليهم.
- الخوف من توريث المسلمين للثقافة الإسلامية في البلاد الأوروبية.[2]
- الصراع الحضاري بين الشرق والغرب فلا يمكن تجاهل العامل الحضاري للوصول لقلوب العرب والمسلمين من خلال ظهور التبشير في ثوب الأبرار وحماة الحضارة والعلم.[3]

ب/ أهدافه:

- يحاول المبشرون خلق الفتن بين الرعية والحاكم وبين الشعوب الإسلامية لكي تشتعل العداوة بين المسلمين وينشغلوا بمعاركهم الداخلية عن أنفسهم والقرآن الكريم حذرهم من الفتنة في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ الحجرات 06.[4]
- حماية النصارى من خطر الإسلام بالحيلولة بينهم وبين رؤية حقائقه الناصعة وآياته البينة وتاريخه حتى لا يؤثر عليهم فيدخلوا فيه.[5]

---

[1]- طلال عتريسي: المرجع السابق، ص ص 22،21.

[2]- جمال حسن أحمد السراحنة: المرجع السابق، ص 79.

[3]- عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص 32.

[4]- عبد الرحمان عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الإستشراق، ط1، دار الجيل، بيروت، د ت، ص 77.

[5]- سمراء أمين قرطاش: أهداف الإستشراق، ط1، د.د.ن، د م ،د ت، ص 4.

- إنشاء الإذاعات الموجهة بغية إرسال توجهاتهم عبر قنواتها والاستعانة برؤوس الأموال في فتح الأبواب المغلقة والتحايل.[1]

- إيجاد نوع من الهزيمة النفسية بين المسلمين: لقد أدرك المبشرون عظمة الحضارة الإسلامية بعقيدتها وثقافتها التي أعطت للمسلمين القوة فأيقنوا أن أمة بهذه الحضارة والثقافة لا يمكن أن تخضع أو تذل ومن ثم كانت مهمتهم تشويه تلك الحضارة وخلق نوع من التخاذل والهزيمة في وجدان المسلمين.[2]

- تعميق فكرة سيطرة الرجل الغربي الأبيض على بقية الأجناس البشرية الأخرى وترسيخ مفهوم الفوقية والدونية تعضيدا للاحتلال بأنواعه والتبعية السياسية من الشعوب والحكومات الإسلامية للرجل الأبيض ومن ثم يستمر إخضاع العالم الإسلامي للسيطرة وأن تخلف المسلمين يعود إلى إصرارهم على التمسك بدينهم.[3]

- يسعى التبشير إلى القضاء على الخلافة العثمانية وقد كان لهم ما أرادوا حيث يقول رئيس الإرساليات التبشيرية في تقرير عن أعمالها أن نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا من آسيا وإفريقيا بل ستكون في المراكز التي يستمد منها الإسلام قوته وينتشر سواء كان في إفريقيا او آسيا، وبما أن كل الشعوب تولي وجوهها نحو الاستانة عاصمة الخلافة، فإن كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة إذا لم تتوصل إلى قضاء لبناتها فيها، ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية إرساليات التبشير هو بذل مجهوداتها في هذه العاصمة وهي قلب العالم الإسلامي.[4]

---

[1]- عبد الرحمان عميرة: المرجع السابق، ص 78.

[2]- إبراهيم بن مسعود المالكي: المرجع السابق، ص 34.

[3]- علي بن ابراهيم الحمد النملة: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط1، د.د.ن د م، د ت، ص 27.

[4]- أكرم كساب: التنصير مفهومه وجذوره، أهدافه، أنواعه وسائله وصولاته، ط1، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، د ت، ص 162.

- يعمل التبشير على استغلال أبناء المسلمين المنبعثين إلى أوربا ومحاولة عملية غسيل المخ والتي تعني حث الفرد على التخلي بطريقة متطرفة عن عقائده وأساليب سلوكه السابقة وأن يتبنى تلك الأفكار الجديدة التي يغرسها فيه الشخص أو الهيئة.[1]

- إبتذار أموال المسلمين واقتناص خيراتهم بما يصدرون لهم من وسائل الترف والزينة مما يسهل لهم سبلا محرمة تمتص مختلف طاقاتهم الفكرية والجسدية والنفسية.[2]

- الحرص على ما يضر المسلمين ويفسد عليهم أمرهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران 118.[3]

- تصريف البضاعة فالمبشرون يعرفون كساد بضاعتهم فهم يعمدون إلى ترويجها بالأساليب الخادعة والوسائل الملتوية وخلف واجهات مظلة كافتتاح المدارس وإنشاء الملاجئ والمستشفيات ليصطادوا بها السذج والبسطاء ليتخذوا منها في نفس الوقت أوكارا للتجسس وحبك المؤامرات ونشر الرذيلة وليتخذوا هذه المؤسسات وسيلة من أفضل وسائل الكسب الحرام وأسلوبا من أخبث أساليب النصب والاحتيال.[4]

- تخريب ضمائر المسلمين وزعزعة عقيدتهم لصرفهم عن عبادة الله الواحد الأحد.[5]

- التغريب وذلك بالسعي لنقل المجتمع المسلم في سلوكياته وممارساته بأنواعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأسري والعقدي من أصالتها الإسلامية التي تبني أنماط غربية في الحياة وهي المستمدة من خلفية دينية نصرانية أو يهودية.[6]

---

[1]- عبد الرحمان عميرة: المرجع السابق، ص 79.

[2]- محمد بن ناصر الشتري: التنصير في البلاد الإسلامية أهدافه ميادينه آثاره، ط1، دار الحبيب للنشر والتوزيع، الرياض، 1998، ص 17.

[3]- عبد الرحمان بن عبد الله الصالح: المرجع السابق، ص 08.

[4]- محمد بن سلمان الجبهان: ما يجب أن يعرف المسلم من حقائق عن التبشير والنصرانية، ددن الرياض، 1976، ص 101.

[5]- محمد بن ناصر الشتري: المرجع السابق، ص 17.

[6]- علي بن ابراهيم الحمد النملة: المرجع السابق: ص 28.

- يعمل التبشير على احتواء شبكات الاستخبارات في بلاده للاستعانة بها في تسهيل مهماته في بلاد المسلمين، كما أن التبشير يستعين بالمخدرات وكل وسائل الإغراء إن لزم الأمر.[1] و ما يعيشه العالم الإسلامي من تفرق وتناحر لهو دليل واضح على نجاح الحملات التبشيرية في تفريق المسلمين وزرع العداوة بينهم، فمنذ سقوط الخلافة العثمانية وتقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات أصبح بالإمكان الانقضاض على أي دولة بشتى الوسائل والحجج، ولا يملك العالم الإسلامي تجاه ذلك سوى التشجيب والاستنكار والتنديد الباهت لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبة 32.[2]

- الإدعاء بأن المبادئ والتعاليم النصرانية أفضل من أي مثل ومبادئ أخرى لتحل هذه المثل والمبادئ النصرانية محل المبادئ والمثل الإسلامية.[3]

- أن ترتد الأمة الإسلامية وترجع على أدبارها قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ النساء 89، وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ سورة البقرة 109.

- إن الهدف الأساسي من مخططات التبشير بالنصرانية هو تحويل المسلمين عن دينهم ولو إلى الإلحاد والكفر.

- لقد وجد المبشرون أن الأخلاق الإسلامية هي من الظواهر التطبيقية للإيمان بالله واليوم الآخر وهي من أكبر العوامل التي منحت المسلمين قوتهم فأراد المبشرون أن يهدموا هذه الأخلاق والقيم ليوهنوا قوتهم ويشتتوا شملهم.[4]

---

[1]- عبد الرحمان عميرة: المرجع السابق، ص 78.

[2]- إبراهيم بن مسعود المالكي: المرجع السابق، ص 33.

[3]- علي بن إبراهيم الحمد النملة: المرجع السابق، ص 27.

[4]- محمد بن ناصر الشتري: المرجع السابق، ص ص 16، 17.

– تشجيع الدراسات الإستشراقية التي تمارس في ايطارالعلم وفي الحقيقة هي متخصصة في المكر والكذب وبث السموم ومحاولة النيل من الإسلام ونيته وتشويه مبادئه في صورة معتنقيه.

– العمل على إحداث الانقلابات العسكرية في الوطن الإسلامي وإيهام أصحابها بأنهم لو تخلوا عنهم لمزقتهم الشعوب.[1]

– تحويل مجرى التفكير في إقامة وحدة إسلامية لأن الوحدة أكبر خطر على المسيحية.[2]

– يعمل التبشير على عقد المؤتمرات واللقاءات الفكرية التي تهدف إلى تغيير مفاهيم الإسلام الصحيحة.

– يعمل التبشير على التواجد في الأندية والجمعيات وبث روح الفرقة والتنازع بين الرفقاء وتزكية روح التنافس.[3]

– وحينما نستعرض ما كتبه المبشرون (المنصرون) عن أهدافهم أو ما كتب من تناول الموضوع نجد أن الأهداف التي ذكرها هؤلاء وهؤلاء لا تخرج عن ذلك فقد ذكروا من أهدافهم ما يلي:

- تفريق الوحدة الإسلامية.
- إخضاع العالم الإسلامي للسيطرة الغربية والتحكم في خيراته ومدخراته.
- السيطرة السياسية والتوسع الاستعماري.[4]

[1]– عبد الرحمان عميرة: المرجع السابق، ص 79.

[2]– محمد بن ناصر الشتري: المرجع السابق، ص 17.

[3]– عبد الرحمان عميرة: المرجع السابق، ص ص 78 79.

[4]– عبد الرحمان بن عبد الله الصالح: المرجع السابق، ص 09.

المبحث الثاني: وسائله

1-الخدمات التعليمية:

تؤكد الكثير من أقوال المبشرين (المنصرين) على أن التعليم هو أحد أهم الوسائل التي استخدمت في التنصير والتي يجب الاستمرار في تسخيرها لخدمة العمل التنصيري[1]، حيث فتحت المحاضن والمدارس والكليات والجامعات في أنحاء العالم الإسلامي[2] ويبثون المعلمين المنصرين فيها ويستقبلون الطلاب المبعثين إلى البلاد النصرانية، ويحاولون الإسهام في صياغة مناهج التعليم في البلدان المستهدفة.[3]

وخطة المبشرين محكمة لحرمان المسلمين من العلم وحجبها عنهم بأشكال متنوعة وبوسائل شتى نذكر منها ما يلي:

1- شغل أبناء المسلمين بالعلوم النظرية البحتة البعيدة عن المجالات التطبيقية النافعة المتصلة بالمنجزات العلمية ذات الأثر المادي والمبتكرات الصناعية الحديثة وذلك بغرض نشر التخلف عن منجزات العصر.

2- شغل أبناء المسلمين بحشد من التفاهات التعبيرية التي يسمونها (أدب) دون أن يكون لها ثمرة تربوية قويمة أو خلقية أو فكرية تضيف علما أو تنمي ذوقا.

3- شغل أبناء المسلمين بالفلسفيات الفكرية المتناقضة المتعارضة وغمسهم في صراع المبادئ الاجتماعية لقتل طاقاتهم الفكرية.

4- إدخال فنون التمثيل والرقص والغناء والتصوير والنحت في قائمة العلوم التي يتوقف عليها إرتقاء الأمم وذلك لصرف الطاقات عن العلوم النافعة.[4]

---

[1]- محمد بن موسى المجممي:التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، دراسة عقدية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب، جامعة الملك فهد، السعودية، 1432هـ / 1433ه، ص 22.

[2]- سفر بن عبد الرحمان الحوالي: مرجع سابق، ص 554.

[3]- محمد بن موسى المجممي: المرجع السابق، 20.

[4]- محمد بن ناصر الشتري: المرجع السابق، ص 20.

2- الخدمات الطبية: وهذه الوسيلة التي يظهر من خلالها الاهتمام بالمرضى والقيام بما يحتاجون إليه من دواء، أفاد منها المنصرون كثيرا فلقد وجه المنصرون اهتمامات كبرى بهذا المجال في معظم بلدان العالم الإسلامي.[1]

وبهذا المدخل وجدت البعثات الطبية ترحيبا في أوساط المجتمعات ويرى المبشرون أنه يجب إعطاء الأولوية لها[2]، كان الأطباء المبشرون لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح، وكانت المعالجة لها تبدأ قبل أن يركع المريض ويسأل المسيح الشفاء.[3]

3- الوسائل الإعلامية:

لما رأى المبشرون شغف المسلمين بقراءة الصحف أرادوا استغلال هذه الفرصة في التعبير عن آرائهم والتطرق إلى الأغراض التبشيرية[4]، وقد يكون الإعلام هو السلاح التبشيري الأول في ضل طغيان العولمة الإعلامية، ربما صار ممكنا الوصول إلى معظم الناس عبر الإذاعة أو التلفاز أو الشبكة العالمية ولهذا فليس من المستغرب قيام العشرات من الهيئات والمنظمات النصرانية في بلاد شتى بإنشاء مخططات الإذاعة والتخطيط لها وتبادل الخبرات والاستشارات وعقد المؤتمرات والندوات والدورات التأهيلية للكوادر العاملة في هذه المحطات وإجراء البحوث والدراسات على المستمعين بغرض تقييم البرامج الإذاعية.[5]

4- إنشاء المكتبات النشرية لبيع الكتب:

والواقع أنها لم تنشأ أساسا لبيع الكتب وإنما اتخذت بيع الكتب ستارا لها ظاهريا وفي الخفاء كانت قائمة بإدارة أعمال التبشير عن طريق توزيع المنشورات والنشرات المسيحية وذلك

---

[1]- إبراهيم بن مسعود المالكي: المرجع السابق، ص 55.

[2]- محمد بن موسى المجممي: المرجع السابق، 04.

[3]- محمد بن ناصر الشتري: المرجع السابق، ص 20.

[4]- سلمان سلامة عبد المالك: المرجع السابق، ص 68.

[5]- محمد بن موسى المجممي: المرجع السابق ص 22.

لأن المبشرين كانوا يرون أن أشد الوسائل أثرا في المجتمع المسلم هو إنتاج النشرات المسيحية وتوزيعها بين المسلمين أولا بنشر الأناجيل الأربعة وثانيا أتبعوها بنشر أجزاء من التوراة وثالثا تطرقوا في نشراتهم إلى مختلف الموضوعات التي كانوا دائما يفرغونها في قالب مسيحي بمعرفة مبشرين من نفس الإقليم والبيئة التي توزع فيها النشرات.[1]

5- استغلال الأعمال الاجتماعية في التبشير:

جاء المبشرون إلى المشرق الإسلامي ومعهم أفكارهم عن بعض الأغراض الاجتماعية فأرادوا أن ينقلوها إلى المسلمين وفاتهم أن الإسلام ليس دينا فحسب بل هو عقيدة ونظام اجتماعي فكل ما جاء به المبشرون يوجد في الإسلام في شكل أتم وأحسن، ومع أن المبشرين رفعوا شعارات ضخمة[2] مثل الطفل للمدرسة ولا للعمل وإنصاف العمال ورعاية الأيتام وغير ذلك إلا أن هذه الشعارات لم يكن هدفها الإصلاح الحقيقي بل هدفها التسلل عن طريق التبشير إلى المجتمع المسلم.[3]

6- التغلغل في المجتمعات الصناعية الإسلامية:

سعى المبشرون على إيجاد صلة بينهم وبين العمال المسلمين في المصانع، وكانوا يعيشون معهم ويختلطون بهم حتى يسيطروا على الأوساط الصناعية الإسلامية بروح نصرانية، وعلى المبشرين استغلال وسائل التأثير في المسلمين من هؤلاء العمال وذلك بما يلي:

أولا: يمثلون لهم بأقوالهم وأفعالهم أن التقدم الصناعي أساسه مسيحي.

ثانيا: إن الاختراعات والاكتشافات الفضل فيها للمسيحيين.

ثالثا: إن الطرق الحديثة في الصناعة من مبتدعات المسيحية.[4]

---

[1]- سلمان سلامة عبد المالك: المرجع السابق، ص 67.

[2]- محمد بن ناصر الشتري: المرجع السابق، ص 22.

[3]- سلمان سلامة عبد المالك: المرجع السابق، ص 58.

[4]- نفسه: ص 69.

المبحث الثالث: العوامل المساندة على انتشار التبشير في المنطقة:

1- الامتيازات الفرنسية:

أ- مفهوم الامتيازات:

1- **لغة:** الامتيازات في الناحية اللغوية تأخذ معنيين ففي اللغة اللاتينية القديمة تسمى caput و capitul وفي اللغة الحديثة عرفت باسم capitulum و capitulation والتي تعني الأساسيات في الوثائق أو الخطوط العريضة في المعاهدات.[1]

2- **اصطلاحا:** هي حقوق منحها الباب العالي أي السلطان العثماني في عصر قوة الدولة العثمانية منحت للمسيحيين المقيمين بها.[2]

- وهي المعاهدات المتضمنة المبادئ القانونية لإقامة المستأمنين من رعايا الدول الأجنبية في ممتلكات الدولة العثمانية وممارسة نشاطهم التجاري المشروع فيها وتقرير حق رعايا الدولة العثمانية المقيمين في أراضي تلك الدول في سريان هذه المبادئ عليهم.[3]

- أو هي أسلوب أتبع لغرض السيطرة وإخضاع كل الأقاليم التي يعيش فيها هؤلاء المسيحيين وتكون تابعة للدولة العثمانية، لكن وفق تلك الضمانات والحقوق التي منحها السلاطين العثمانيين.

1/ الامتيازات الدينية:

تشمل حق رعايا البعثات والعناية بالأماكن المقدسة وترميمها فالمتصفح لتاريخ المنطقة يلاحظ أن تنافس الطوائف المسيحية على أشده للظفر بأمور عديدة كالسيادة على الطوائف من خلال ظهور كل طائفة بمظهر الحامي الأمين على الدين المسيحي والراعي المخلص

---

[1]- وليد العريض: تاريخ الإمتيازات في الدولة العثمانية وآثارها، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، مج 24، ع1/ الأردن، 1997م، ص 145.

[2]- سهيلة أحمد سرير فتيحة حاج بن فطيمة:المرجع السابق، ص 10.

[3]- إدريس الناصر رائسي: العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، ط1، دار الهادي للنشر والتوزيع، لبنان، 2007، ص 267.

لشؤون طوائفهم فقد أصبحت كل الطوائف دون استثناء في المنافسة على بيت المقدس.[1] والتركيز على ما يتطلب من حماية وراحة للحجاج المسيحيين القادمين إلى القدس الشريف.[2] ومنحت لهم الحق في زيارة بيت المقدس وعدم اضطهادهم ومضايقتهم، ونظرا لمكانة فرنسا الدينية ولكونها الراعية الأولى للكاثوليك والبابوية والمحافظة على الديانة النصرانية فقد سمح لها بأن يكون معظم الرهبان والقسيسين في كنائس بيت المقدس من الفرنسيين[3]

2- الامتيازات التجارية:

توضح الإجراءات المتعلقة بالمعاملات اليومية لرعايا الدولة الفرنسية على أرض الدولة العثمانية ومن ضمنهم التجار الفرنسيين وتشمل منحهم ملكيات، عقارات، تسهيلات لممارسة التجارة واستغلال الأراضي مع وجود قوانين تفرض عليهم التقيد بها لضمان تحقيق المصالح المشتركة بين البلدين وتحصيل الديون وتأكيد الحصول على الكفالات لما لها من أهمية في استمرارية لتحقيق الأهداف[4]، كذلك ما يتعلق بالرسوم الجمركية من إعفاء وغير ذلك.[5]

3- الامتيازات السياسية:

تشمل إقامة القنصليات وكذلك وجود محاكم مسيحية يقاضى فيها الأجانب دون العودة إلى المحاكم المحلية.

---

[1]- إبراهيم ربايعة: شواهد على المكانة العلية للدولة العثمانية وسلاطينها من خلال اتفاقيتا الامتيازات العثمانية الفرنسية لعام 942هـ 1536م/ 1089هـ - 1673م، دراسة تحليلية،د ط ،د.د.ن، دم، دت ، ص 71.

[2]- نفسه: ص 72.

[3]- ماجد بن صالح المضيان: أثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الفترة من (936- 1443هـ- 1520- 1924م) رسالة ماجستير في العقيدة 1416هـ 1995م، ص 73.

[4]- إبراهيم ربايعة: المرجع السابق، ص 71.

[5]- ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، ص 73.

4- الامتيازات العسكرية:

تشمل استعمال الموانئ للسفن الحربية ومرورها عبر المضائق والقيام بمناورات عسكرية، وإقامة مصانع لتطوير الأسلحة، السماح للكتائب العسكرية بدخول المناطق المأهولة بهم.[1]

ج- دوافع الامتيازات:

1- بالنسبة للجانب العثماني: فسر عقد الدولة العثمانية للامتيازات بعدة أسباب منها:

- الرغبة في كسب ود فرنسا إلى جانب الدولة العثمانية.

- ضعف السلاطين بعد سليمان القانوني (1520- 1566م) فبدؤوا في التودد للأوروبيين.[2]

- سعي السلطنة العثمانية لإضعاف أوروبا ومواجهة أخطار التطويق البرتغالي البحري الذي استهدف المحيط الهندي وفي نفس الوقت مقاومة الصفويين وإحباط تحالفاتهم مع البرتغال.

- عرقلة قيام حلف مقدس يعقده العالم الكاثوليكي الأوروبي ضد الدولة العثمانية.

- العمل على تنشيط الاقتصاد في أراضيها خاصة الكشوفات الأوروبية مما أدى إلى حالة من الركود الاقتصادي في المناطق العثمانية أثر بدوره على واردات الخزينة التي هي في حاجة ماسة إلى موارد لتحقيق أهدافها.[3]

- سعي العثمانيين للعمل على تحقيق نشر الإسلام بين شعوب القارة الأوروبية.[4]

- إضعاف الإمبراطورية المقدسة وإبقاء أوروبا مقسمة ووقوفها دائما مع الطرف الذي يخدم مصالحها السياسية والعسكرية والاقتصادية لأن أوروبا الموحدة ستكون بمثابة حاجز منيع أمام الدولة العثمانية في تحقيق طموحاتها الأوروبية.[5]

---

[1]- إبراهيم ربايعة: المرجع السابق، ص 73.

[2]- نايف عبد نايف النجم: اليهود والإمتيازات الأجنبية في بلاد الشام، مجلة آداب الفراهيدي، ع 09، كانون الأول 2011م، ص 155.

[3]- إدريس الناصر رائسي: المرجع السابق، ص 265.

[4]- سهيلة أحمد سرير: المرجع السابق، ص 15.

[5]- ناهي أسماء، بلال أمينة: الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1800- 1830م، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة خميس مليانة، 2015- 2016م، ص 09.

– إرسال رسالة قوية لأعداء الدولة العثمانية مفادها أنه في خضم الانتصارات العظيمة للسلاطين يتفضل السلطان بكرمه على دول تطلب العفو والمساعدة ومنحها تسهيلات قد تكون أكثر مما ترغب أما التي تتجاهر بالعداء فيجاهرها السلطان بعداء أدهى وأمر.

– اعتقاد السلاطين أن هذه الامتيازات تعتبر تكريما لهم والتي يعتبرونها نصرا سياسيا ودبلوماسيا لما تضمنته من تسهيلات لرعاياه خاصة ورعايا أوروبا عامة داخل الدولة العثمانية.[1]

2- بالنسبة للجانب الفرنسي:

– الرغبة في تسجيل مكاسب أمام ملوك أوروبا عبر عقد الاتفاقيات السياسية مع السلطة العثمانية في الوقت الذي كانت فيه جبهات الصراع مشتعلة في أكثر من منطقة ما بين دول أوربا.

– تحديد السياسة الروحية على العالم المسيحي في أوروبا، ففي ظل التنافس المسيحي من خلال تعدد المذاهب والمرجعيات الروحية للأوروبيين وفي ظل دخولهم خضم هذا الصراع من خلال تبني أفكار مذهبية فأرادت فرنسا أن ترعى شؤون الطوائف الغربية دون استثناء.

– الرغبة في كسب ود الدولة العثمانية والتقرب من الباب العالي نظرا لما مثلته من قوة جعلها تهيمن على أوروبا وفي نفس الوقت سيطرتها على الطرق التجارية القادمة من الهند، فسعت فرنسا للمحافظة على مصالحها التجارية التي توارثتها في الشرق الإسلامي.

– لم يكن لفرنسا قوة بحرية كافية لمنافسة إسبانيا والبرتغال لهذا لجأت للأسطول العثماني.[2]

– تحسين شروط التجارة الفرنسية وحمايتها ورغبتها في إحداث تسهيلات واسعة في القطاع التجاري وخفض الرسوم التي تفرض على التجار الفرنسيين وتوفير مستوى مقبول من الأمن الذي يعد أهم عامل في نجاح أي تجارة.[3]

---

[1]– إبراهيم ربايعة، المرجع السابق، ص 93.

[2]– إدريس الناصر الرائسي: المرجع السابق، ص 265.

[3]– إبراهيم ربايعة: المرجع السابق، ص 91.

– لهذا عقدت الدولة العثمانية عدة اتفاقيات مع العديد من الدول الأوروبية وأصبحت تسمى بالامتيازات الأجنبية عام 1535م ويعد هذا العام البداية الحقيقية للامتيازات.[1]

إذ شهدت أوروبا خلال النصف الأول من القرن السادس عشر (16) م صراعا بين أسرة هابسبورغ[2] المتمثلة في شارل الخامس[3] وبين فرانسوا الأول[4] من أسرة آل فالو[5] حيث كان فرانسوا الأول يأمل في الوصول إلى عرش الإمبراطورية المقدسة[6] والزحف على القسطنطينية واستخلاصها من العثمانيين لكن صراعه مع إسبانيا غير الموازين.[7]

لهذا رأى أن يستغل مكانة وقوة الدولة العثمانية ويكسبها صديقا له معتقدا أن الدولة العثمانية هي التي ستحد من طموحات شارل الخامس، وبدأت العلاقات العثمانية الفرنسية في معركة يافا التي أسر فيها ملك فرنسا فرانسوا الأول عام 1525م، فأرسلت والدته الوصية على العرش مبعوثها ومعه خطاب منها ومن الملك الأسير يطلبان فيهما مهاجمة قوات عائلة الهابسبورغ وإطلاق سراح الأمير، فبعد إطلاق سراحه أرسل عام 1535م إلى السلطان

---

[1]– نايف عبد نايف النجم: المرجع السابق، ص 154.

[2]– من أشهر العائلات الملكية في أوروبا تولى أفراد هذه العائلة الحكم على عروش مختلفة في أوروبا من ق 13 إلى أوائل ق 20 م وينتسب اسمهم لإحدى القلاع التي امتلكوها والتي بنيت في سويسرا عام 1020م، أنظر، سهيلة أحمد سرير: المرجع السابق، ص 14.

[3]– 1500– 1558 حفيد فرديناند وإيزابيلا ملكي إسبانيا أصبح الملك الأول لإسبانيا عام 1516م والإمبراطور الروماني المقدس سنة 1519م حارب العثمانيين خوفا من اجتياحهم لأوروبا لكن محاولاته فشلت، أنظر:نفسه: ص 14.

[4]– أصبح ملك فرنسا عام 1515م كانت مصالحه تتعارض مع مصالح الإمبراطورية المقدسة وكان له صراع مع شارل الخامس دام عدة سنين وانهزم في معركة بافيا عام 1525م، أنظر، نفسه:ص 15.

[5]– هي أسرة حكمت فرنسا من عام 1328 إلى 1589م وسميت كذلك نسبة إلى مقاطعة تقع شمال فرنسا وكان لها دورا كبيرا في تحريك العالم خلال القرن 16 أنظر، زينب عصمت راشد: تاريخ أوروبا الحديث، ج1، ط1، دار الفكر العربي للنشر و التوزيع، القاهرة، د ت، ص 16.

[6] -scipion ;MARIN: conduit de la France envers la turquie grinbert et popez libriraires. Paris.1840.p 6.

[7]– جلال يحي: أوروبا في العصور الحديثة، ط1، دار الهيمنة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1891، ص 432.

سليمان القانوني[1] بهدف عقد تحالف في شكل معاهدة سميت فيما بعد بمعاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية.[2]

كما سعى سليمان القانوني إلى استغلال الظروف التي كانت تعانيها أوروبا من صراع وتنافس كبيرين باعتبار أن المعاهدات حقوق كفلتها الشريعة لأهل الذمة سواء التجارية أو غيرها وكان هدفه من هذه المعاهدة هو إضعاف الإمبراطورية المقدسة وإبقاء أوروبا مقسمة واحتوت هذه المعاهدة على ستة عشرة (16) بندا ومن أهم ما جاء فيها:[3]

- حرية التنقل والملاحة في سفن مسلحة وغير مسلحة بحرية تامة.
- حق التجارة والمتاجرة في كل أجزاء الدولة العثمانية بالنسبة لرعايا ملك فرنسا.
- تدفع الرسوم الجمركية وغيرها من الضرائب مرة واحدة في الدولة العثمانية.
- الضرائب التي يدفعها الفرنسيون في الدولة العثمانية هي نفسها التي يدفعها الرعايا الأتراك.
- حرية العبادة لرعايا الملك ومنع استعباد رعية الملك.
- في القضايا المختلفة التي يكون أحد أطرافها رعية من رعايا السلطان العثماني لا يستدعي ولا يستجوب رعية الملك الفرنسي ولا يحاكم إلا بحضور ترجمة القنصلية الفرنسية[4]، وفسر عقد الدولة العثمانية لهذه المعاهدة عدة تفسيرات منها:
- أن الدوافع السياسية كانت العامل الأهم لكسب ود فرنسا إلى جانبها، وهناك من يعطي الأولوية للجانب الاقتصادي بعد أن شعرت الدولة العثمانية بالقلق جراء تحول تجارة الشرق

---

[1]- ولد في مدينة طربزون 1495 حيث كان والده آنذاك واليا عليها، اهتم به والده اهتماما عظيما فنشأ محبا للعلم والعلماء واشتهر منذ شبابه بالجدية والوقار، ارتقى إلى العرش في السادسة والعشرين من عمره، كان متأنيا في جميع شؤونه ولا يتعجل الأعمال التي يريد تنفيذها، ساهم مساهمة فعالة في بناء الدولة العثمانية، ويعتبر عهده (1520- 1566) من أزهى مراحل التاريخ العثماني، أنظر،إدريس الناصر رائسي: المرجع السابق، ص 255.

[2]- علي محمد محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 63.

[3]- سهيلة أحمد سرير: فتحية حاج بن فطيمة، المرجع السابق، ص 19.

[4]- علي محمد محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 203.

من أراضيها نحو طريق رأس الرجاء الصالح وزيادة الاهتمام بالأراضي الجديدة في قارة أمريكا على حساب الشرق[1] وكانت من نتائج المعاهدة زيادة التعاون بين الأسطولين الفرنسي والعثماني وشن الأسطول العثماني هجمات قوية على شواطئ مملكة نابولي واستفادت فرنسا من تقاربها مع الدولة العثمانية واتخذت من هذه المعاهدة وسيلة لفتح أبواب التجارة مع المشرق إلا أن هذه المعاهدة لم يستفد منها رعايا الدولة العثمانية وكأنها عقدت فقط لتلبية المطالب الفرنسية وكانت هي الأساس الذي سارت عليه نهج الكثير من المعاهدات.[2]

وبعد موت فرانسوا الأول حذى ولده هنري الثاني حذوه ونسج على منواله في موالات الدولة العثمانية والمحافظة على توثيق الألفة والإتحاد معها للاستعانة ببحريتها عند الحاجة فعقد معها معاهدة 1553م[3] ونصت هذه المعاهدة على بند يسمح فيه السلطان لسفير فرنسا (جبريل درامون) بزيارة بيت المقدس ومقابلة الرهبان وجعل الكاثوليك المستوطنين بأراضي الدولة العثمانية تحت حماية فرنسا.[4]

وتمتع الفرنسيون إثر معاهدة 1535م من إعفاء تجارها من الخضوع للقانون الضرائبي العثماني، كما تمتعوا برسوم جمركية منخفضة ومنحوا حق حماية وحراسة الأماكن المقيمين فيها.[5] كذلك حصلت على امتيازات سنة 1569م وشملت السماح بالتنقل في كافة أنحاء الدولة وحصلت فرنسا بعد ذلك على مباني لها للسفارة في بيروت وطرابلس ولبنان.[6]

---

[1]– نايف عبد نايف النجم: المرجع السابق، ص 154.

[2]– علي محمد محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 204.

[3]– محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس للنشر والتوزيع، لبنان، 1981م، ص 241.

[4]– فردوس بنت حافظ محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص 142.

[5]– حسان حلاق، تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر: ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 2000م، ص 31.

[6]– فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري: المرجع السابق، ص 156.

كما تحصلت فرنسا على امتياز سنة 1604م أكدت في المادتين الرابعة والخامسة حماية الرعايا الفرنسيين وحريتهم في ممارسة دياناتهم[1] وحصلت كذلك على امتياز سنة 1740م والتي أصبحت من خلالها تطالب بحماية جميع الكاثوليك الشرقيين.[2]

وقد أصبح للفرنسيين في القرن السابع عشر مجالا كبيرا في التجارة، كما كانت الدول الأوروبية الأخرى مثل بريطانيا وهولندا تتاجر تحت العلم الفرنسي طبقا للمعاهدات المبرمة بين الطرفين كما أعطت هذه الامتيازات لفرنسا الحق في فرض حمايتها على الرعايا الأوروبيين وحماية الأقليات[3] الدينية داخل الأقاليم العثمانية وعلى النقيض من ذلك فإن التجار العثمانيين لا يحق لهم ممارسة شعائرهم الدينية في فرنسا.[4]وقد لعبت هذه الامتيازات دورا بارزا في تحالف القوى الأوروبية ضد العثمانيين إذ تركت نتائج سلبية انعكست بدورها على نمط العلاقات ولم يقتصر على الجانب الاقتصادي فقط بل طال الجانب العسكري والسياسي فهذه الامتيازات التي مثلت مرحلة القوة والهيمنة العثمانية في القرن السادس عشر أضحت تمنح في القرون التالية أما نتيجة الضغط الأوروبي أو تفرض عليها شروطها وبذلك تنامت الأطماع الأوروبية[5] وتحولت المعاهدات الفرنسية إلى أداة تقبض على عنق الدولة العثمانية من خلال فترة الضعف الطويل وتحت ستار الامتيازات أصبحت فرنسا تتدخل في شؤون السلطنة الداخلية فبذلك نشطت مؤسساتها الثقافية وإرسالياتها التبشيرية لتسريب ثقافات ومفاهيم غربية وبفضلها أيضا حصلت فرنسا على مكتسبات من العثمانيين أبرزها تحريك

---

[1]– كمال حسنة: العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789– 1807م، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2005– 2006، ص 42.

[2]– عبد الرؤوف سنو: تطور الاتجاهات الإسلامية في الدولة العثمانية من التنظيمات في نهاية عصر السلطان عبد الحميد الثاني، المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، 1996م، ص 25.

[3]– مجموعة من سكان قطر أو إقليم دولة تحالف الأغلبية في الانتماء العرقي أو اللغوي أو الديني، أنظر، مسعود الخوند: المرجع السابق، ص 244.

[6]– فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري: المرجع السابق، ص 113.

[5]– إدريس الناصر رائسي: المرجع السابق، ص 344.

سلعها مقابل ضريبة زهيدة[1] وتطورت هذه الامتيازات من معاهدات تجارية عادية بين الدولتين إلى جوازات رسمية تتيح التدخل في شؤون الدولة العثمانية حيث شكلت هذه الامتيازات عقبة أمامها حالت دون قيامها بتنفيذ مشروعات إصلاحية وكانت هي الباب الذي دخلت منه فرنسا لتحقيق أغراضها.

2/ التواجد الأوروبي بالمنطقة:

لقد استفادت الجاليات الأوروبية[2] من تغطية الامتيازات وحصلت على ترخيص رسمي لها للعمل داخل بلدان الشام[3] وكانت هذه الجاليات وسيلة للتغلغل فهي مهدت بشكل مباشر أو غير مباشر لتثبيت أقدام بلدانها[4] وإن هدف إقامتهم في بلاد الشام كان هدفا تجاريا، وفي الواقع لم يفد إليها سوى التجار وعملائهم ولم يتجاوز الأوروبيون هدفهم التجاري إلا في النصف الثاني من القرن السابع عشر حينما ضعفت الدولة العثمانية الحاكمة، ولقد كانت التجارة نفسها مقيدة من قبل الدول الأوروبية أي غير حرة ومفتوحة لجميع سكان الدولة وإنما محتكرة من قبل مدينة كمرسيليا في فرنسا، فالدول الأوروبية المتعاهدة مع الدولة العثمانية للإتجار على أراضيها ولم تترك إذن لجالياتها[5] وانما سعت لتنظيمها والاشراف عليها و توجيهها وهذا ما ساعد في انتشار الإرساليات التبشيرية في بلاد الشام حتى أنهم

---

[1]– عبد الرؤوف سنو: المرجع السابق، ص 06.

[2]– تعتبر جدولا صغيرا من هجرة الأوروبيين التي قدمت لبلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر وليس ضروريا أن تضم الجالية عناصر من نفس الدولة بل يمكن أن ينضم إليها في الإدارة والإقامة عناصر من بلدان أخرى وكانت تؤلف أشبه ما يكون بجمهوريات صغيرة في نطاق الدولة العثمانية، أنظر، ليلى الصباغ: الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ط1، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، لبنان، 1989م، ص 534.

[3]– غانية بعيو: التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية، الشام والعراق أنموذجا، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2008– 2009، ص 60.

[4]– إدريس الناصر رائسي: المرجع السابق، ص 349.

[5]– ليلى الصباغ: المرجع السابق، 534.

استطاعوا أن يقيموا لهم بطركا سنة 1724م[1] ومن أبرز هذه الإرساليات نجد طائفة الكاثوليك والتي أحرزت تقدما كبيرا في المنطقة يعود ذلك إلى النفوذ الذي حصلت عليه فرنسا الكاثوليكية في شؤون الدولة العثمانية، كذلك إنشاء الهيئة الكاثوليكية سنة 1266م التي أنشأها البابا جوجوري الخامس عشر للإشراف على هذه البعثات.[2]

ومنحت الدولة العثمانية الأديرة المسيحية في ولاية سوريا امتيازات خاصة فأعفتهم من الرسوم وأصدرت سنة 1864م نظاما تضمن إعفاء جميع أصناف الرهبان عن تبعية الدولة العثمانية والدول الأجنبية والمذاهب المختلفة وإعفاء أديرتهم من الرسوم الجمركية وبموجب هذا النظام أعفيت جميع الأشياء الخاصة بتزيين الكنائس ولوازم الرهبان ومدارس الأديرة والأماكن الخيرية التي يديرونها مثل العيادات الصحية والصيدليات وملاجئ الأيتام وغير ذلك[3] ومنحت لهم امتيازات فاقت ما تمتع به المسلمون في السلطنة فاستفادوا من الإعفاء من الخدمة العسكرية والاستقلال الذاتي في الشؤون الدينية والاجتماعية والتعليمية واحتفاظهم بحرياتهم الدينية والثقافية[4] وضمنت الدولة العثمانية لرؤساء الطوائف المسيحية في بلاد الشام قدرا كبيرا من الاحترام وأنعمت عليهم بالأوسمة والألقاب كما سمحت لهم بإعادة بناء وتجديد كنائسهم على أن تكون الأرض ملكا للطائفة وأن لا يكون للطوائف الأخرى علاقة بها[5]،

---

[1]– هي البعثات التي توفد من الهيئات المسيحية لتبشير الناس بالإنجيل، وأغلب أعضاؤها من المثقفين الذين تخرجوا من مدارس التبشير وهؤلاء حين يذهبون إلى بلد ما يؤسسون به كنيسة لهم أو أكثر، ونمت هذه الإرساليات بعد الحروب الصليبية، أنظر،عبد الجليل شلبي: الإرساليات التبشيرية كتاب يبحث في نشأة التبشير وتطوره وأشهر الإرساليات التبشيرية ومناهجها، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ت، ص 149.

[2]– جوزيف أبو نهرا:المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني، مركز الشرق المسيحي للبحوث والمنشورات، جامعة القديس يوسف، 2013م، ص 33.

[3]– عبد العزيز عوض: المرجع السابق، ص 312.

[4]– عبد الرؤوف سنو: المرجع السابق، ص 11.

[5]– عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص 44.

وكثيرا ما ساهم السفراء الفرنسيين في حل المشاكل التي تعترض سبل جالياتها والسهر على راحتهم باعتبارهم على اتصال مستمر مع الدولة العثمانية[1].

وأصبحت سوريا في القرن السابع عشر مركزا لقنصليتين فرنسيتين رئيسيتين إحداهما في حلب وثانيتها في صيدا، وقد حاولت فرنسا إقامة قنصلية في القدس لأسباب دينية إلا أنها أخفقت فكلف قنصل صيدا بشؤون بيت المقدس.

وكانت فرنسا تسعى لتثبيت نفوذها الديني عن طريق إقامة كنائس سرية وتشجيع البعثات التبشيرية ومساعدتها، وحملت هذه الجاليات إلى جانب التجار رجال الدين ومبشرين مما جعلها مركز جذب للمسيحية العالمية حتى أنهم أصبحوا يقيمون الطقوس الدينية في كنائس القنصليات.[2]

لقد تمثلت أهداف الجاليات في نشر المذهب الكاثوليكي في بلاد الشام وتثبيت أقدام أوروبا في الشرق وأخذ الملك لويس الرابع عشر على عاتقه مهمة الاهتمام بهم ومساعدتهم وحمايتهم، وكانت البعثات التبشيرية ترسل أفضل رجالها وأبلغهم لغة وأكثرهم تأثيرا وأعمقهم علما ومعرفة، ولم تكن الدولة العثمانية مهتمة كثيرا بهذا، وقد أدرك المبشرون هذه الناحية فنصحوا أن لا يكون التحويل عن الدين جماعيا وإنما فرديا وسرا.[3] وازدادت هجرة الجاليات الأوروبية أوائل القرن التاسع عشر حتى أصبحت المدن تعج بالآلاف من الأجانب مما سهل عليهم الاستيلاء على مرافق الاقتصاد من مال وتجارة وساعدهم في ذلك نظام الامتيازات من أيام سليمان القانوني فأقاموا من المصانع والمتاجر الكثير واشتروا من الأرض وارتهنوا من العقار قدرا وفيرا.[4]

---

[1]– كمال حسنة :المرجع السابق، ص 42.

[2]– ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص ص 604، 605.

[3]– نفسه: ص ص 82،822.

[4]– حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط1، مطبعة حجازي في القاهرة، د م، 1938م، ص 61.

ولعل من أهم النتائج التي أحدثها التدخل الأوروبي المتنوع في بلاد الشام هي اندلاع الأحداث الطائفية في مختلف أنحاء البلاد الشامية لا سيما في جبل لبنان وبيروت ودمشق[1]واتخذت منحنى خطيرا ليس من حيث بشاعة المجازر التي ارتكبت فيها وإنما من حيث زيادة التدخل الأجنبي في الشؤون المحلية وإدعاء حق الحماية للمجموعات الطائفية والمذهبية في المنطقة لدى كل دولة من الدول الأوروبية.[2]

وهكذا تحول المسيحيون بفعل شبكة الروابط الاقتصادية والثقافية التي أقاموها مع الغرب إلى أقليات داخل السلطنة تتطلع للتخلص من الحكم العثماني الإسلامي، وقد شكلت هذه الجاليات ظاهرة اجتماعية خطيرة لما تقوم به من تهجم على الإسلام وتحريف مقاصده.[3]

3/ أثر الحكم المصري على بلاد الشام:

تعرضت الدولة العثمانية لعديد من الأزمات الداخلية منها والخارجية[4] مما جعلها تطلب المساعدة من محمد علي باشا[5]الذي استطاع أن يحرز الانتصارات في جميع المهام التي كلف بها، إلا أن هذه الانتصارات حركت أطماعه ورغبته في مكافأته بتوسيع رقعة حكمه.[6]

---

[1]– عاصمة الجمهورية العربية السورية وأكبر عددها سكانا تقع في جنوب غرب البلاد، بها قصر آل العظم وهي من أقدم المدن وأعرقها، أنظر، كمال موريس:المرجع السابق، ص 232.

[2]– محمود سليمان: السمات العامة للقرن التاسع عشر في طرابلس مشروع إحياء الوثائقي والثقافي لمدينة طرابلس، د.د.ن، د م، د ت، ص 06.

[3]– أمل عاطف محمد الخضري :التنصير في فلسطين في العصر الحديث، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2004، ص 73.

[4]– مارس 1821م اندلعت الثورة في شبه جزيرة بيولوبونس الجنوبية وانتشرت وسط اليونان ومقدونيا وبحر إيجا وكريت، وجد العثمانيون أنفسهم يخوضون المعارك على عدة جبهات في وقت واحد فلجئوا إلى محمد علي، أنظر، يوجين روجان: العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، ترجمة، محمد إبراهيم الجندي، ط1، هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2011، ص 98.

[5]– من الأسرة الخديوية المصرية كان يثق بالأمة الفرنسية كثيرا خاصة بعد توليه الحكم في مصر واستخدامه أفرادا منهم في مصلحة البلاد وأكسبته تجارته شهرة واسعة وثقة عظمى لدى عملائه كما تجند في البحرية وعند حكمه لمصر قام بعدة إصلاحات، أنظر، جرجي زيدان: تراجم ومشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، ط1، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، مصر، د ت، ص 40.

[6]– هدى علي بلال: الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه 1830– 1841 مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 10، العدد 4، ص 341.

إلا أن طموحه تناقض مع سياسة الدولة فكانت نتيجتها أن السلطان لم يفي بوعده الخاص بمنح محمد علي ولاية الشام واكتفى بمنحه مدينة كريت بدلا من بلاد الشام كما اتخذ السلطان تعيين واليا جديدا على مصر بدلا منه، لذا قرر أن ينتزع الشام بالقوة فوجه حملته إليها بقيادة ابنه إبراهيم[1] باشا سنة 1831م الذي بادر باقتحام ولاية عكا ملحقا الهزيمة بجيشها وأحتل مدينة دمشق دون مقاومة تذكر وهزم القوات العثمانية بقرب مدينة حمص[2] ولم يكاد ينتهي شهر جويلية حتى تمت سيادة محمد علي على الديار الشامية كلها[3] فلجأ السلطان العثماني لطلب المساعدة من الدول الأوروبية الكبرى إلا أن فرنسا ساندت مصر ورفضت تقديم المساعدة للسلطان.

أما روسيا فوقفت إلى جانب العثمانيين وكانت إنجلترا في موقف حرج إذ كانت ضد محمد علي وفي الوقت ذاته تتوجس خيفة من تطور الخلاف العثماني المصري لهذا فعلت كل ما في وسعها لحسم الخلاف.[4] والاحتفاظ بكامل الأراضي العثمانية، وفي هذه الحالة لم يبقى لدى السلطان العثماني وسيلة أخرى سوى التماس المعونة من روسيا، وكان انتصار محمد علي باشا باعثا لقلق الروس ويعتبر تدخلها لإنقاذ القسطنطينية من إمكانية وقوع انقلاب يضر بهم، في 20 فيفري 1833م دخل الأسطول الروسي مياه البوسفور وشرع في 23 مارس من نفس السنة من إنزال الفيلق الروسي الذي كان قوامه 20 ألف محارب.[5]

وبذلك أرغمت الدول الأوروبية وبالذات فرنسا وبريطانيا محمد علي لإيقاف الحرب وتقرير قاعدة للصلح بينه وبين السلطان العثماني وذلك لتحقيق أطماعهم السياسية ومقاصدهم

---

[1]– هو نجل محمد علي باشا وكان ساعد والده الأيمن في سائر أعماله العسكرية تولى الإمارة المصرية بعد تنازل أبيه فسار على خطواته ولم يطل حكمه إلى 11 شهرا وتوفي قبل والده، انظر، جرجي زيدان: المصدر السابق، ص 44.

[2]– ملحق رقم (06) ص 143، خارطة تبين خط سير حملة إبراهيم باشا على سوريا، مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تح وتق، أحمد عدنان سبانو، ط1، د.د.ن، د م، د ت، ص 06.

[3]– غنية بعيو: المرجع السابق، ص 63.

[4]– لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، دط ، دار الفرابي للنشر والتوزيع، لبنان، 1985م، ص 120.

[5]– نفسه: ص 122.

الخصوصية، وعقدت على إثرها معاهدة كوتاهية[1] في 03 ماي 1838م وتم بمقتضاها أن تكون روسيا قسما من مملكة مصر وإبراهيم باشاحاكما عليها.[2]

وبدأ على إثرها إبراهيم باشا بتوجيه الإدارة في الشام وجهة علمانية، فشارك النصارى في الحكم حيث ألف في كل مدينة ما يسمى "ديوان المشور" يتراوح عدد أعضائه ما بين 12 إلى 21 عضوا للنظر في مصالح كل بلدة ومثال ذلك ديوان بيروت يتألف من 12 عضوا منهم ستة (06) مسلمين و ستة (06) مسيحيين.[3]

والجدير بالذكر أن إبراهيم باشا قد سهل للأوروبيين الانتشار الثقافي وسمح لهم بفتح قنصليات داخل البلاد مع توسيع النشاط التبشيري والاعتراف بالمؤسسات التابعة له، كما سمح لعلماء الآثار بالتنقيب عن الآثار في الأراضي المقدسة وإعداد الدراسات لهم[4]، وتقربت الإدارة المصرية في الشام من النصارى وسمح لهم إبراهيم باشا بإعادة بناء الكنائس والمعابد وتقديم التسهيلات لهم وهذا ما أدى إلى غضب المسلمين لأنهم لم يقبلوا هذا الوضع. فذهب عدد من العلماء إلى إبراهيم باشا يشكون له الوضع، لكنه سخر منهم وأصبح يحضر احتفالات النصارى[5]، وتمتع اليهود والمسيحيون بحريات أفضل لأن سياسته اتسمت بالتسامح الديني وكذلك لانتشار التعليم المسيحي[6] وأمر إبراهيم باشا بأن يصير في الشام خمارة وهذا ما لم يصر فيها من قبل وأصبحت بيوت النصارى واليهود مكانا لبيعه، كما قام :

بزيادة وتنشيط التجارة الداخلية والخارجية.

إلغاء الحظر المفروض على الطوائف غير المسلمة والتي أوجدها العثمانيون.

---

[1]– تقع غرب الأناضول على بعد مائتي كلم من إسطنبول، أنظر، يوجين روجان: المصدر السابق، ص 104.

[2]– نفسه: ص 44.

[3]– عبد الرزاق عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 12.

[4]– أمل عاطف محمد الخضري: المرجع السابق، ص 61.

[5]– عبد الرزاق عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 13.

[6]– مفيد الزيدي:المرجع السابق، ص 198.

أعتمد في قواته العسكرية على الأجانب[1] وفتح هذا التسامح بابا واسعا أمام نشاط البعثات التبشيرية الأجنبية وخاصة الفرنسية بعد أن كان محدودا منذ بداية (الامتيازات الأجنبية المعطاة بصورة خاصة للفرنسيين) وكانت بيروت مركز الجذب الأساسي للعمل التبشيري ومنها انطلق إلى جميع أنحاء الشام فكادت لغة التخاطب اليومي تطغى على الفصحى وتفسدها وبلغ الفساد الذي أصاب اللغة الفصحى في مطلع القرن الثامن عشر (18) كبير وأدى إلى انحطاط خطير[2] وقد ظهر الحكم المصري على أنه يحمل عوامل تساعد في بعث الإرساليات التبشيرية.[3]

إن طبيعة السياسات التي طبقها إبراهيم باشا في بلاد الشام قد أثارت استياء الأهالي وظهرت بوادر الرفض والتمرد، وقاوم الأهالي الحكم المصري باعتباره حكما خارجيا فأجبر على الانسحاب بفعل الضغوط الأوروبية ولاحق الأهالي الجيش المصري المنسحب وألحقوا به الخسائر.[4]

4/ الإصلاحات العثمانية في بلاد الشام:

جاءت الإصلاحات في ظروف عصيبة لا تخلو من الضغوط الأوروبية للسيطرة على الدولة العثمانية[5] فبعد خروج الجيش المصري عادت السلطة العثمانية مجددا لحكم المنطقة لكنها عادت متأثرة بتجربة الحكم المصري وبدأت بتطبيق سياسة الإصلاحات وصممت على تغيير أسلوب الحكم والإدارة وإجراء إصلاحات شاملة على النمط الغربي[6] فكان هدف الدول

---

[1]– مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 15.

[2]– مسعود الخوند: المرجع السابق، ص 25.

[3]– عبد الرزاق عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 13.

[4]– بسام عبد السلام البطوش: المرجع السابق، ص 56.

[5]– غانية بعيو: المرجع السابق، ص 61.

[6]– بسام عبد السلام البطوش: المرجع السابق، ص 56.

الأوروبية في تدخلها لانسحاب المصريين هو زيادة نفوذها في الشام[1] فبعد أن ساندتها أصبحت الدولة العثمانية مدينة لهم ومضطرة للتقيد بتوجيهاتهم المشروطة والمفروضة عليهم فأصدرت الدولة العثمانية هذه الإصلاحات إرضاءا لهذه الدول وتولى مسؤولية ذلك عددا من الوزراء الذين عرفوا برجال الإصلاحات وقد تمت الإصلاحات في مرحلتين:

1- التنظيمات الخيرية وتبدأ من سنة 1839- 1876م[2] وتشمل عصري السلطان عبد المجيد[3] وعبد العزيز الثاني[4].

3- تعرف بالمشروطية وتشمل عصر عبد المجيد الثاني[5] 1876- 1908م.

---

[1]- إلياس شوفالي: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949م، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، 1996، ص 270.

[2]- غانية بعيو: المرجع السابق، ص ص 98، 99.

[3]- إبن السلطان محمود الثاني تولى الحكم وعمره 18 سنة وأقام خسرو باشا صدرا أعظم فلم يستطيع أن يستميل إليه كبار رجال الدولة وقد جاراهم في بعض الأمور فوقع النفور بينه وبينهم، وفي عهده عقد معاهدة باريس، وتفرغ السلطان لسن التنظيمات المتعلقة بالتجارة والصناعة وأسس محاكم التجارة واعتنى بنشر المعارف والعلوم وتعميم العدالة والأمن، دفن جوار جامع السلطان سليم، أنظر، حضرة عزتلو يوسف بك آصاف: المرجع السابق، ص ص 120، 121.

[4]- ابن السلطان محمود الثاني ولد في إستنبول 1245 هـ أتقن اللغة الفرنسية وأجادها تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة أخيه السلطان عبد المجيد وكان عمره إثنان وثلاثين عاما، صادف في أوائل حكمه أعمال التمرد فعمل على القضاء عليها ونجح في ذلك بعد تنازله عن أجزاء من الدولة العثمانية في البلقان، غير أنه سرعان ما واجه مشاكل أخرى من اليونانيين الراغبين في إلحاق جزيرة كريت بهم، إلا أن الأمر إنتهى لصالح الدولة العثمانية، أنظر،محمد خيرة فلاحة: الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، دراسة موضوعية تبين أحوال السلطنة وما كانت عليه من حضارة التزيين وما تلاها من تهود العابثين،دط، د.د.ن، دم، دت، ص 68.

[5]- هو السلطان الرابع والثلاثين (34) من سلاطين الدولة العثمانية استفاد كثيرا من أعمال عمه عبد العزيز استلم الحكم في 31 أوت 1872م في وقت عصيب وحاسم في حياة الأمة الإسلامية عامة والدولة العثمانية خاصة فقد أحقدت بها الأخطار من الداخل والخارج واجتمعت عليها عوامل الهدم، حاول إدخال اللغة العربية كلغة رسمية للدولة في الحكومة والتعاملات إلا أنه اصطدم مع القوميين الأتراك الذين خافوا من زوال التحكم والسيطرة التركية على الدولة لو عربت الدواوين، فجعل المدارس والجامعات تحت رقابته وإشرافه الخاص مباشرة ومنع الإختلاط فيها، أنظر، نفسه: ص70.

وهذه الإصلاحات هي خط شريف كلخانة[1] سنة 1839م، الخط الهمايوني[2] 1856م صدر عند تولي عبد الحميد الثاني السلطة وكذلك الدستور الذي أصدره سنة 1876م.[3]

وجاءت الإصلاحات إرضاء للدول الأوروبية وكسب دعمها وتمت بتأثير دافعين أساسيين: تمثل الأول: في إقناع رجال الدولة بضرورة الإصلاح بعد الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية وخسارتها قسم من أراضيها إثر ثورة اليونان وسيطرت محمد علي باشا على بلاد الشام، أما الدافع الثاني: هو ضغط الدول الأوروبية على السلطات العثمانية ومطالبتها بإصلاح أحوال المسيحيين التابعين للسلطنة فسعت هذه الإصلاحات إلى اقتباس النظم الأوروبية دون المساس بالأحكام الشرعية.[4]

1-خط شريف كلخانة 1839م:

صدر مرسوم الكلخانة في بداية عهد السلطان عبد المجيد كفرمان سلطاني قرئ في بهو الكلخانة[5] بحضور كبار رجال الدولة وعلماء الدين وسفراء الدول الأجنبية ورؤساء الأقليات الدينية[6] ويعتبر مرحلة هامة من مراحل التحديث التي شهدتها الدولة العثمانية منذ القرن

---

[1]- صدر إبان فترة الإصلاح في الدولة العثمانية ويهدف إلى إعادة ترتيب وتنظيم القوانين والأنظمة الأساسية للدولة على أسس جديدة في جميع الميادين والاتجاهات والعمل على تحسين نظم الحكم والإدارة في عاصمة الدولة وإيالاتها، أنظر، عبد العزيز محمد عوض: المرجع السابق، ص 30.

[2]- الإسم العام الذي يطلق على الأوامر الصادرة من السلاطين وبكتابة أيديهم أو ما حرره الكتاب وأمضاه السلطان، كما أنه يطلق على التعليقات المدونة من السلاطين على الملخصات المقدمة من الصدور العظام، ويطلق كذلك على الأوامر الصادرة من السلاطين ويسمى هذا النوع (الخط الهمايوني) على الأبيض أي الورق الذي لا يحتوي أي كتابة، وقد سمي الخط الهمايوني بالخط الشريف أيضا، أنظر،سهيل صابان: المرجع السابق، ص ص 101، 102.

[3]- غانية بعيو: المرجع السابق، ص ص 98، 99.

[4]- جوزيف أبو نهرا: المرجع السابق، ص 60.

[5]- تعني عريشة الورد وهو مكان في حديقة قصر السلطان، أنظر،اينل ألكسندرو فنادولينا: الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن 19 م، تر أنور محمد إبراهيم، ط1، المجلس الأعلى للثقافة والنشر والتوزيع، د م، 1999م، ص 175.

[6]- جميل موسى النجار: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد والي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني 1869-1917م، ط1، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م، ص33.

التاسع عشر (19)م وتولى إشرافه رشيد باشا[1] بعد وفاة محمود الثاني، حيث كان يرى أن الدولة العثمانية يستلزم إعادة الوحدة التي كانت مصدر قوة الخلافة في أيامها الأولى وأن ذلك لن يتم إلا بتطوير المبادئ وجعلها شبيهة بالنمط الأوروبي وعلى أن تكون نقطة البداية هي مصلحة الرعايا المسيحيين وتحسين أحوالهم وجرى التأكيد فيه على:

- ضرورة إيجاد نظام ثابت للضرائب يحل محل الالتزام.
- ضرورة إيجاد ضمانات من جميع رعايا الدولة على حياتهم وأملاكهم.
- ضرورة توفير نظام ثابت للجندية بحيث لا يستمر مدى الحياة بل يحدد مدتها بين الأربع (04) إلى خمس (05) سنوات.[2]
- العمل على حفظ أرواح وأعراض وأموال مواطني الدولة وصيانتها ضد أي اعتداء.
- تنظيم الخدمة على أسس سليمة من حيث إعداد المجندين وتحديد مدة خدمتهم.
- تحسين أحوال موظفي الدولة وذلك بزيادة رواتبهم وصرف رواتب ثابتة للذين لم يخصص لهم رواتب بغرض القضاء على الرشوة.[3]

وقد أعتبر بعض الأوروبيين خط شريف كلخانة بمثابة العهد الأعظم بالنسبة للعثمانيين فقد حقق للمرة الأولى وبصفة رسمية المساواة بين جميع رعايا السلطان أمام القانون.

2- الخط الهمايوني 1856م

صدر في عهد السلطان عبد المجيد في 18 فيفري 1856م [4].

---

[1]- رجل الدولة 1800- 1808مم، تولى الشؤون الخارجية في وزارة خسرو باشا التي تشكلت عقب اعتلاء عبد المجيد عرش الدولة، ويعتبر المهندس الحقيقي لمنشور كلخانة والذي عرف بسعة إطلاعه وإجادته للغة الفرنسية، كما أنه عمل كسفير للدولة في باريس، وبعد أن تولى عدة مناصب دبلوماسية عين وزيرا للخارجية العثمانية سنة 1839م، أنظر، خلف بن دبلان: المرجع السابق، ص 154.

[2] – تيسير جبارة: المرجع السابق، ص 205.

[3] – جميل موسى النجار: المرجع السابق، ص 33.

[4] – ملحق رقم (1) ص 135،الخط الهمايوني https://ar.wikipedia.org/wiki/ 20 افريل 2018 سا 18:34

وأعلنه السلطان بعد انتصاره على حلفائه (إنجلترا، فرنسا، إيطاليا) على حرب روسيا[1] (حرب القرم)[2]

وقبل أسبوع من عقد مؤتمر باريس[3] وقرئ في الباب العالي بحضور وكلاء الدولة وأركانها ورؤساء مختلف الطوائف الدينية، وقد شكل هذا المرسوم مع مرسوم كلخانة الأساس الذي استندت عليه حركة الإصلاحات وما انتهت حرب القرم أعربت فرنسا وبريطانيا لحكومة الدولة العثمانية عن رغبتها في إزالة التمييز الذي كانت تتبعه الدولة العثمانية –حسب مفهومها– في معاملة مواطنيها وتطبيق مبدأ المساواة عليهم في جميع المجالات قطعا للطريق على روسيا في تدخلاتها في شؤون الدولة العثمانية الداخلية.[4]

وقد اهتم هذا الخط بصفة خاصة بالتأكيد على مبدأ المساواة القانونية والمدنية لكافة رعايا الدولة كذلك إقرار امتيازات الطوائف غير الإسلامية والسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية وبناء معابد يتوافر فيها السماح.

– إعلان المساواة في المعاملة بين جميع الطوائف ومنع استعمال الألفاظ التي تحط من قيمة غير المسلمين وتأمين الحرية الدينية لأهل كل مذهب.

---

[1] – عبد العزيز محمد عوض: المرجع السابق ،ص25.

[2] – لقد تحصلت فرنسا نتيجة الإمتيازات على حقوق ثابتة بجعل مفاتيح كنائس (أورشليم) بأيدي الكاثوليكيين فأرادت روسيا أن تتسلم مفاتيح الكنائس بأورشليم وتسلمها إلى القسس الأرثودوكس ليزداد نفوذهم في الشرق، فخاضت الدولة العثمانية حربها مع روسيا والتي نشبت حينما إمتنع السلطان عبد المجيد الموافقة على طلب روسيا حماية طائفة المسيحيين الأرثوذوكس من رعايا الدولة العثمانية ولما كانت مصالح بريطانيا وفرنسا لا تتفق ورغبة روسيا وقفت هاتان الدولتان إلى جانب العثمانيين وكانت النتيجة هزيمة روسيا، أنظر، مصطفى كامل: المسألة الشرقية، ط1، مطبعة الآداب للنشر والتوزيع، مصر، 1898، ص 112.

[3] – أقر مبدأ المحافظة على كيان الدولة العثمانية ومن خلال هذا المؤتمر تعهدت الدول الأوروبية (فرنسا، النمسا، بريطانيا، روسيا، بروسيا) بإحترام إستقلال الدولة العثمانية والحفاظ على أراضيها، أنظر، خلف بن دبلان: المرجع السابق، ص 156.

[4] – جميل موسى النجار: المرجع السابق، ص 46.

- فتح المجال أمام كافة رعايا السلطان للمساهمة في خدمة الدولة عن طريق تعيينهم في الوظائف واستفادتهم من الخدمات التعليمية.
- المساواة بين جميع رعايا الدولة في الحقوق والواجبات.
- وعد السلطان بإشراك رؤساء الجماعات والطوائف في مناقشات المجلس العالي المتعلقة بشؤونهم.[1]
- التأكيد على ما ورد في مرسوم كلخانة بخصوص رغبة الدولة لحفظ أرواح وأملاك وأعراض مواطنيها.
- تنظيم أعمال المحاكم وتقاضي المسلمين وغير المسلمين أمام محاكم واحدة في التجارة.
- تنظيم وإصلاح السجون وإعادة ترتيب أعمال دوائر الأمن.
- العمل على الاستفادة من العلوم والمعارف الأجنبية ووضعها على التعاقب في موضع الإجراء.

وبفضل هذا ظلت الدول الأوروبية تدعي حماية الطوائف المسيحية وزيادة الترابط بين الطوائف المسيحية من أجل تنظيم وتكوين المجالس المالية.[2]

وبهذين المرسومين بدأت الدولة العثمانية تستلهم الروح الغربية في الحياة وتستلهم الفكر الغربي في إقامة المؤسسات الإدارية والعسكرية تستنكر لأصولها وحضارتها وشريعتها الإسلامية[3]

إعلان دستور 1876م:

عندما تولى السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم كان الوضع الذي اشتغلت به الأوساط السياسية هو إقامة حكم دستوري، وكان رأي الصدر الأعظم مدحت باشا هو أنه إذا تحقق الحكم الدستوري وتشكل مجلس يعترف بوضع جديد للمحليين ووضعت الضمانات الدستورية

[1] – عبد العزيز محمد عوض: المرجع السابق، ص ص 204،205.

[2] – جميل موسى النجار: المرجع السابق، ص 46.

[3] – خلف بن دبلان: المرجع السابق، ص 154.

للمساواة بين رعايا الدولة دون النظر إلى أديانهم فلا شك أن ذلك سوف يخفف من وطأة الضغوط الأوروبية على الدولة العثمانية، ويعتبر هذا الدستور أول دستور تصدره الدولة وعرف وقتها بالقانون الأساسي[1] وقرأ عبد الحميد نسخة القانون الأساسي (الدستور) قائلا: "أن الدولة لا تتخلص من مشاكلها الحاضرة إلا إذا عملت حكومتها به"

أما مواد الدستور فكانت تقضي بمساواة عناصر الدولة وإتحادها تحت الحكم العثماني وإعطاء كل فرد حريته التي يبيحها له القانون، والمقارنة بين دخل الحكومة ونفقاتها[2]، كما نص أيضا:

- السلطان فوق القانون وهو صاحب القرارات العليا وبيده تعيين الوزراء وإقالتهم.
- اللغة التركية لغة رسمية للدولة.
- المساواة لكل رعايا الدولة دون استثناء ويتمتع الجميع بالحرية الشخصية[3]

وقد كان المؤيدون لهذا الدستور ينتظرون إعلان القانون بفارغ الصبر أما المعارضون فقد استنكروا صدوره لاعتقادهم أنه يمسخ شخصية السلطان، ويقلب الحكومة إلى جمهورية لا تحكم بكتاب الله وسنة رسوله.[4]

ولم تطبق الدولة العثمانية مبدأ المساواة بين المسلمين والرعايا إذ بقيت الخدمة العسكرية حتى سنة 1909م محصورة بالمسلمين، وظل المسيحيون يدفعون ضريبة خاصة بهم تحت اسم البدل العسكري الذي حل عمليا محل الجزية.[5]

وعلى الرغم من أن الإرساليات التبشيرية قد استفادت من الامتيازات في سبيل الحصول على مواطئ قدم في أرض الدولة العثمانية إلا أنها وسعت مع التنظيمات من نشاطاتها ومحاولاتها

---

[1] – غانم سمية: المرجع السابق، ص 31.

[2] – خلف بن دبلان: المرجع السابق، ص 157.

[3] – غانم سمية: المرجع السابق، ص 31.

[4] – خلف بن دبلان: المرجع السابق، ص 157.

[5] – جوزيف أبو نهرا: المرجع السابق، ص 27.

لتفويض المجتمع العثماني من الداخل، فبعد سبعة عشرة (17) يوما فقط على صدور خط كلخانة بدأت الإرساليات التبشيرية تكثف من وجدها في ولايات السلطنة وبدأ تدخل الدول الأوروبية لصالح إرسالياتها ونشاطاتها في السلطنة وبدأ الارتباط بين أهداف الإرساليات والسياسات العليا للدولة الأجنبية يظهر بوضوح على مدى القرن التاسع عشر (19) م

ولقد وجدت الإرساليات نفسها جزء من سياسة دولها في المنطقة مرتبطة بشكل كبير بمصالحها التجارية والاستعمارية عن طريق معرفة المبشرين لغة السكان المحليين وعاداتهم واستطاعوا أن يكونوا جسرا لسياسات دولهم في الدولة العثمانية.[1]

واستمرت الدول الأوروبية في الاستفادة من ضعف السلطنة لبسط حمايتها على المسيحيين ولتحريكهم سياسيا.

وكان للتنظيم مفعول إيجابي على الجماعات المسيحية لأنها ساهمت في زيادة الترابط بين أبنائها وتنمية العمل المشترك في المشاريع الخاصة بالكنيسة وانتشار مدارس الإرساليات[2] المسيحية الأوروبية واعتمادهم في ذلك المناهج والطرق الحديثة[3].

ومما سبق نستنتج أن الامتيازات الأجنبية والإصلاحات والتنظيمات التي قامت بها الدولة العثمانية قد فتحت الباب على مصرعيه للتوافد الأجنبي والتي مهدت الطريق للبعثات التبشيرية والتي ما فتئت تباشر نشاطها كلما سنحت لها الظروف.

[1] – عبد الرؤوف سنو: المرجع السابق، ص 15.

[2] – هي التي تخرج منها المبشرون وهي دور علم أنشأتها الكنائس والأديرة المختلفة لتدريس مناهج ثقافية خاصة بعضها لتكوين المبشر علميا وبعضها لتهيئته للقيام بمهمته التبشيرية، أنظر، عبد الجليل شلبي: المرجع السابق، ص 149.

[3] – جوزيف أبو نهرا: المرجع السابق، ص 28.

الفصل الثاني: النشاط التبشيري الفرنسي في بلاد الشام

المبحث الأول: سوريا.

المبحث الثاني: لبنان.

المبحث الثالث: فلسطين وإمارة شرق نهر الأردن.

أدى نشاط الإرساليات التبشيرية الفرنسية إلى ظهور ازدواجية ثقافية (cultural dualism) في المجتمع العثماني بخلفيات سياسية للطوائف غير إسلامية مقابل ثقافة إسلامية داعمة للموقف الإسلامي، ولم تكن مسألة الإرساليات محصورة بمؤسسات دينية، تعليمية، إستشفائية أو غيرها، وإنما بخلفياتها التي دقت ناقوس الخطر.

ولقد وجدت الإرساليات نفسها جزءا من سياسة دولها في المنطقة وعن طريق معرفة المبشرين لغة السكان المحليين وعاداتهم، واستطاعوا أن يكونوا رصيدا لسياسات دولهم في الدولة العثمانية.

المبحث الأول: سوريا:

1- المؤسسات التعليمية: ركز المبشرون على التعليم باعتباره المجال الاخطر وتكمن خطورته في تكوين جيل يكون أهلا لحمل راية المسيح، وأصبح التعليم أحد أهم الوسائل التي استعملتها البعثات التبشيرية لتعريف الناس بعقائدهم فاتخذوا التعليم وسيلة لذلك، لاعتقادهم بأن السيطرة على المدرسة تعني السيطرة على الشباب وجذب النخبة في أقصر مدة ممكنة ومن يمسك بالنخبة يمسك بالجماهير[1] ويقول جورج أنطونيوس[2] عن الدور الكاثوليكي من خلال التعليم في دمشق وحلب ولبنان بقوله: "لقد شاركوا مشاركة فعالة في نشر التعليم ولكن جهدهم الأكبر كان موقوفا على استمالة الناس للدخول في طائفتهم وعلى نشر الثقافة الدينية

[1] – عبد الفتاح إسماعيل غراب: المرجع السابق، ص124

[2] – ولد في بلدة دير القمر بلبنان سنة 1892م يخرج من جامعة كمبردج بإنجلترا، حصل على شهادة الهندسة أهلته للعمل في بلدة الإسكندرية غير أنه ما لبث إن انتقل إلى فلسطين والتحق بدائرة المعارف حيث توصل قبل تركه العمل فيها إلى شغل منصب مساعد لمديرها العام، أسهم بعد تركه العمل الحكومي بنصيب وافر في خدمة القضايا العربية وفي الدفاع عن القضية الفلسطينية سواء عن طريق الكتابة، التأليف أو الاشتراك في المؤتمرات والمباحثات التي كانت تعقد آنذاك، عمل سكرتيرا للوفد العربي في مؤتمر القاهرة المنعقد في لندن سنة 1939م، أنظر، جورج أنطونيوس: يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناصف الدين الأسد، إحسان عباس، ط3، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، لبنان، 1987م، ص.11

ولم يعملوا شيئا للنهوض باللغة العربية ولم يكن لهم أثر يذكر في التخفيف من حدة العداوة المذهبية الطائفية[1]

ولم يكن لهم أدنى جهد في إيجاد نهضة فكرية[2]

إن غاية المبشرين من إنشاء المؤسسات التعليمية ليس العلم وحده ولكنه خدمة للتبشير والدعوة للنصرانية،فهدفهم هو قيادة الناس إل المسيح حتى يصبحوا شعوبا مسيحية[3] ولقد كان التعليم في بادئ الأمر مقتصرا على الأمور الدينية واللغات الأوروبية إلا أن المبشرين أدركوا أن الالتفاف حولهم يكون أكبر لو علموا اللغة العربية وآدابها والعلوم العصرية، والجدير بالذكر أن مدارس المبشرين كان لا يزاولها في القرن السابع عشر (17) م سوى بعض المسيحيين، فالمسلمون لهم مدارسهم العربية الدينية كانوا يرون أنه من المنافي لمعتقداتهم وتقاليدهم أن يرسلوا أبنائهم إلى تلك المدارس التي يشرف عليها رجال دين مسيحيون وأجانب في وقت واحد.[4]

وليكون التبشير كاملا يرى المبشرون أن يتولوا هم التعليم في جميع أنواعه ويرون أن التعليم الابتدائي وسيلة ثمينة للتبشير لأنه من خلال ذلك يمكن للمبشرين من أن يثبتوا أقدامهم في

[1] – لقد برزت مع بداية انحسار المد التوسعي العثماني عن أوروبا ومع إتجاه العثمانيين نحو فقدانهم تفوقهم العسكري أمام الدول الأوروبية خاصة روسيا والنمسا وذلك راجع إلى الفتن الداخلية المستمرة في بعض ولايات الشام والتي أدت إلى النزاعات المسيحية على الأماكن المقدسة في ق 19م فتدخلت فرنسا بحجة حصولها على حماية الكاثوليك وروسيا لدعم الأرثودوكس، كذلك تدخلت بريطانيا فوقعت النزاعات بين الطوائف المسيحية (الروم، الأرمن، الإفرنج، الأقباط، الموارنة) أنظر، فاطمة الطراونة: الأهمية الاجتماعية والاقتصادية للقدس العثمانية والتدخل الأوروبي فيها في العصر الحديث والمعاصر،دط ، د.د.ن، دم، دت، ص 04.

[2] – عبد الفتاح إسماعيل عزاب: المرجع السابق، ص 45.

[3] – محمد بن ناصر الشتري: المرجع السابق، ص 17.

[4] – ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص ص 827،828.

القرى، والتعليم العالي عند المبشرين لا يقل أهمية عن سائر درجات التعليم ذلك لأنه يساعدهم على الوصول إلى الطبقات المثقفة.[1]

ويعود تأسيس المدارس التبشيرية في سوريا إلى منتصف القرن الثامن عشر (18)م عندما بدأت إرسالية الآباء اللعزاريين عملها في دمشق منذ عام 1755م، ثم قامت بعد ذلك بنحو عشرين سنة بتأسيس مدرسة للصبيان في دمشق[2] وأخذ التعليم في دمشق يخطوا خطوات سريعة خلال (1879- 1882م) فازداد عدد مدارسها ومعلميها ومعلماتها[3]، وأقدم هذه المدارس وأكثرها إتقانا مدرسة العزاريين للذكور وكانت تدرس فيها اللغة العربية بفروعها والفرنسية واللاتينية والحساب والتاريخ والجغرافيا، وكان فيها سنة 1879م (08) معلمين و(160) تلميذ، أما مدرسة اللعزاريين للبنات فكان فيها (14) معلمة و (500) تلميذ.[4]

كما استطاع الفرنسيسكان أن يؤسسوا مدارس في شمال وسط سوريا مستخدمين فيها رهبانا فرنسيين.[5]

أما عن مدينة حلب فقد أنشأ بها اليسوعيون عام 1631م مدرسة، لكنها أُغلقت بعد 15 شهرا لمقاومة السلطات العثمانية لها[6]، ثم تتالت بعد ذلك إنشاء المدارس الفرنسية بها فتأسست مدرسة الأرمن الكاثوليك سنة 1835م عدد طلابها من الذكور (60).

- ثم مدرستا الأرمن إحداهما تأسست سنة 1880م تضم 60 طالبا والثانية تضم 72 طالبا تأسست سنة 1892م.

---

[1] – مصطفى خالدي، عمر فروخ: التبشير والإستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للإستعمار الغربي، ط1، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986م، ص ص 78، 79.

[2] – عبد العزيز محمد عوض: المرجع السابق، ص 265.

[3] – محمد عبد الرحمان برج: التاريخ العربي الحديث والمعاصر، ط1، دار التعليم الجامعي للنشر والتعليم، الإسكندرية، 2009م، ص 90.

[4] – عبد العزيز محمد عوض: المرجع السابق، ص 267.

[5] –نفسه: 266.

[6] – ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 823.

- المدرسة الابتدائية للموارنة تأسست سنة 1892م عدد طلابها من الذكور 38 طالبا و 25 من الإناث.
- مدرسة الأرمن للكاثوليك تأسست سنة 1897م وهي ابتدائية عدد طلابها 160.[1]

كذلك مدرسة ابتدائية للأرمن الكاثوليك في كليس

كذلك مدرسة ابتدائية للأرمن الكاثوليك في مرعش

مدرسة الجزويت عدد طلابها 95 من الذكور

مدرسة تراسانطة إعدادية عدد طلابها 89 من الذكور

مدرسة الجزويت للإناث عدد طالباتها 70.[2]

2- النشاط الديني: مارست البعثات التبشيرية نشاطا دينيا واسعا في ولايات الشام إبتداءا من القرن السابع عشر (17)م مارس أفرادها نشاطا دينيا مكثفا، والحقيقة أن الدولة العثمانية تجاهلت في بداية الأمر هذا النشاط التبشيري إذ كانت لا تزال متماسكة فلم تخشى الخطر الذي يهدد مصالحها وأمنها من جانب هذه البعثات لكن الموقف تغير بعد ذلك حين أضحت هذه البعثات أداة طيعة في يد الحكومة الفرنسية تعتمد عليها في بسط نفوذها السياسي والثقافي والديني على الولايات التي سيطرت عليها أو تتطلع إلى امتلاكها.[3]

وأخذ المبشرون يعملون برسالة الصليبيين التي جاء فيها: "على المرسلين الذين ينتسبون إلى كنائس أخرى أن يندمجوا في العالم الاجتماعي والثقافي للذين أرسلوا إليهم... بالتأكيد لا يطلب إليهم أن يتخلوا عن هويتهم الثقافية بل أن يتفهموا ثقافة المحيط حيث يبشرون بالإنجيل... فالاندماج الثقافي تجسده الكنيسة في مختلف الثقافات[4]

---

[1] – فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، رؤية جديدة في ضوء المصادر والوثائق العثمانية، ط1، دار المدار الإسلامي للنشر والتوزيع، لبنان، 2002م، ص 344.

[2] – نفسه: ص ص 346،347.

[3] – محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 574.

[4] – عبد الفتاح إسماعيل غراب: المرجع السابق، ص 124.

هذا وسمحت الدولة العثمانية لفرنسا سنة 1886م ببناء كنيسة بمدينة حلب[1] ،ويصر المبشرون الفرنسيون على الإكثار من الرحلات الطلابية والاجتماعات بين القسيسين أنفسهم وإنشاء معهد للتوراة ومركز يقوم بتخريج كهان يتولون أمور الكنائس في سوريا ويقوم المبشرون الفرنسيون في سوريا بنشاط واسع بترجمة التوراة إلى اللغة العربية والفرنسية.[2]

3- الجانب الثقافي:

أ- الطباعة (الكتب): تعتبر الطباعة أهم وسيلة ضمنت الاتصال وقوته وأمنت انتشار الأفكار والأخبار والعلوم، وكونت المطابع حركة علمية وأدبية واسعة لأنها أداة ثقافية شكلت منعطفا حاسما في التطور الحضاري والفكري للبشرية كلها[3]، حيث عمل المبشرون الفرنسيون للحصول على الكتب المخطوطة القديمة وعملوا على تأليف الكتب التي كانوا بحاجة إليها في تعليمهم الديني أو في مواجهة الفرق الدينية المعاكسة لهم.[4]

ويستخدم المبشرون المطبوعات وهي من أهم الوسائل السريعة الناجحة لإيصال أفكارهم إلى المسلمين[5] وفي بعض الأحيان يختارون بعض الموضوعات التي في أولها اتصال بالإسلام ثم يوهمون الحقيقة فيها لخدمة أغراضهم.[6]

إلا أنه لا يوجد في سوريا مطابع فرنسية تبشيرية حيث كانوا يعتمدون على المطابع في بيروت، ويعتقد أن تكون هناك كتبا قصصية وروايات على درجة عالية من الصياغة تخاطب أصحاب المدارس[7]

---

[1] – ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص791.

[2] – عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان الشهري: التبشير في بلاد الشام، لبنان، سوريا، فلسطين، الأردن، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، 1404هـ، ص 38.

[3] – محمد أحمد: الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني(1876- 1918م)، مجلة جامعة دمشق، مج27، العدد 01-02، 2011م، ص 324.

[4] – ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 888.

[5] – – عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان الشهري: المرجع السابق، ص 39 .

[6] – سلمان سلامة: أضواء على التبشير والمبشرين، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1994م، ص 67.

[7] – – عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان الشهري: المرجع السابق، ص 40.

وعندما أدخلت الطباعة إلى حلب في مطلع القرن الثامن عشر (18)م أول ما طُبع فيها هو الإنجيل ثم توالت المطبوعات المختلفة خاصة الدينية منها.[1]

وأنشأ بطريريك أنطاكية أول مطبعة بحلب وكان أول مطبوعاتها كتاب في الطقوس الدينية 1702م ثم الإنجيل 1706م.[2]

ثم تلى ذلك تأسيس المطبعة المارونية بحلب[3] ويذكر أن الإقبال على شراء الكتب كان ضعيفا جدا حتى أنه لم يجد بائع كتب في دمشق ولا في حلب.[4]

ب- الصحافة: قام المبشرون باستغلال الصحافة[5] فالكلمة المكتوبة لها تأثير كبير على أفكار الناس في ميادين التبشير[6].

وعكست الصحف التبشيرية التي كانت تحرر بواسطة القساوسة والمبشرين اهتمام البعثات التبشيرية في بلاد الشام وأهم هذه الصحف هي صحيفة مجموع الفوائد وهي مجلة[7] عربية صدرت في سوريا واستمر صدورها حتى عام 1855م، كذلك صحيفة مرآة الأحوال بالأستانة 1855، حديقة الأخبار 1858م[8].

---

[1] – ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 885.

[2] – محمد عبد الرحمان برج: المرجع السابق، ص 60.

[3] – فاضل بيات: المرجع السابق، ص 297.

[4] – جورج أنطونيوس: المصدر السابق، ص 101.

[5] – مشتقة من الصحف جمع صحيفة، والصحيفة هي التي يكتب فيها،وكان أول من إختار لفظة صحيفة هو رشيد الدحداح، كذلك تطلق على الكتب بمعنى الرسالة، ولما عرف العرب الصحافة في مطلع القرن 19 م لأول مرة كانوا يطلقون عليها لفظة الوقائع، أنظر، ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، ص 220.

[6] – عبد الرحمان بن محمد: المرجع السابق، ص 38.

[7] – هي نشرة دورية كبيرة الحجم تحوي على جملة مقالات أو دراسات قصيرة في المجال الذي إختصت به، أنظر، محمود المقداد: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، 1992م، ص 172.

[8] – محمد أحمد: المرجع السابق، ص 318.

ج- المكاتب: اهتم المبشرون باستخدام الوسائل الإعلامية المختلفة في نشر ما يسمونه رسالة الإنجيل وتركز اهتمامهم على نشر الكتاب المقدس وتوزيعه بين المسلمين، حيث نجد في دمشق المكتبة الشرقية لليسوعيين تضم نحو أربعين (40) مجلدا.[1]

د- الإذاعة: إن المبشرين في سوريا لا يملكون إذاعة ولكنهم يكتفون بالبرامج العربية التي تذاع من إذاعة حول العالم وهيئة إذاعة الشرق الأقصى.[2]

هـ- الجمعيات: شجع الكبوشيون عام 1670م على إنشاء جمعية للراهبات في حلب تحت إدارتهم ولم يكن عدد أعضائها ليزيد عن السبع في بادئ الأمر ثم تهافت عدد من الفتيات عليها ليقمن بدورهن بتعليم فتيات أخريات[3]

4- المجالات الطبية:

إن أول الخطوات التي يقوم بها المبشرون إقامة الجسور وغرس المحبة في نفوس المرضى ويؤكد المبشرون أن الهدف من تقديم العلاج "تخفيف الآلام الجسمانية لتتمكن النفس من إدراك القوى وغرس روح الاعتراف بالجميل والعرفان للمعاملة التي قدمت له"

أما الهدف الحقيقي الذي يصبوا إليه المبشرين هو تحويل المرضى إلى النصرانية[4] فأسس المبشرون مراكز التطبيب والتي بدأت كمراكز لعلاج المرضى ثم ما لبثت أن أفصحت عن وجهها الحقيقي، حيث كانوا لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحكموه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح وكانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المريض ويسأل المسيح الشفاء[5] ومنذ عام 1875م وجهت البعثات التبشيرية الفرنسية اهتمامها إلى سوريا وأنشئوا بها مراكز طبية وكان لهم أطباء يزورون القرى ليعالجوا المرضى[6] كما أنشأ اليسوعيون مراكز

---

[1] – محمد أحمد: المرجع السابق ،ص 319.

[2] – عبد الرحمان بن محمد: المرجع السابق، ص 38.

[3] – ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 827.

[4] – محمد بن ناصر الشتري: المرجع السابق، ص 19.

[5] –نفسه: ص 20.

[6]- Frederick jones bliss:The religion of Modern Syria and Palastine.N.y 1912.p 316.

التطبيب بها، ووجهوا عنايتهم الأولى إلى كبار الموظفين وكانوا يستغلونهم لمصالح تبشيرية بحتة ومع الأيام أخذت عنايتهم بالتطبيب تقل وقيامهم بالتبشير يزيد[1].

5- الأنشطة التجارية:

لقد أثرت الامتيازات الممنوحة لفرنسا بشكل مباشر على التجارة الإسلامية مع الخارج حيث تراجع عدد التجار المسلمين المتعاملين مع أوروبا من 06 مقابل 28 تاجرا مسيحيا في عام 1826م، إلى 03 تجار عام 1848م مقابل 29 بيتا تجاريا مسيحيا بعدما كانت الهيمنة في يد المسلمين حتى أواخر القرن الثامن عشر (18م) وتراجع نفوذهم منذ أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر (19م) أمام تزايد حجم الرأسمال الفرنسي المستخدم في التجارة الخارجية حيث نجد أن 07 تجار مسيحيين في دمشق كانوا يتاجرون بالحرير مع أوروبا مقابل 05 من التجار المسلمين وكانوا تحت الحماية الفرنسية.

وفي حلب تفوق الرأسمال المسيحي على مثيله الإسلامي بشكل واضح حيث تمركزت معظم تجارة حلب وصناعاتها بيد المسيحيين الفرنسيين.[2]

وبافتتاح قناة السويس[3] عام 1869م قضي على تجارة القوافل القادمة عبر حلب إلى بغداد[4] وأدرنه.

---

[1] – محمد بن ناصر الشتري: المرجع السابق، ص20.

[2] – عبد الرؤوف سنو: المرجع السابق، ص 10.

[3] – يعود تاريخ حفرها إلى 18 مارس 1869م، كان يبلغ طولها عند الافتتاح 175 كلم وعرضها 60 م، لكنه تغير ليصبح طولها 195 كلم وعرضها 92م وعرضها عند القاع 19م و226م عند السطح وهو ما يسمح بمرور السفن الكبيرة وهي مجرى صناعي يصل البحرين الأحمر والأبيض المتوسط ويفصل بين قارتي آسيا وإفريقي، لذا ساهمت في تغير العلاقات للعالم، إذ تحكمت في طرق التجارة بين الشرق والغرب وتعد أهم طريق ملاحي في مصر والعالم وازدادت أهميتها بزيادة حركة التجارة العالمية من جهة وكشف البترول في منطقتي الشرق الأوسط والأقصى من ناحية أخرى ونقله إلى جهات غرب أوروبا وأمريكا، أنظر، وفاء مجاني: العدوان الثلاثي على مصر 1956م، مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر، جامعة بسكرة، 2013- 2014م، ص 22.

[4] – من أكبر المدن العراقية وهي عاصمة العراق تقع وسط البلاد على نهر دجلة الذي يشطرها إلى شطرين وتعتبر من أهم المراكز التجارية، الثقافية، المالية والصناعية من أشهر مساجدها مسجد الإمامين الكاظم والجواد، كانت مركزا للخلافة الإسلامية، أنظر، كمال موريس شربل: المرجع السابق، ص 112.

والموصل[1] فتحولت التجارة إلى طريق قناة السويس الأرخص كلفة فأنشأت بيوتات تجارية مسيحية عملت على تسويق البضائع الأجنبية، وقد أنعكس تغير الموازين الاقتصادية على تشكيل أعضاء المحكمة التجارية في دمشق عام 1850م، حيث بلغ عدد المسلمين الممثلين في هيئتها 04 أعضاء مقابل 10 من الأجانب، كما عمل الفرنسيون إضافة إلى دورهم التجاري على استثمار أموالهم في العقارات، كما انخرطوا في إدارات الدولة حيث وصل بعضهم إلى رتبة وزير أو حاكم ولاية.[2]

المبحث الثاني: لبنان

1- المؤسسات التعليمية: اتخذ المبشرون عدة مدارس التي تم إنشاؤها في الشرق الإسلامي والتي حاولوا أن يضيقوا بها الخناق على المدارس والمؤسسات، وأن يأخذوا الطفل منذ نعومة أظافره فيبعدوه عن الإسلام بقدر ما يقربونه من النصرانية[3]، فنتيجة لانحلال الدولة العثمانية أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر وانتعاش الروح الاستعمارية التبشيرية في العالم ونشوب الاستعمار في عامة أقطار العالم الإسلامي، كان المبشر الأول هو المدرسة حيث كانت أولى خطط التبشير لسببين:

الأول: إن حاجة الناس إلى العلم لا تنقطع فالإقبال عليه غريزة دافعة إلى طلبه.

الثاني: إن التعليم يتضمن تنشئة الأجيال وهذه المدارس تصبغهم بصبغتها وتوجههم بوجهتها وبالتالي غزو المسلمين عن طريق التعليم[4].

---

[1] – تعتبر ثالث أكبر مدينة عراقية بعد بغداد والبصرة تقع شمال العراق على نهر دجلة وهي من أهم المدن العراقية تجارة وصناعة وفيها أهم حقول النفط العراقية وتوجد فيها حركة تجارية نشطة كونها على الخط الحديدي الذي يصل بغداد بالمدن السورية الشمالية، أنظر، كمال موريس شربل: المرجع السابق، ص 109.

[2] – عبد الرؤوف سنو: المرجع السابق، ص 11.

[3] – عفاف سيد صرة: مصطفى محمد الحناوي، حاضر العالم الإسلامي، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص 169.

[4] – بكر بن عبد الله أبو زيد: المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها. مخاطرها، ط1، دار ألفا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 25.

لقد لجأ المبشرون إلى التعليم كوسيلة لاستمالة الأهالي إليهم وبث آرائهم وهكذا أنشأت المدارس لتعليم الأطفال، فالكبوشيون أسسوا في لبنان مدارس صغيرة يعلمون فيها أبناء الموارنة[1] أصول الدين ومبادئ القراءة والكتابة الفرنسية، ولما جاء اليسوعيون فإنهم تابعوا مع الكبوشيين النشاط التعليمي في جميع المدن والقرى التي كان لهم فيها إرساليات[2] ركز الفرنسيون على نشر الثقافة الفرنسية داخل حدود الدولة العثمانية وبالفعل استطاعوا إنشاء مدارس داخل الدولة التي أصبحت اللغة الفرنسية الأكثر انتشارا في الحديث والكتابة من بين اللغات الغربية الأخرى[3] خاصة في الدبلوماسية، ومجال الأعمال والحياة الثقافية [4]وكان كل من يتكلم بغير اللغة الفرنسية يغرم غرامة نقدية فضلا عن العقوبة البدنية.[5]

ولقد عملت الإرساليات اليسوعية في بلاد الشام على فتح المدارس ونشر التعليم والثقافة بين الموارنة، ولهذا كانت الطائفة المارونية من أكثر الطوائف في بلاد الشام تعليما وأثرا في حياة الشام وتاريخه وكانوا أشد الخانقين على الثقافات الأخرى المعادية للثقافة الفرنسية مثل الثقافة الأمريكية وتبع ذلك الصراع والتنافس الهائل بين الإرساليات الأمريكية واليسوعية وكان الاكليروس[6] الماروني شديد البطش بالأفراد الذين ينضمون لكنائس أخرى، لا سيما

---

[1] – طائفة مسيحية شرقية، تابعة لكنيسة روما الكاثوليكية منذ القرن الثامن عشر أسسها راهب سوري يدعى مارونفي القرن الخامس ومنه أخذت الطائفة إسمها، وقد عرفوا بالتمرد ولقبوا بالمردة وسكنوا جبال لبنان الوعرة، أنظر، عبد الوهاب الكيالي: ج6، المرجع السابق، ص 373.

[2] – ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 826.

[3] – فردوس بنت حافظ محمد جمال الدين: المرجع السابق،ص 222.

[4] – روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ط1،ج2، تر بشير السباعي،، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص 186.

[5] – آراء جميل صالح العكيلي: النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين 1831– 1914، ط1، د.د.ن، د م، د ت، ص 26.

[6] – هيئة دينية تعود نشأتها إلى تفويض رئيس القبيلة الذي كان يجمع كل السلطات بما فيها الدينية في شخصه فنشأ النظام الكهنوتي وكان الكاهن عند الأقدمين مؤتمنا على النصوص المقدسة وتدوينها وتفسيرها وطبيبا وعرافا ومنجما، وقد عرفت الديانات السماوية الكهنوت ولعب الاكليروس المسيحي دورا دنيويا رئيسيا في ضل هيمنة الكاثوليكية وباباوات روما إبان العصور الوسطى، وفي الواقع لعبت الكنيسة المسيحية ولا تزال دورا ثقافيا وتربويا خطيرا، كما أنها تلعب في تحالفها مع الأحزاب المسيحية في أوروبا الغربية وفي بعض بلدان أمريكا اللاتينية وفي لبنان دورا سياسيا قويا ومنظورا إلا أن هذا كله لم يحل دون إبراز تيارات تقدمية وعصرية لعب البعض منهم دورا تقدميا وثوريا مرموقا، أنظر، عبد الوهاب الكيالي: ج2، المرجع السابق، ص ص 813، 814.

البروتستانتية[1] اهتم اليسوعيون في أول أمرهم بالتعليم الديني لاعتقادهم أنهم إذا سيطروا على رجال الدين المسيحيين بإعدادهم في مدارسهم هم استطاعوا أن يسيطروا على القرى النصرانية كلها وكان الاستعمار في التعليم اليسوعي ظاهرا، لذلك بنوا برنامج مدارسهم منذ 1864 على البرنامج الفرنسي مع إضافة دروس اللغة العربية.[2]

حقق الفرنسيون غايتهم مع ذلك فقالوا أن اليسوعيين المبشرين يريدون أن يقدموا إلى تلاميذهم النصارى العلم مع التعليم وفي الوقت نفسه يريدون أن يجعلوهم يعرفون فرنسا ويحبونها[3].

اهتم اليسوعيون منذ عودتهم 1831م بافتتاح مدارس في بيروت[4] وغزير 1843م وزحلة 1844[5] وقد اختار اليسوعيون بلدة غزير للتعليم لما كان منافسوهم قد اختاروا بلدة غزير للغاية نفسها، فلما انتقل الأمريكيون إلى بيروت لم تبق غزير في رأي اليسوعيين المركز الذي يمكن للكاثوليك من الدفاع عن عقائدهم في ميدان العلم والتعليم ولذلك عزموا على نقل كليتهم من غزير إلى بيروت[6] ضاعف اليسوعيون مدارسهم الابتدائية في مختلف مناطق لبنان لأن المدرسة الابتدائية هي أفضل الوسائل لتغلغل النفوذ في هذا المضمار على الكلية وحتى على الثانوية لأنها تتوجه إلى أكبر قسم من الناس وتدخل الأوساط التي يصعب الوصول إليها، وكانت مدرسة دير القمر هي الوحيدة التي تدرس اللغة الفرنسية في منطقة هامة تكتظ بالموارنة[7] ظهر نشاط اليسوعيين واضحا داخل الأراضي العثمانية ضمن

---

[1] – عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص 51.

[2] – مصطفى خالدي، عمر فروخ:المرجع السابق، ص 111.

[3] –نفسه: ص 112.

[4] – السيد محمود الذقن: المرجع السابق، ص 143.

[5] – موفق بني المرجه: صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، ط1، مؤسسة صقر الخليج، دار الكويت للنشر و التوزيع،الكويت، د ت، ص 166.

[6] – مصطفى خالدي، عمر فروخ: المرجع السابق، ص 112.

[7] – نفسه: ص 125.

الراهبانيات التبشيرية المختلفة[1]، إذ قامت بعثة أخوات المحبة[2] بجذب أبناء الطبقات الاجتماعية المسيحية في جبل لبنان بواسطة مؤسساتهم الخيرية ومدارسهم المجانية كما أنشئوا دارا للمعلمين لإعداد الكوادر المراكز الكبيرة، كما قامت بعثة سيدات الناصرة[3] بتأسيس مدرسة مجانية ودير على تلة الأشرفية في بيروت إلى جانب ذلك أسست بعثة الإخوة المرميون عام 1896م بمساعدة الألیانس الفرنسية مدرسة في رأس بيروت، أما بالنسبة للتعليم الثانوي فتعود بدايته إلى الحلقة الإكليركية في غزير التي أعدها اليسوعيون لتكوين الإكليروس المحلي حيث أعطيت الدروس اللاتينية، الإيطالية، الفرنسية، العربية والتركية، قبل أن تصبح الفرنسية لغتها الرئيسة، تحول التعليم في هذه الحلقة تدريجيا إلى تعليم يغلب عليه الطابع العلماني، أثر تضاعف عدد الطلاب المسجلين في هذه الدراسات ففي سنة 1843م بدؤوا باستقبال الطلاب العلمانيين وخصصوا قسما لدراسة الفرنسية، وفي 1855م وبعد أربع سنوات أصبح الطلاب العلمانيين أكثر من الطلاب الإكليركليين[4].

يعتقد اليسوعيون أنه يجب أن يقوم إلى جانب كل مدرسة بدفع طلابها النفقات المدرسية، مدرسة صغيرة للفقراء مجانية، لا لتعليمهم بالدرجة الأولى بل لحفظ المظهر التبشيري، وهذه النزعة في التعليم المجاني لا ينفرد بها اليسوعيون الفرنسيون بل يتنازعها جميع المبشرين[5].

---

[1] – ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، تر: حاتم الطحاوي،ط1، دار المنار الإسلامي للنش والتوزيع، ص 256.

[2] – تنتمي بعثتهم إلى الجمعية التي ينتمي إليها العازاريون وقد عملوا معا ولا يعتبر عملهم كاملا إلا بتظافره مع أخوات المحبة، كما أن البعثات التي تنتشر في بعض أنحاء العالم تشعر بالعجز عن تطوير مؤسساتها، إن لم تطلب مساعدة أخوات المحبة، لهذا السبب وصلت بعثة المحبة إلى لبنان لدعم العازاريين في الوقت الذي استدعى فيه اليسوعيون أخوات القديس يوسف للظهور، أنظر، طلال عتريسي: المرجع السابق، ص 165.

[3] – وصلت إلى بيروت 1868م، أنظر، نفسه: ص166.

[4] –نفسه: ص 127.

[5] – مصطفى خالدي، عمرفروخ: المرجع السابق، ص ص 210،209.

أقام المبشرون الفرنسيون جامعة في لبنان[1] وأطلقوا عليها اسم جامعة القديس يوسف[2] وكان يحضر إليها الطلاب من العالم العربي، ولم يكن دور هذه الجامعة التدريس فقط بل تعداه إلى السياسة حيث لعب دورا سياسيا كبيرا في كل من سوريا ولبنان، لكن لبنان كان له النصيب الأوفر وذلك لأنه يعتبر من أهم المناطق العربية للتدخل الأجنبي[3] الذي كان يوجد على هيئة إرسالية تبشيرية مسيحية ومن لبنان أخذت تلك الإرساليات تنتشر في العالم العربي ثم العالم الإسلامي حيث أن خريجي هذه الجامعات الدينية المسيحية أخذوا ينتشرون في أنحاء العالم العربي الإسلامي لا سيما المغرب العربي الذي كان تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي وقتئذ.[4]

افتتحت جامعة القديس يوسف بكلية طب[5] وكلية صيدلة في بيروت[6]1883 بمبادرة من الآباء اليسوعيين كجزء من جامعة القديس يوسف وكانت في بداية الأمر تمنح دبلوما في الطب بعد دراسة ثلاثة سنوات، ثم أصبحت سنوات التدريس أربعة اعتبارا من عام 1887م وأصبحت اللجنة الخاصة تأتي من فرنسا من أجل امتحان الدكتوراه في الطب منذ عام 1895م وبذلك غدت شهادة الكلية معادلة لشهادة الطب التي تمنحها الجامعات الفرنسية، بدأت الكلية بتسعة طلاب 1883م ونما هذا العدد تدريجيا حتى بلغ 237 طالبا عام 1905م، أما خريجي الكلية بين عامي 1885 و1908 فقد بلغ تعدادهم 280 خريجا منهم 220 خريجا من سوريا و 93 من مصر[7]، ألحقت كلية الطب في بيروت بكلية الطب في ليون، واستمر توسع الجامعة في

---

[1] – ملحق رقم(10) ص147،جامعة القديس يوسف الجامعة اليسوعية (الفرنسية في بيروت) موفق بني المرجة: المرجع السابق، ص 169.

[2] – رفع عبد الرحمان النجدي: الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ط2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1988م، ص 38.

[3]–احمد سعد الدين البيساطي:المرجع السابق،ص38.

[4] –نفسه: ص 39.

[5] – ملحق رقم (02)ص136، كلية الطب فبي بيروت، طلال عتريسي: المرجع السابق، ص 150.

[6] – نفسه، ص 129.

[7] – علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798– 1914، الاتجاهات الدينية، السياسية، الاجتماعية والعلمية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م، ص 212.

فترات متلاحقة وأضيفت لها عدة فروع واحد للهندسة وآخر للحقوق 1913م[1] كما أسس اليسوعيون مدرسة "سان جوزيف" التي تطورت حتى أصبحت جامعة "سان جوزيف" في بيروت 1874م[2] .

إلى جانب ذلك قام العازاريون[3] بافتتاح كليتهم في عين طورة في لبنان[4]، تحولت الكلية إلى مركز رئيسي لنشاط العازاريين لتعليم الشبان الفرنسيين الموجودين في سوريا وأطفال الموارنة الذين يتهيئون ليصبحوا موظفين، وقد ساعدت فرنسا العازاريين عبر تجديد المعونات من خلال اثني عشر منحة مخصصة لأبناء العائلات الرئيسية، أما التعليم في كلية عين طورة فهو نظير للتعليم في الكليات الفرنسية[5] يتعلم أولاد العائلات والقناصل والسفراء في هذه الكلية الأخلاق والدين المسيحي واللغات الفرنسية والإيطالية والعربية ثم التاريخ والجغرافيا والحساب، أما باقي المواد كالفلسفة واللاتينية والبلاغة والهندسة فتعطى بناءا لرغبة الأهل، ويفتخر العازاريون بهذه الفائدة ويعتبرون أنفسهم أكثر الإرساليات الفرنسية مساهمة في تحقيق انتداب فرنسا على سوريا ولبنان، اختار العازاريون طرابلس شمال لبنان مقرا لهم لثلاثة أسباب:

---

[1] – طلال عتريسي: المرجع السابق، ص 132.

[2] – ثروت قادس: الكتاب المقدس في التاريخ العربي المعاصر، ط1، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللاهوت العملي من لويز قبل أمريكا وفي الفلسفة، جامعة هيدلبرج، ألمانيا، دار الثقافة، القاهرة، 1999م، ص 46.

[3] – أسس هذه البعثة Saint vincent de paul عام 1624، أما تاريخ نشاطها في لبنان فيختلف عن تاريخ النشاط اليسوعي، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع فرنسا، لأن هذه الأخيرة أرسلتهم وقدمت لهم دعما مباشرا من أجل مواجهة اليسوعيين والبروتستانت ولأنها لاحظت عام 1827م أن الكبوشيين ورجال دين البعثات الكاثوليكية الذين تتولى حمايتهم يأتون من حثالة أديرة إيطاليا، لذا سعت لتنظيم جديد يسمح بأن تكون أفضلية القدوم إلى الشرق لرجال دين فرنسيين وأمام نجاح الإنجيليين تمنت الحكومة الفرنسية أن يتولى العازاريون سياسة الأب "ريللو" اليسوعي، يحرض الثائرين ضد الموقف الفرنسي، أما أبرز المؤسسات العازارية فهي كلية عين طورة التي تركها اليسوعيون إثر رحيلهم من بلاد الشام، وما انفكوا يطالبون بعودتها إليهم إلى أن تصالحوا مع فرنسا، أنظر، طلال عتريسي: المرجع السابق، ص ص 161، 162.

[4] – السيد محمد الذقن: المرجع السابق، ص 143.

[5] – طلال عتريسي: المرجع السابق، ص 162.

- أولا: إن طرابلس مدينة من أهم مدن(لبنان) يتجاوز عدد سكانها 25 ألف كما أن وجودها بمحاذاة البحر يجعلها على صلة دائمة بالأوروبي.
- ثانيا: لا يوجد مدرسة كاثوليكية في المدينة لتعليم اللغة الفرنسية.
- ثالثا: استعداد البروتستانت للقدوم إلى المدينة نظرا لغياب البعثات عنها[1]

2- النشاط الديني:

تعد لبنان من البلاد المشهورة بتعدد الطوائف فيها حيث ذكر أن بها حوالي أربعة عشر طائفة لكن المشهور منها أربع فقط وهي: المسلمون السنيون والمسلمون الشيعة والمارونيون

وأشهر هذه الطوائف المارونيين والدروز

وينص دستور لبنان على الحرية التامة للدين ولذلك نجد مذاهب دينية متعددة منها ما ينسب للإسلام ومنها ما ينسب للنصرانية ومنها ما ينسب إلى غير ذلك، ولكل من هذه المذاهب أماكنها الخاصة بها لممارسة طقوسها الدينية مثل الكنيسة المارونية والتي كان عدد أعضائها 400.000 عضو[2].

رعى ملك فرنسا بنفسه شؤون التبشير في ذلك القرن واهتم ببناء الكنائس، بدأت فرنسا تستقبل رجال الدين اللبنانيين وتعلمهم في مدارسها الدينية على حسابها وواصلت فرنسا رعايتها للإرساليات في الشرق بالرغم من اضطهادها لها في فرنسا نفسها[3] ووطدت علاقتها بالمجتمعات الكاثوليكية المحلية في الشام خاصة طائفة الموارنة في جبل لبنان[4] واعتبرت حامية المذهب الكاثوليكي في لبنان لما كان للمارونية من مجهود خاص في الحروب

[1] – طلال عتريسي: المرجع السابق، ص 163.

[2] – عبد الرحمان بن محمد عبد الرحمان الشهري: المرجع السابق، ص 25.

[3] – أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط1، مكتبة وهبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1981م، ص 177.

[4] – يوجين روجان: المصدر السابق، ص 267.

الصليبية ولهذا فإنهم اكتسبوا منذ ذلك الحين نوعا من الحماية الفرنسية، وكانوا يخصصون مكانا في كنائسهم للقنصل الفرنسي.[1]

3- النشاطات الثقافية:

أ- الطباعة: أدى التوسع في مؤسسات اليسوعيين التعليمية من مدارس ابتدائية وتعليم ثانوي إلى جامعات بأقسامها إلى تأسيس هذه المطبعة[2] التي لبت حاجتهم للنشرات الدينية والعلمية والكلاسيكية والأسبوعية، فكان أهم منشوراتها الدينية كتب الوعظ الديني والصلوات والتعليم المسيحي، وتاريخ القديسين وطرق الصليب وغيرها، أما منشوراتها العلمية والكلاسيكية فتوزعت بين كتب القراءة، القواعد، القواميس، الجغرافيا، التاريخ، مختصر تاريخ القدس، تاريخ الكنيسة، تاريخ آخر أباطرة الرومان، تاريخ لبنان، تاريخ أساقفة الطائفة المارونية، تاريخ بيروت، تاريخ بعلبك، تاريخ خان الفرنسيين في صيدا...[3]

وهناك كتاب آخر يدرس في الصف الرابع في المدرسة البيروتية ويدرس في مدارس كثيرة في لبنان وفي غير لبنان وهو مطبوع في لبنان والاسم الكامل لهذا الكتاب هو " محاضرات ح. إيزاك حررها أ. ألبا للشرق الأدنى لطلبة الصف الخامس (العصور الوسطى) طبعته مطابع الآداب الفرنسية في بيروت جاء في هذا الكتاب ص 31" واتفق لمحمد في أثناء رحلاته أن يعرف شيئا قليلا عن عقائد اليهود والنصارى، ولما أشرف على الأربعين أخذت تتراءى له رؤى أقنعته بأن الله اختاره رسولا.[4]

وهناك أيضا كتاب آخر يستحق الاهتمام اسمه "تاريخ فرنسا" تأليف "غيومان" و" ف. لوستير (الصفوف الشهادة الابتدائية) هذا الكتاب يدرس في مدرسة القديس يوسف للبنات في بيروت

[1] – خلف بن دبلان الوذيناني: المرجع السابق، ص 254.

[2] – رقم (11) ص148، المطبعة الكاثوليكية بلبنان أول المطابع في القرن التاسع عشر، موفق بني المرجه: المرجع السابق، ص 169.

[3] – طلال عتريسي: المرجع السابق، ص 133.

[4] – مصطفى خالدي،عمر فاروخ: المرجع السابق، ص 74.

وفي مدارس هذه الإرسالية وفي غير بيروت بلا ريب وقد جاء فيه في الصفحة 80 و 81 "أن محمدا مؤسس دين المسلمين وقد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم وأن يبدلو جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى أن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: أسلموا أو تموتوا" بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم، ماذا كانت العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين، ويلحق بكتب التدريس التي عني بها المبشرون والتي تتضمن تهجما على العرب والإسلام كتب الخلافات وهي كتب تتضمن ردودا على الإسلام واعتراضات على عقائده وتاريخه ولكن يقصد بها طبقات القراء من الناس لا الذين لا يزالون على مقاعد الدراسة.[1]

وأشهر منشوراتها مجلتي البشير والمشرق فالبشير يشرف عليها مرسلون يتمتعون بالحماية الكريمة لفرنسا وتحمل في الوقت نفسه كعرفان بالجميل شرف الدفاع عن الأمة، أما المشرق فتخوض إلى جانب "البشير" معركة الدفاع عن الحقيقة الكاثوليكية، بالإضافة إلى نشرات الكلية الشرقية في جامعة القديس يوسف[2] حاكى اليسوعيون الأمريكيين في إحياء اللغة العربية والطباعة فأسسوا أول مطبعة لهم 1847[3] كانت المطبعة حجرية لذلك كان إنتاجها ضئيلا جدا ولم تبدأ الطباعة بمطابع ذات حروف منفصلة إلا في سنة 1853 ونمت مطبعتهم تدريجيا خلال السنوات التالية وحين نقلوا مركز تعليمهم العالي إلى بيروت أصبحت لديهم أجهزة طباعة كاملة العدة، واحتلت مكان الصدارة في هذا الميدان بفضل ما أخرجته من كتب التراث القديم وما طبعته من سائر كتب التعليم، وبفضل حروفها الممتازة والعناية التي كانت تبذلها في تحرير مطبوعاتها وتصحيحه ولقد لجأت المدارس التبشيرية إلى سياسة جديدة وهي الدس في الإسلام والتاريخ الإسلامي من خلال ما يكتبون عن المشرق العربي مثل:

[1] –مصطفى خالدي ،عمر فروخ : المرجع السابق، ص 75.

[2] – طلال عتريسي: المرجع السابق، ص 134.

[3] – جورج أنطونيوس: المصدر السابق، ص 108.

كتاب البحث عن الدين الحقيقي وهو محاضرات في التعليم المسيحي في باريس طبعة 1928 حيث جاء في الصفحة 220 من هذا الكتاب ما يلي: "الإسلام في القرن السابع (الميلادي) برز في الشرق عدو جديد هو ذلك الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات... ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريبا (1099-1254) في سبيل الدين فتدجج أوروبا بالسلاح وتنجي النصرانية وهكذا تقهقرت قوة قوانين الأخلاق السهلة.[1]

ب- الصحافة: كانت المنافسة شديدة بين البروتستانت والكاثوليك فلما انتقل مركز التبشير البروتستانتي من بلدة عبية (في الشوف بلبنان) إلى بيروت نقل اليسوعيون مركز نشاطهم من غزير (في شمال لبنان) إلى بيروت أيضا ولقد كانت الصحافة هي المظهر الأول للمنافسة بين الخصمين المتفقين على الإسلام ويظهر أن ثلاث صحف من الصحف التبشيرية الأربع التي كانت تصدر في بيروت 1870 كانت بروتستانتية وهناك صحيفة واحدة فقط كانت كاثوليكية[2] اعتمد المبشرون على مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم، القاهرة، بيروت، أما القاهرة فاتخذها البروتستانت مركزا لتوزيع المنشورات المسيحية في القطر المصري وفي جميع العالم الإسلامي، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت، تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله، أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام 1871م وقاموا عن طريقها بعمل تبشيري بالدرجة الأولى.[3]

ج- الجمعيات: كان اليسوعيون من أنشط الجمعيات ومع أنهم كانوا يعانون كثيرا من المشاق بسبب الاضطهاد والفقر المدقع غير أنهم استطاعوا بثباتهم ومثابرتهم أن يحافظوا على كيانهم

[1] مصطفى خالدي ،عمر فروخ:المرجع السابق،ص73.

[2] – جورج أنطونيوس: المصدر السابق، ص 214.

[3] – نفسه: ص 214.

وأن ينجحوا بعض الشيء في أداء أعمالهم إلى أن عطلت جمعيتهم سنة 1773م فتشتتوا وأغلقوا أكثر مؤسساتهم وسلموا الباقي للبعثات العازارية لتديرها ولم يستأنفوا عملهم إلا في سنة 1831م وكان من الأسباب التي أوجبت عودتهم أن البعثات التبشيرية الأمريكية وصلت بلاد الشام وأخذت تحول أفرادا من الطوائف الكاثوليكية إلى المذهب البرتستانتي.[1]

كما قام اليسوعيون بإنشاء جمعية الفنون والعلوم بلبنان 1847م وكان أعضاؤها ممن يستطيعون أن يقوموا بخدمة التبشير المسيحي وتحقيق أهدافه، وكان هدفها نشر العلوم بين الكبار على شكل ندوات ومحاضرات وكذلك نشر التعليم بين الصغار عن طريق نشر المدارس ورياض الأطفال وهذه الجمعيات أخفقت ولم يكتب لها النجاح لعدم الإقبال عليها، ثم أخذ اليسوعيون في إنشاء جمعية[2] أطلقوا عليها "الجمعية الشرقية"[3] 1850م وكان المحرك لها هو الأب دوبرونير[4]، فكانت تعقد اجتماعات دورية تلقي فيها بعض الأبحاث.[5]

4- المرافق الاجتماعية: لم يتوقف النشاط اليسوعي عند أبواب المدارس والجامعات بل شمل مرافق الحياة ومؤسساتها على أنواعها فأسسوا المباني التي تعلم المهن كالحدادة والنجارة...، وأثناءها التعليم الديني واللغتين الفرنسية والعربية بإشراف معلمين أجانب وطلبوا من مسؤوليهم إنشاء مدرسة للفنون والمهن، وكان لهم ميتم في تعنايل وآخر في بيروت وفي سنة 1910م أسسوا إلى جانب الميتم في تعنايل مدرسة للمعلمين يتعهد طلابها

---

[1] – جورج أنطونيوس: المصدر السابق، ص 98.

[2] – جمال حسن أحمد السراحنة: المرجع السابق، ص 38.

[3] – أسسها في دير الآباء اليسوعيين 1266– 1850 م،كل من إبراهيم النجار والشاعر حنا أبو صعب وزرق الله خضرا والمؤرخ طانيوس الشرياق وحبيب اليازجي وفرنسيس مسك ورائد المسرح العربي مارون نقاش وإبراهيم مشاقة والدكتور سوكة وكل هؤلاء كما عو ظاهر من اسم الجمعية من النصارى، أنظر، ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، ص 93.

[4] – يسوعي فرنسي ولد 1831 وصل بيروت 1849م وبدأ فور وصوله بتعلم اللغة العربية وقد أكسبه إطلاعه الواسع ونشاطه نفوذا كبيرا في الشام وتبوأ منزلة رفيعة بفضل الجهود التي بذلها في نجدة المنكوبين في مذابح سنة 1860 وقد اضطرته صحته المعتلة إلى العودة إلى فرنسا ومات فيها 1872، أنظر، جورج أنطونيوس: المصدر السابق، ص 118.

[5] – نفسه: ص 118.

بعد تخرجهم وبموافقة الأهل أن يدرسوا عشر سنوات في مدارس البعثة ومن الأفضل أن يكون ذلك في القرى.[1]

إضافة إلى الأندية التي تشكل نشاطا اجتماعيا مختلف الأنواع والألوان فهناك حفلات تقام ومحاضرات وليالي أنس وسمر ومطاعم ومنامات هذه الأندية همها اجتذاب الناس ليستمعوا لصوت المبشرين الإنجليز والأمريكيين والفرنسيين أو ليجد حب الغرب طريقه إلى قلوب الشرقيين.[2]

5- النشاط الاقتصادي: ازدادت حاجة فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر إلى خيوط وشرانق الحرير فتأسست بين 1840- 1850 م خمس حانات حديثة فرنسية في جبل لبنان تعمل برأس مال فرنسي، كذلك دفع ازدياد الطلب الفرنسي لخيوط الحرير إلى زيادة المساحة المزروعة توتا على حساب زراعات أخرى (زيتون، تبغ، خضار...) وأدى إلى نوع من تخصص زراعي لجبل لبنان، وقد كانت مدينة ليون مركزا رئيسيا لشراء هذا الحرير لذا تضاعفت الأموال الليونية لدعم تلك الصناعة وتوسيع مرفأ بيروت وإقامة سكة حديدية[3] وجد التجار الليونيون في بيروت نخبة تجارية ذات تعليم فرنسي ضمن هذا الإطار يمكن أن نفهم الترابط بين جامعة ليون وجامعة القديس يوسف في بيروت من أجل تطوير التعليم وكذلك إنشاء الجمعية الليونية لتطوير التعليم العالي والتقني في الخارج التي ضمت إلى جانب الجامعيين كبار تجار الحرير.[4]

[1] – طلال عتريسي: المرجع السابق،ص 134.

[2] – مصطفى خالدي، عمر فروخ: المرجع السابق، ص 208.

[3] – طلال عتريسي: المرجع السابق، ص 76.

[4] – نفسه: ص 77.

المبحث الثالث: فلسطين وإمارة نهر شرق الأردن:

1- المؤسسات التعليمية:

شهدت فلسطين منذ عام 1880 تطورا كبيرا في النشاط الفرنسي التنصيري وكان مركز تلك النشاطات في القدس وبيت لحم والناصرة وحيفا والرملة ويافا، وقد زاد عدد المؤسسات الفرنسية زيادة كبيرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وحتى مطلع القرن العشرين أي قبل نشوب الحرب العالمية الأولى إذ بلغ عدد المؤسسات الدينية عند بداية الحرب أكثر من عشرين مؤسسة[1] كان التعليم في فلسطين مرتبط بنظام الامتيازات التي حصلت عليها مختلف القوى الأوروبية في فترات مختلفة وأخذت هذه القوى تتنافس في تشييد المباني التعليمية في مختلف الولايات العثمانية وكان من بينها 376 مدرسة فرنسية[2] كان معظم المدرسين متخصصين من فرنسا أو من بريطانيا وكان الجو الدراسي يمتاز بأنه جو نصراني خالص من حيث سكن الطلاب والمطعم وقاعة المحاضرات والفصول الدراسية التي كانت مزينة بالصليب وكان هذا الارتباط القوي بين المدرسة والكنيسة فليس عجبا أن تعطى بعض الدروس في الكنيسة وبشكل عملي أحيانا وأثناء الأيام المقدسة عندهم[3] أسس اثنان من المرسلين من بعثة إخوان المدارس المسيحية[4] ديرا في القدس كمركز للإرسالية في فلسطين كان يقع في حارة الجوالدة قديما، أما حديثا فيقع بين الباب الجديد وبطريركية اللاتين ودير الإفرنج، ثم عرف الدير فيما بعد باسم مدارس العزير، وكانت المدارس تشمل مدرسة لأولاد البلد وأخرى لتأهيل وتدريب إخوة جدد للعمل مع جمعية إخوة المدارس العزير المسيحية، وأما الآن فلهم مدارس متعددة في حيفا والناصرة وبيت لحم وغيرها، وتعرف باسم مدارس الإخوة المسيحية ومدارس العزير، وأقيمت أول مدرسة تابعة للعزير في القدس

[1] – أمل عاطف محمد الخضري: المرجع السابق، ص 89.

[2] – جمال حسن أحمد السراحنة: المرجع السابق، ص 378.

[3] –نفسه: ص 397.

[4] – تأسست في فرنسا 1680 في باريس برئاسة جان باتست دولاسال، أنظر، نفسه: ص 89.

1878 ثم تليها مدرسة بيت لحم، وقد أقيمت على ربوة عالية شمال شرق بيت لحم تم شراؤها من قبل إرسالية الإخوة المسيحية، كانت عبارة عن مدرسة تعلم فيها العلوم واللغات للبنات والذكور، وفي عام 1792 تحولت هذه المدرسة إلى نواة جامعة بيت لحم ونقلت مدرسة العزير إلى دير الكرمل حيث بنيت على قطعة أرض مبنى المدرسة والتي تطورت فيما بعد من مدرسة ابتدائية إلى إعدادية ثم ثانوية وقد انضم إليها العديد من أبناء منطقة بيت لحم والقدس كما كان لإرسالية راهبات الكرمل عدة أديرة في بيت لحم والناصرة وحيفا، إضافة إلى إرساليات راهبات المحبة[1] التي أسست معهدا في القدس يعيش فيه عدد كبير من الأطفال والأيتام والعجزة والمعاقين والمكفوفين فضلا عن المؤسسة الرعوية التي توجد في دير مار يوسف والتي قدمت الى فلسطين 1848،ويوجد أيضا في الدير معهد يحمل نفس الاسم إلى جانب مدرسة ثانوية للبنات بالقرب من المستشفى الألماني ويقع بالقرب من دار أيتام للبنات.[2]

- **المؤسسات التعليمية في إمارة نهر شرق الأردن:** كانت كغيرها من بلاد الشام تابعة للخلافة العثمانية أكثر في القرن التاسع عشر (19) والعشرين (20) وتشير الإحصائيات أن المذهب الكاثوليكي هو السائد فيها[3] وازداد نشاط المبشرين في عهد التنظيمات حيث منحتهم الدولة العثمانية حقوقا جديدة، وبالتالي بدأت هذه البعثات عملها[4] حيث بلغ مجموع المدارس فيها 53 مدرسة تضم 13433 طالبا يقوم بالإشراف والتدريس فيها 451 شخصا ما بين ذكور وإناث وكل هذه المدارس تشرف عليها الإرساليات والكنائس الكاثوليكية المنتشرة بالمنطقة[5].

---

[1] – تأسست في فرنسا 1632 بدأت عملها في القدس 1886 أنظر،جمال حسن احمد السراحنة: المرجع السابق،ص 90.

[2] – نفسه: ص 91.

[3] – عبد الرحمان بن محمد: المرجع السابق، ص 56.

[4] – محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر سلاطين العثمانيين الكبار 1258هـ، 1336/ 1824-1918م، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، 1990، ص 96.

[5] – عبد الرحمان بن محمد:المرجع السابق، ص 56.

2- النشاط الديني: اهتمت فرنسا بمسألة فرض الحماية الدينية في القدس، وذلك من خلال التغلغل الديني والثقافي فيها وبمشكلات الأماكن المقدسة وامتلاكها وبقضايا فردية مثل إعادة ترميم قبة كنيسة القيامة[1] اجتهد النصارى في بناء الكنائس الكثيرة ولو في أماكن لا يوجد بها نصارى مع الاهتمام بمظهر الكنيسة ليلفت النظر، ثم يعودون إلى جلب من يعمل بها ليكون نواة المجتمع المسيحي وهكذا توجد الكنيسة قبل وجود النصارى ثم يتواجدون حولها، مع العلم أنهم يهيئون للمسنين خدمات حتى يرضى الناس عنهم وتقدم هذه الخدمات مجانا أو بسعر منخفض جدا، وعن طريق الكنائس توزع الكتب المسيحية والأناجيل المترجمة مجانا كهدايا لغير النصارى.[2]

وكان لفرنسا نشاط كبير بين الطوائف المسيحية في الدولة العثمانية خاصة بلاد الشام، وكانت حريصة على فرض حمايتها على كنائس الشرق المارونية والكاثوليكية وهي التي لم تعدم من وجود أنصار لها في الشام وكانت تعمل على حماية الإرساليات التبشيرية كمندوب عنها في الديار الشامية، ومن نشاط الإرساليات الفرنسية ما يلي: نشاط أتباع القديس فرنسيس ويعرفونه في بلاد الشام باسم الآباء الفرنسيسكان وهم موجودون في الأراضي المقدسة منذ الحروب الصليبية، وفي عام 1848 زاد عدد أديرتهم ومنشآتهم ولهم أديرة في القدس وبيت لحم والناصرة وعين كارم وطبريا والطور وعكا وغيرها[3] منها الكنيسة المارونية وعدد أعضائها 4000 عضو[4].

3- المستشفيات: في عام 1878 شيد الكونت دي بيالا مستشفى عرف باسم مستشفى القديس لويس أو المستشفى الفرنسي وتدعمه الحكومة الفرنسية بالمال سنويا، كما توجد فيه كنيسة

---

[1] – جمال حسن احمد السراحنة: المرجع السابق، ص137.

[2] – هايل خليفة الدهيسات: القدس تاريخ وحضارة من الكنعانية إلى الرعاية الهاشمية، ط1، كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص ص 123،124.

[3] – جمال حسن احمد السراحنة: المرجع السابق، ص 259.

[4] – عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان الشهري: المرجع السابق، ص 58.

تعرف باسم كنيسة مارلويس، كذلك مستشفى العيون وترعاه راهبات المحبة الفرنسية في القدس ويوجد فيه مدرسة للبنات والأولاد، كما يوجد مستشفى آخر يعرف بشارع العجمي في يافا[1] إضافة إلى كنيسة المارونيين الكاثوليك بإمارة نهر شرق الأردن والتي بلغ عدد أعضائها 400 عضو[2].

4- النشاطات الثقافية:

أ- المطابع: يضم القدس أكبر عدد من المطابع حيث بلغ عددها سنة 1317هـ - 1899م، 22 مطبعة اثنتان في يافا وكانت معظمها تطبع باللغات المختلفة[3] وهي العبرية والتركية والعربية والفرنسية والإنجليزية والروسية والنمساوية والإيطالية والرومية وكان أصحاب امتيازها إما نصارى أو يهود وكان قسم منهم أجانب ألمان أو نمساويين.[4]

ب- الجمعيات: ومنها جمعية راهبات الناصرة التي تأسست في فرنسا 1814 وفي نهاية 1854 نزلت بعثة من راهبات الناصرة واستقرت بها وأنشأت مدرسة راهبات الناصرة، إضافة إلى جمعية اليسوعيين والعازاريين[5].

أما عن الجمعيات في إمارة نهر الأردن فتمثلت في:

- الجمعية الخيرية المارونية بمنطقة جبل اللوبيدة
- جمعية المجلس التاريخي المارونية بمنطقة جبل اللوبيدة.
- جمعية المجلس المسيحي لإغاثة اللاجئين العرب – جبل عمان-.
- جمعية العناية بالطفل -جبل الحسين-[6]

---

[1] – أمل عاطف محمد الخضري: المرجع السابق، ص ص 89، 90.

[2] – عبد الرحمان بن محمد: المرجع السابق، ص 66.

[3] – فاضل بيات: المرجع السابق، ص 363.

[4] – نفسه: ص 363.

[5] – جمال حسن أحمد السراحنة: المرجع السابق، ص 259.

[6] – عبد الرحمان بن محمد: المرجع السابق، ص ص 84، 85.

ويتبين لنا أن التبشير الكاثوليكي في إمارة نهر شرق الأردن أصبحت له الصدارة في مجال التعليم وربما في المجالات الأخرى مثل الطب والإعلام وغير ذلك، لكن ليس عندنا معلومات كافية عن نشاطه في تلك المجالات.[1]

وهكذا يجب أن نخرج من هذا الفصل بفكرة أن المبشرين بذلوا كل جهودهم لاستغلال التبشير، غير أن لتبشيرهم أهدافا ظاهرية وأخرى باطنية، فعن ظاهره فدعوة إلى سلوك هم لا يسلكونه وأما باطنه فهو تفكيك أواصر الأمة الإسلامية حتى يستطيع الغرب أن يحكم الشعوب الإسلامية ويستغل بلادها اقتصاديا وحربيا، وصفوة القول:

إن البعثات التبشيرية الفرنسية لم تترك وسيلة إلا واستخدمتها ولا بابا إلا وطرقته للوصول إلى أهدافها.

[1] – نفسه، ص 72.

الفصل الثالث: آثار البعثات التبشيرية الفرنسية على بلاد الشام

المبحث الأول: اثارة الفتن و النزاعات الطائفية

المبحث الثاني: النهضة الأدبية والفكرية

المبحث الثالث: القومية العربية

المبحث الرابع: الثورة العربية

أثرت البعثات التبشيرية الفرنسية على الدولة العثمانية بقدر لا باس به في إثارة الفتن بين مختلف الطواف المسيحية بالأخص،فأدت منتصف القرن 19 الى ظهور النهضة الفكرية العربية، والتى أسهمت بدورها في بلورة الفكر القومي العربي والتي جعلت من العرب أكثر اهتماما بقضاياهم وجعلتهم أكثر تأثرا بالأفكار التحررية، تلك الأفكار التي تجسدت في الثورة العربية على الدولة العثمانية1916م.

المبحث الأول: إثارة الفتن و النزاعات الطائفية:

لعبت البعثات التبشيرية دورا ملموسا في إذكاء الفتنة والثورات الطائفية المتعددة التي عرفتها بلاد الشام[1] وكانت مهمتها الرسمية تتركز في نشر العقيدة المسيحية ونشر مذاهبها بين المسيحيين والعرب وبما أن هذه البعثات تنتمي لفرنسا وتتلقى دعمها، لذلك كانت تدعم المكانة السياسية لها، كما كانت تتحول إلى أدوات لتحقيق أطماعها السياسية مستعينة بالأقليات الدينية والطوائف مما وسع شقة الخلافات الطائفية[2] وعمدت فرنسا عن طريق بعثاتها التبشيرية إلى البحث عن نقاط الضعف والسعي لتعميق الثغرات العنصرية والمذهبية والطائفية لإذكاء الخلافات وإثارة المتاعب وإيجاد الذرائع التي تبرر تدخلها في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية[3]، واتخذت لذلك الهدف وسائل متعددة منها إثارة الفتن الطائفية والدينية وتفجير الثورات الداخلية بدعمها المادي والمعنوي.[4]

1/التنافس الطائفي

تميزت بـــلاد الشام بتنوع سكانها عنصريا ودينيا ولغويا، وكان معظمهم من العرب إلى جانب أقليات متنوعة من الأكراد والشراكسة والأرمن وغيرهم من النصارى واليهود

[1] – موفق بني المرجة :المرجع السابق، ص 167.

[2] – أحمد زكريا الشلق: العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516– 1916م، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص 264.

[3] – موفق بني المرجة: المرجع السابق، ص 182.

[4] – عيسى الحسن: الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الانهيار، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص271.

الذين اختلف توزيعهم في البلاد[1] ففي الوقت الذي سكن فيه المسلمون السنيون والأكراد والأرمن في المدينة سكن العلويون في المناطق الجبلية، أما غالبية النصارى فكان مكان تواجدهم في حلب وبيروت، لذلك اتسمت بلاد الشام بكثرة خصوماتها المحلية والإقليمية أما رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين فكانوا يخضعون لنظام خاص أطلق عليه اسم الملل[2] وهو نظام يرعى شؤونهم الدينية ويفصل في قضاياهم[3] الشخصية.

ولم تكن بموجب هذا النظام تتدخل في أي شأن من شؤونهم وكانت الإدارة العثمانية في بلاد الشام إدارة سطحية إذ لم تقم بأي تغيير على هذا النظام مما جعلها غير قادرة على احتواء حالة الفوضى والاضطراب في البلاد[4] وكان التسامح العثماني هو النافدة التي عبر منها التدخل الأجنبي لتغذية الخلافات وإشعال نار الفتن وتبرير الحماية إزاء تدهور الأوضاع العثمانية خلال القرن 19م حين ازداد تأثير الدول الأوروبية المباشرة في أوضاع الأقليات ولا سيما المسيحية منها بهدف إحراز المزيد من النفوذ والمكاسب من الدولة العثمانية[5] كما قامت البعثات والإرساليات التبشيرية التابعة لمختلف الدول الأوروبية المختلفة بجهود مهمة لخدمة المخططات الأوروبية وذلك بإثارة التنافس الطائفي[6] وتعتبر فرنسا هي المبادرة الأولى في إعلان الحماية على الموارنة الذين ارتبطت معهم بعلاقات منذ الحروب الصليبية ومنذ

---

[1] –ملحق رقم (7) ص144، خريطة تمثل التوزيع الطائفي في لبنان، موفق بني المرجة،: المرجع السابق، ص 180.

[2] – ليست عبارة غريبة عن الإسلام فهي تعود إلى أيام النبي –صلى الله عليه وسلم– وقد وردت في القرآن (15) مرة بمعنى الدين وأشارت أحيانا إلى الوثنيين أو المسيحيين أما (الملة) فهي تعني دين الإسلام حتى لو لم تكن مسبوقة بكلمة أصل، أنظر، جوزيف أبو نهرا: المرجع السابق، ص 10.

[3] – آراء جميل صالح العكيلي: المرجع السابق، ص 03.

[4] – نفسه: ص 04.

[5] – موفق بني المرجة: المرجع السابق، ص 179.

[6] – رفيق شاكر النتشة: عبد الحميد الثاني وفلسطين (السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين)، ط3، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، 1991م، ص 72.

الامتيازات التي حصلت عليها وأصبحت تطالب بحماية جميع الكاثوليك الشرقيين (الروم، الملكيين، السريان).

كما حصلت روسيا[1] على حق حماية الروم الأرثوذوكس[2] وتجاوزته فيما بعد لتدعي حماية جميع مسيحي الدولة العثمانية[3] وبدأ الإنجليز بإرسال المبشرين إلى الشام منذ بداية القرن التاسع عشر (19)م فتمركزوا أولا في بيروت ثم انتشروا في أرجاء لبنان وسوريا وفلسطين لكنهم لاقوا مقاومة قوية من الكنائس الكاثوليكية والأرثوذوكسية على السواء[4]

أما النمسا التي انتصرت جيوشها على نابليون[5]

فقد حاولت بعد مؤتمر فيينا[6] أن تحل محل فرنسا في الدفاع عن كاثوليك الشرق وراحت تنافسها في هذا المجال[7] أثارت البعثات التبشيرية الفرنسية مخاوف روسيا فنظرا

---

[1] – تعد أكبر دولة في العالم من حيث المساحة حيث تبلغ مساحتها 17.075.40 كلم^2 تمتد عبر قارتي أسيا وأوروبا في المحيط المتجمد الشمالي إلى البحر الأسود جنوبا ومن بحر البلطيق غربا إلى المحيط الهادي شرقا، عاصمتها موسكو يعيش أغلب سكانها في الجزء الغربي من البلاد، أنظر، مصطفى أحمد أحمد: الموسوعة الجغرافية، ج1 (الولايات، المقاطعات) إعداد مصطفى أحمد أحمد وحسام الدين إبراهيم عثمان، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، د م، 2004م، ص 39.

[2] – كلمة أصلها إغريقي orthodoxos وهي عقيدة مسيحية منتشرة في الشرق أي العقيدة الصائبة وهي المعنية بالهدى والرشاد وبدأت في بلاد اليونان وإنتشرت بمصر والشرق كله وتختلف في الكنيسة والتقاليد عن العقائد المسيحية الأخرى، أنظر،إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي– إنجليزي) د ط، د.د.ن، د م، د ت، ص 32.

[3] – جوزيف أبو نهرا: المرجع السابق، ص 24.

[4] – نفسه: ص 25.

[5] – ولد في مدينة أجاكسيو عاصمة كورسيكا في 15 أوت 1769م وهو من أسرة أصلها إيطالي وكانت جزيرة كورسيكا تابعة لجمهورية جنوة وإستولت عليها فرنسا في 1768م أي قبل ولادة نابليون بعام فهو إيطالي الأصل وفرنسي المولد، أنظر، يوسف سعد: نابليون بونابرت، ط1، دار الشام للنشر والتوزيع، مصر، 1988م، ص 05.

[6] – تكون من بريطانيا، روسيا، النمسا، بروسيا، السويد، إسبانيا، البرتغال، سنة 1815 لدراسة أوضاع أوروبا في تلك الفترة وتوازن القوى الأوروبية وإرجاع الدول التي إستولى عليها نابليون، أنظر، عمر عبد العزيز عمر: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر 1815– 1919، د ط، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، د م، 2000م، ص 32.

[7] – جوزيف أبو نهرا: المرجع السابق، ص 25.

لقضية الامتيازات التي حصل عليها قساوسة الكاثوليك التي منحت لفرنسا في عصر السلطان سليمان القانوني وهذه الامتيازات هي التي خولت للفرنسيين امتلاك الكنائس في فلسطين وكان الروس يسعون جاهدين لبسط نفوذهم على تلك الكنائس وسلب فرنسا تلك الامتيازات وإعطائها للأرثوذوكس الموالين لهم لتتولى روسيا الزعامة بسبب حمايتها لهذا المذهب ولأجل نشر نفوذها في الدولة العثمانية عن طريق تحريك رعاياهم لهذا المذهب ونتيجة لانشغال فرنسا في حروبها مع نابليون، فقد سيطرت روسيا على مركز النفوذ الذي كان لفرنسا لهذا وقع الخلاف بينهما[1] فروسيا تسعى لتجريد الكاثوليك من امتيازاتهم نحو الكنائس وقد خشيت فرنسا من وقع الحرب مع روسيا لهذا تنازلت عن قسم كبير من حقوقها الكاثوليكية، وحصلت بذلك روسيا على حق الإشراف على المذهب الأرثوذكسي وممارسة دينهم بحرية تامة[2] وتحولت بذلك الدولة العثمانية إلى مسرح للصراع الديني والسياسي بين دول أوروبا وبلاد تلعب بها هذه الدول، فكل تأزم بين تلك الدول كان يحمل إلى داخل الشام ويأخذ شكل اختلافات دينية حادة وكل خلاف بسيط بين العناصر الدينية في الأراضي الشامية كان يضخم من قبل تلك الدول.[3]

ويتحول إلى صراع عنيف بينها، وكل نزاع مع الدولة العثمانية كان يتحول إلى انشقاقات داخلية.

لقد ربطت بعض الفئات الغير مسلمة في بلاد الشام نفسها شعوريا أو لا شعوريا بالسياسة الدولية العامة وتحركاتها، فكان على الشام أن تتحمل أعباءها وأوزارها التي بدت جليا في القرن التاسع عشر (19).[4]

---

[1] – خلف بن دبلان: المرجع السابق، ص 546.

[2] نفسه، ص 354.

[3] – مؤلف مجهول: لبنان من حيث الطائفية ومكر المستعمرين إلى حضارة الإسلام، المشكلة والحل، ط1، د. دار، د م، 2008م، ص 915.

[4] – نفسه: ص 915.

2- ثورة 1840م- 1841م:

عرفت مناطق لبنانية مختلفة ثورات ضد الأمير بشير الثاني[1] الذي سمح للبعثات التبشيرية بالدخول إلى لبنان، فعمدت الدولة العثمانية إلى عزله وأصبحت تتحين الفرصة لوضع حد لاستقلال أمراء الجبل والوقوف في وجه الأحداث الداخلية التي أثارها رجال الإقطاع والتي اتخذت طابعا طائفيا، وقد كانت لدى الدروز[2] نقمة كبيرة على الأسرة الشهابية[3] لأسباب عديدة تبدأ بتنصير العائلة وتنكرهم للمذهب الدرزي[4] وكان بشير الثاني[5] أول من بذر بذور الفتنة بين الدروز والنصارى حينما أرسل حملة عسكرية لمساعدة إبراهيم باشا في قتال الدروزحيث استغل العنف ضد الانقسام الطائفي ووضع السلطة الكاملة في يده، وفي عام 1820 عمل الموارنة على الانفصال عن الدولة العثمانية وإقامة دولة قومية

---

[1] – ابن قاسم عمر شهاب، بعد وفاة والده انتقل إلى دير القمر وعاش في كنف الأمير يوسف الذي اتكل عليه في المهمات الصعبة، تولى الحكم على رأس إمارة الجبل بعد استقالة الأمير يوسف 1877، واستمر في منصبه بين عزل وعودة حتى عام 1840، أنظر، جوزيف صقر: قصة وتاريخ الحضارات العربية (1-2) بين الأمس واليوم، لبنان من عصور ما قبل التاريخ حتى عهد المتصرفية، ط1، Edito Geps INT، 1999م، ص ص 190، 191.

[2] – ترجع سائر الكتابات أن أصل الدروز يعود إلى الأصل العربي الخالص وعروبتهم جزء من عروبة بلاد الشام وهم من سلالة قبائل الفتح العربي ومعظمهم يعود إلى أصول يمنية، نشأ مذهبهم (مذهب التوحيد) في أحضان العقيدة الشيعية الإسماعيلية الفاطمية وأعلن عنه في عهد الحاكم بأمر الله، وتميزوا منذ بداية الدعوة عن سائر المسلمين بمفاهيم خاصة لبعض آيات القرآن الكريم مثل إتباعهم لرئاسة روحية هي وراثة الإمامة واستقلال قضاءهم المذهبي فعليا ثم استقلاله رسميا حين اعترفت الدولة العثمانية بهم كطائفة إسلامية مستقلة بشؤونها المذهبية وأحوالها الشخصية، أنظر، حسن أمين البعيني: دروز سوريا ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي 1920- 1943م، دراسة في تاريخهم السياسي، ط1، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ص ص 31، 32.

[3] – يعود أصلهم إلى بني مخزوم من قبيلة قريش، تركوا الجزيرة العربية مع بداية الفتح العربي حوالي سنة 632م واستقروا في منطقة حوران في قرية تدعى الشهباء وترك الباب العالي للبنانيين أن ينتخبوا ما يشاؤون على كرسي الإمارة فاجتمع أعيان البلاد واتفقوا على انتخاب أمير شهابي حاكما على لبنان وهو بشير الشهابي، أنظر، جوزيف صقر: المرجع السابق، ص ص 183، 184.

[4] – نفسه: ص ص 197،198.

[5] – حسن أمين البعيني: المرجع السابق، ص 49.

طائفية، كما بدأت المتاعب تواجه بشير الثاني والذي فر إلى مصر عام 1822م[1] ثم بتعيين بشير الثالث مكانه زادت المشكلات في عهده، وقد رأى الدروز فيه حاكما مسيحيا ستستمر في عهده الغلبة المسيحية فطلبوا من الدولة العثمانية أواخر عام 1841 نزع السيطرة المسيحية وتعيين حاكم درزي عليهم حينها نشبت الفتنة الطائفية بين الدروز والنصارى[2] وبلغت الحركة ضد الإقطاعيين في لبنان أقصى درجات التوتر إذ عاد الدروز الإقطاعيين الكبار إلى لبنان وأصبحوا يتطلعون إلى إست عادة إقطاعياتهم السابقة فأبدى الفلاحون الموارنة مقاومة للدروز، فنشب على هذا الأساس صراع وتعقدت الاختلافات الدينية بينهما وكانت إنجلترا وفرنسا تعولان على تقوية التناصر القائم بين الفئتين المتضاربتين، فساندت إنجلترا الدروز وناصرت فرنسا الموارنة، وفي أكتوبر 1841م قام الإقطاعيون الدروز الذين سلحتهم إنجلترا باقتحام القرى المارونية وأبادوا سكانها وحرقوا البيوت واستولوا على الأراضي والبساتين، كما توغلت بعض فصائل الموارنة في القرى الدرزية وقامت بدورها بمذابح فيها واستمرت أعمال الإبادة المتبادلة لمدة 6 أسابيع وقد انتصر الدروز في النهاية واستولوا على جنوبي لبنان[3] إلا أن نفوذهم بدأ يضعف شيئا فشيئا لأنهم استنزفوا قدرا كبيرا من طاقتهم البشرية وإمكانياتهم المادية فانتقل جزء منهم إلى جبل حوران في حين كان نفوذ النصارى السياسي والاقتصادي يزداد على حسابهم.[4]

وبضغط من الدول الأوروبية وضع العثمانيون لجبل لبنان نظاما خاصا وقسم قسمين لمنع الاحتكاك بين الدروز والمسيحيين، وأستمر اشتعال الفتنة لانحياز الإنجليز والفرنسيين لجانب المسيحيين الموارنة[5] وبهذا وضع نظام القائمقاميتين نهاية سنة 1842م الذي قسم جبل

[1] – زين العابدين شمس الدين نجم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2011م، ص 53.

[2] – حسن أمين البعيني: المرجع السابق، ص 49.

[3] – لوتسكي: المرجع السابق، ص 143.

[4] – حسن أمين البعيني: المرجع السابق، ص 45.

[5] – موفق بني المرجة: المرجع السابق، ص 168.

لبنان إلى إمارتين: قائمقامية نصرانية في شماله وأخرى درزية في جنوبه أدى ذلك إلى استفحال الدول الأوروبية وبدأ القنصل النمساوي والروسي ينافسان فرنسا في بيروت عامي 1841- 1842م لحماية الأرثوذوكس[1] وكان عهد القائمقاميتين مضطربا وقد سادت فيه الخلافات الطائفية بين المسيحيين والدروز فالأقلية المسيحية رفضت الخضوع لقائم مقام المسيحي، ووصلت الانقسامات إلى داخل الطوائف نفسها، ولم تقف الدول الأوروبية على الحياد بل ساهمت كل دولة من الدول الأوروبية الكبرى في دعم طائفة على حساب الطوائف الأخرى.[2]

1- ثورة الدروز والموارنة: 1860م

جنى المجتمع العثماني أول ثمار التسامح والرعاية والعناية الأجنبية حينما اندلعت نيران الفتنة الطائفية في الشام عام 1860م[3] ولقد انتقل النزاع بين فرنسا وإنجلترا إلى الجهة الداخلية على شكل نزاع بين الموارنة والدروز فغدا جبل لبنان مسرحا للفتن الطائفية[4] فالمارونيين في لبنان اعتبروا أن فرنسا هي الحامية الطبيعية للمسيحيين وأنها الوطن الثاني لمسيحي سوريا وطلبوا منها أن تفرض سيادتها على لبنان[5]، ومن أسباب هذه الثورة اضطراب العلاقات المارونية الدرزية وعدم مشاركة الفلاحين الدروز في ثورة 1858م والتي اقتصرت على القائمقامية المسيحية فقط، ومحاولات الدول الأوروبية السيطرة على مناطق نفوذ داخل الدولة العثمانية[6]

وإذا كانت حوادث 1860م بين الموارنة والدروز في جبل لبنان تعود في جذورها إلى النزاعات الإقطاعية في سبيل حكم الجبل بدأت رسميا سنة 1841م وزاد في تأجيج هذه

---

[1] – حسن أمين البعيني: المرجع السابق، ص 50.

[2] – جوزيف صقر: المرجع السابق، ص 53.

[3] – موفق بني المرجة: المرجع السابق، ص 180.

[4] – أحمد طربين: التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا؟ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987م، ص 77.

[5] – نفسه، ص 78.

[6] – جوزيف صقر: المرجع السابق، ص 206.

النزاعات الطائفية لجوء هذه الطوائف إلى طلب الحماية الأجنبية[1] ففي الريف حلت الزراعة الموجهة للسوق محل زراعة الاكتفاء الذاتي، كما تغيرت طرق الزراعة ووجدت العائلة الفلاحية الصغيرة أو (مجتمع القرية) نفسها محاصرة بوجهاء المدن أصحاب الأراضي المثمرة والمتعطشين للأرض والربح، ووجد فلاحون كثيرون أراضيهم لصالح الوجهاء وتحولوا إلى مشاركين في الحصول فقط وانتزعت أراضيهم وأصبحوا عمالا مأجورين في عقارات كبار الملاك وكان هؤلاء الوكاء من الموارنة والمسيحيين الذين شعر الأوروبيون بالارتياح للتعامل معهم والحماية التي سعت إليها هذه الأقليات الدينية وحصلت عليها من القوى الأوروبية عامة والفرنسية خاصة إلى جانب التعليم الذي قدمته لهم البعثات التبشيرية.[2]

لقد ساهم النشاط التبشيري الفرنسي على أن يصبح للنصارى وضع متميز على المسلمين وأدى إلى تطاول أغلب النصارى على كثير من المسلمين وقد زادت اشتعالا بفعل تدخلات الدول الأوروبية وتدبيرها لإثارة العوامل الطائفية بغية أن توجد مبررا لتدخلها ثم لتوسيع دائرة نفوذها وتحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية[3] ولم يكم من السهل على العناصر الإسلامية في الشام والتي تعرضت للكثير من الضغوط ومساندة واضحة من قبل الدول الأجنبية التي ازداد نفوذها في البلاد، ورواج اقتصادي أدى إلى اتساع دائرة الطبقة البرجوازية التي أصبحت في أغلبها من الطوائف المسيحية ومساندة فرنسية للفلاحين المارونيين لإثارتهم ضد الدروز، وإعلان صريح بالعداء للديانة الإسلامية ومساندة فرنسية للتجار النصارى كي ينافسوا التجار المسلمين.[4]

---

[1] – غانية بعيو:المرجع السابق، ص 220.

[2] – فيليب خوري: أعيان المدن والقومية العربية سياسة دمشق 1860– 1920م، تر عفيف الرزاز، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993م، ص 20.

[3] – نفسه: ص 204.

[4] – زكريا سليمان بيومي: العرب بين القومية والإسلام، قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط1، دار القاهرة للنشر والتوزيع، مصر، 2002م، ص 205.

وأصبح المسيحيون عام 1860م يتمتعون بعهد من الأمان الناجم من الضغوط الأوروبية المتزايد على الدولة العثمانية لضمان حمايتهم[1] ونتج عن هذا الحادث سريان روح عدائية لدى المسلمين وتحفز وهيبة من العناصر النصرانية التي انتظرت رد فعل الدروز على هذه الأحداث[2] وبذلك ساندت فرنسا الفلاحين المارونيين لإثارتهم ضد الإقطاعيين حيث قامت عناصر مسيحية بالهجوم على المسلمين وحاولوا حث المسيحيين في القرى الأخرى بذلك.[3]

ففي ربيع 1860م جرت مذبحة مارونية درزية جديدة مهد لها القنصل الفرنسي في بيروت الذي كان يسعى لإثارة عراك ديني سياسي على الساحل السوري، وفي 22 ماي 1860م أطلقت جماعة مؤلفة من (10- 12) مارونيا النار على فئة من الدروز فقتل درزي وجرح اثنان وكانت هذه المناوشة كافية لإضرام المذابح والتدمير المتبادل في جميع أنحاء لبنان ودمرت في غضون ثلاثة أيام فقط، وفي 29-31 ماي 1860م دمرت ستون قرية في ضواحي بيروت وجنوبي لبنان وحاصر الفلاحون الدروز الأديرة والإرساليات الكاثوليكية وحرقوا وقتلوا الرهبان.[4]

وفي جويلية 1860م وقعت أحداث مفجعة في دمشق إذ نظم المتعصبون من المسلمين مذبحة مسيحية فقتلوا المسيحيين وأحرقوا الكنائس والمدارس التبشيرية واستمرت 3 أيام[5].

كلفت أحداث 1860م الدمويين السوريين غالبا، إذ استشهد أثناء المذابح والمجازر ما يربو عن 20 ألف شخص من المسيحيين وحدهم ودمرت 380 قرية مسيحية و 560 كنيسة و 40 ديرا، كما تكبد الدروز خسائر فادحة، وأعطت هذه المذابح فرنسا الذريعة التي كانت

---

[1] – فيليب خوري: المرجع السابق، ص 21.

[2] – زكريا سليمان بيومي: المرجع السابق، ص 205.

[3] – فيليب خوري: المرجع السابق، ص 205.

[4] – لوتسكي: المرجع السابق، ص 151.

[5] – نفسه: ص 152.

تنتظرها منذ مدة طويلة للتدخل في شؤون الشام وشرعت في الدفاع عن المسيحيين السوريين لبلوغ أهدافها.[1]

كانت النتيجة المباشرة للمذابح أن غادر دمشق الآلاف من المسيحيين إلى الساحل السوري طلبا للعون والمأوى، أما القوات العثمانية المتمركزة في المدينة وجهت إلى دمشق قوة قوامها 3000 رجل إلا أن أعمال الشغب قد هدأت قبل وصولها، وأثارت الهزيمة التي مني بها المسيحيون القلق لدى الأوروبيين، مما أعطى فرنسا دليلا لا جدال فيه على حاجة المسيحيين في سوريا للحماية الفرنسية.[2]

ونتيجة لهذه الأحداث اتفقت الدول الأوروبية الكبرى (إنجلترا- فرنسا- بريطانيا- روسيا- النمسا) والدولة العثمانية على أن تقوم قوات أوروبية نصفها فرنسية بالتدخل العسكري لتهدئة الأحوال في الشام على ألا تبقى هذه القوات أكثر من ستة (06) أشهر وألا يزيد عددها على اثني عشرة ألف جندي حتى لا تتحول المساعدة الفرنسية إلى احتلال فرنسي، وتنفيذا لهذا الاتفاق نزلت قوات فرنسية أواخر أوت 1860م إلى ميناء بيروت مما يعني اعتراف ضمني بأن لفرنسا مطالب خاصة في الشام تفوق ما لغيرها من الدول الأوروبية الأخرى وقد جلت هذه القوات عن لبنان في 1861م تحت ضغط الدول الأوروبية واتفقوا على وضع نظام جديد لجبل لبنان وهو ما عرف بنظام المتصرفية ويكون تحت حكم حاكم مسيحي من غير أهل البلاد ويعينه السلطان العثماني ويكون خاضعا للباب العالي[3] مباشرة[4].

---

[1] – لوتسكي:المرجع السابق، ص 153.

[2] – يندا شيلشر: دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تر عمرو الملاح، مراجعة عطاف ماردیني، ط1، دار الجمهورية للطباعة، سورية، 1998م، ص 112.

[3] – مقر الحكم في الدولة العثمانية أنشأه السلطان محمد الرابع سنة 1654م، أطلق فيما بعد على ساكنه وهو يعني الوزير الأعظم وكان للباب العالي أهمية كبيرة في القرن 19 م وعلى وجه الخصوص في عهدي السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني، أنظر،سهيل صابان: المرجع السابق، ص 49.

[4]– زين العابدين شمس الدين نجم:المرجع السابق، ص 55.

إن أحداث الجبل التي وقعت بين الموارنة والدروز تركت أثرا عميقا في نفوس الأهالي فأدركوا أن الدول الأوروبية تسعى لاستغلال طوائفهم كي تهيمن عليهم.

استهلت تجزئة بلاد الشام فعليا حين نص نظام المتصرفية 1861م على تثبيت الطائفية في الإدارة والتسليم بالإشراف الدولي عليها.[1]

والمقصود هو تميز الجبل عن بلاد الشام تمهيدا لفصله لخلق كيان خاص، مشحون بتيارات شعوبية وأجنبية معادية لأماني شعب هذه المنطقة العربية.[2]

ونستنتج أن مختلف البعثات التبشيرية في بلاد الشام هي التي أدت إلى اندلاع الأحداث الطائفية في مختلف أنحاء البلاد الشامية لا سيما في جبل لبنان واتخاذها منحى خطير ليس من حيث بشاعة المجازر التي ارتكبت فيها وإنما من حيث زيادة التدخل الأجنبي حتى وصل الأمر إلى المشاركة الفعلية في المنطقة لدى كل دولة من الدول الأوروبية المتنافسة[3] وعلى أية حال فقد وجدت الدول الأوروبية في هذه الأحداث مسوغا لتدخلها في بلاد الشام ومنحوا جبل لبنان نظاما للحكم يضمن تسيد العناصر المسيحية على حساب الأغلبية المسلمة.[4]

المبحث الثاني: النهضة الأدبية والفكرية:

بدأت النهضة الفكرية العربية منتصف القرن 19م ساعد في ذلك وجود طبقة من المتعلمين الذين استفادوا من جهود البعثات التبشيرية[5] ومؤسساتها التي كانت تنتشر في بلاد الشام والتي أوجدت المطابع ونشروا اللغة العربية بلغة سهلة وأدى ذلك إلى انتشار واسع للغة العربية وآدابها[6] ولعبت البعثات التبشيرية عامة والفرنسية خاصة دورا واضحا في

---

[1] – أحمد طربين : التجزئة العربية هل تحققت تاريخيا، المرجع السابق، ص 77.

[2] –نفسه: ص،78.

[3] – محمود سليمان:المرجع السابق، ص 07.

[4] – زكريا سليمان بيومي :المرجع السابق، ص 206.

[5] – قسم الدراسات والأبحاث في دار العرب للنشر والتوزيع، سويسرا الشرق، حلم لبنان تبدده السياسة، الملف 15، 2009/6/6م، ص 01.

[6] – رفيق شاكر النتشة:المرجع السابق، ص 143.

حركة الإحياء الثقافي عبر مدارسها وخريجوها[1] كما أن الحروب الطائفية التي حدثت في لبنان جعلت عددا من المفكرين يدركون بعد أن مزقت هذه الحروب البلاد خطورة هذه الظاهرة ودعوا إلى رابطة عربية يجمع بين المواطنين على اختلاف مذاهبهم[2] ولم تلبث النخبة المثقفة أن اختارت لنفسها المعترك الفكري وسيلة أساسية لإيجاد سبيل لإنقاذ الدولة العثمانية وتغيير حالها على وفق تصور جديد في كل الميادين مقدمة للمجتمع العثماني عموما وللفئة المثقفة على وجه الخصوص أنماطا جديدة ومفردات حديثة في التعبير وفيض من الأفكار السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، حملت طابع الحداثة والتحديث لمجمل الواقع العثماني[3].

1- أبرز روادها:

شهد القرن التاسع عشر رواد من الأدباء والمفكرين الأوائل الذين حملوا لواء النهضة الأدبية والفكرية[4] ومما لا شك فيه أن النصارى العرب هم أول من قام بالنهضة ونشرها في البلاد العربية عن طريق ترجمة كتب الغربيين ومقالاتهم ونشرها في البلاد العربية[5] إذ بدؤوا بالظهور على المسرح الفكري وراحوا يمدون الحركة الفكرية والعلمية والإعلامية عن طريق الدراسة في الكتب الأوروبية واستخلصوا من هذه المطالعات الدعوة إلى القومية[6]، ومن أبرزهم:

---

[1] – أحمد زكريا الشلق: المرجع السابق، ص 263.

[2] – نفسه: ص 264.

[3] – نادية ياسين عيد: الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية أواخر القرن التاسع عشر 1908م، تق هاشم صالح التكريتي، ط1، مكتبة عدنان للنشر والتوزيع، سوريا، 2014، ص 117.

[4] – توفيق علي برو: العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908– 1914م، رسالة ماجستير في التاريخ العربي الحديث، جامعة الدول العربية، 1960م، ص 20.

[5] – عيسى ميخائيل سابا:الشيخ ناصيف اليازجي 1800– 1870م، د ط، دار المعارف للنشر والتوزيع، بيروت، د ت، ص 17.

[6] –علي عبد المنعم شعيب:التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط1، دار الفرابي للنشر والتوزيع، لبنان، 2005م، ص 164.

ناصيف اليازجي: 1800- 1870م

ولد في قرية (كفر شيما) إحدى قرى ساحل بيروت في 25 مارس 1800م، كان والده من مشاهير أطباء عصره على مذهب ابن سينا أخذ بدراسة الصرف والنحو والبيان والقوافي والمنطق، تألق نجم ناصيف وهو في السادسة عشر من عمره وعني بالخط عناية خاصة وبرع فيه.

وصلت شهرته إلى الأمير بشير الشهابي فقربه إليه وجعله كاتب يده، لبث في خدمته نحو اثني عشرة سنة أي إلى سنة 1840 ولما قامت ثورة الدروز 1860م غادر إلى بيروت[1].

درس في المدرسة الوطنية التي أنشأها بطرس البستاني ثم في الكلية الإنجيلية السورية، كان اليازجي معتدل القامة، أسمر اللون، أسود الشعر شهما وقورا، متواضعا، متأنيا في حديثه وحركاته، عف اللسان وإلى جانب هذا كله كان محافظا على لهجة قومه وتقاليد أهل بلاده في سائر العادات، تخرج على يده الشباب ولا سيما طلبته الذين أخذوا عنه العلم في مختلف المعاهد والمدارس التي درس فيها[2].

وهو أول من راجت كتبه اللغوية في المدارس العربية من النصارى[3].

ولم يكن من الميسور في ذلك الوقت الحصول على كتب مطبوعة فكانت وسيلته الوحيدة أن يلجأ إلى المخطوطات المخزونة في مكتبات الأديرة وقد أتيح له أن يطلع على هذه المخطوطات وأن يستعيرها.[4]

وقد مكنه ارتياده المكتبات من الوصول إلى أعماق الأدب العربي القديم الذي كان آنذاك مجهولا، وأصبح شغله الشاغل أن يحيي التراث العربي ويستعيد الماضي.[5]

---

[1] – عيسى ميخائيل سابا:المرجع السابق ، ص 10،.11.

[2] – نفسه:ص ص 17، 18.

[3] – نفسه: ص 36.

[4] – ثروت قادس: المرجع السابق، ص 110.

[5] نفسه: ص 111.

كما أتصل بالإرسالية التبشيرية الأمريكية التي وظفته لتستعين به في وضع كتب باللغة العربية توزع بعد طباعتها وتخدم هذه المدارس في إثارة الاتجاه القومي العربي من جهة وتدعيم نفوذهم في المنطقة من جهة أخرى[1] كما قام بتصحيح وتنقيح وترجمة الكتاب المقدس وأصبح سنة 1847م عضو الإرسالية الأمريكية في سوريا وأحد مؤسسي جمعية الكتاب المقدس، ويعتبر ناصيف اليازجي أهم الشخصيات الأدبية والعلمية في القرن 19م.[2] اشتهر بدعوته الملحة لتنقية اللغة العربية من الدخيل عليها وإعادتها إلى أصالتها الأولى.[3]

كان اليازجي أحد الرجال الذين جمعوا بين الإطلاع على التراث العربي القديم والإعتزاز به ومن أوائل المنشغلين بالقضية العربية ودافع عن لغة العرب مبينا فضلها على اللغات.[4]

بطرس البستاني:1234هـ-1819م

ولد في بيروت، تربى في أسرة لبنانية مشهورة تضم عددا كبيرا من العلماء وهو عربيا نصرانيا من جبل لبنان[5]، ظهرت عليه علامات النجابة والذكاء منذ نعومة أظافره فأخذ في تلقي مبادئ العربية والسريانية ثم إلتحق بمدرسة عين ورقة بلبنان لإكمال دراسته فيها، قضي فيها 10 سنوات حتى أتقن آداب اللغة العربية[6] ونتيجة لتفوقه الدراسي وذكاءه أوفدته الكلية المارونية إلى روما إلا أنه رفض الذهاب وشرع في احتراف التدريس وحين ذهب إلى بيروت عام 1840م تعرف على سميث الأمريكي الذي جاء إلى بلاد الشام وساعده في

---

[1] – زكريا سليمان البيومي: المرجع السابق، ص 201.

[2] – ثروت قادس: المرجع السابق، ص 50.

[3] – أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج2، تر صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستنبول، 1999م، ص 376.

[4] – جورج أنطونيوس: المصدر السابق، ص 245.

[5] –ثروت قادس: المرجع السابق،ص50.

[6] –هاشم بن خاطر عبد الرحمان البركي: الدور التغريبي لبطرس البستاني في دائرة المعارف العربية، رسالة ماجستير، قسم الدعوة و الثقافة، السعودية،2010 ص 17.

ترجمة التوراة وأخذ يزيد من معرفته بالسريانية واللاتينية حتى أصبح متمكنا من جميع اللغات.[1]

ساعده نتاجه الأدبي الوفير في طلب العلم، وفي السنوات الأولى من تعاونه مع الأمريكان كان يدرس في كلياتهم ويتعلم لغات جديدة ويلقي المحاضرات في الجمعية الأدبية الأمريكية[2]، ومن سنة 1840 إلى غاية 1863م كان البستاني هو مترجم الإنجليزية الأشهر في الشرق الأوسط، وبالتالي صارت له علاقة وطيدة بالإرساليات الأمريكية فقام بتعليم المرسلين اللغة العربية وترجم الكثير من الإنجليزية إلى العربية وعمل على تطوير الأساليب المستخدمة في الكتابة باللغة العربية.[3]

تمسك البستاني بالشرعية العثمانية إذ نادى بفكرة وطن سوري في نطاق الدولة العثمانية وأبرز فكرة ارتباط الجماعة الوطنية بالعربية لأن اللغة العربية لغة ثقافة وقاعدة مشتركة لأبناء الوطن.[4]

عبد الرحمان الكواكبي 1854م- 1902م:

يذكر محمد عبد الرحمان برج في كتابه التاريخ العربي الحديث والمعاصر أنه لا يمكن لدارس التاريخ أن يؤرخ للنهضة العربية دون أن يشيد بالدور الكبير الذي قام به الكواكبي ويذكر أن كتاباته أحدثت دعوة للعرب لنبذ الجهل والأخذ بأساليب التقدم.[5]

ولد في حلب في 29 جويلية 1855م درس في أنطاكيا وحلب أتقن العلوم اللغوية والشرعية[6]

---

[1] – خلف بن دبلان الوذيناني: المرجع السابق، ص 178.

[2] – جورج أنطونيوس: المصدر السابق، ص 111.

[3] – ثروت قادس: المرجع السابق، ص 51.

[4] – عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، لبنان، 1948م، ص 147.

[5] – محمد بن عبد الرحمان برج: المرجع السابق، ص108.

[6] – مير بصري:أعلام الوطنية والقومية العربية، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م، ص 173.

ينتمي الكواكبي إلى أسرة حلبية معروفة وتلقى تعليمه الأول في الكواكبية التي كان والده أستاذا بها حيث تعلم مبادئ الدين واللغة العربية وما كاد يبلغ الثانية والعشرين من عمره حتى أصبح محررا غير رسمي لجريدة الفرات وهي الجريدة الرسمية التي كانت تصدر باللغتين العربية والتركية في حلب[1] وكانت حياته وسيرته السياسية والعلمية حافلة بالجهد الدؤوب والبحث عن الحقيقة دون خوف بالإضافة إلى ما حياه الله إياه من بصيرة وذكاء حاد، وعرف كيف يوظف ذلك كله في خدمة أمته[2]، ظهرت تباشير جهاده في وقت مبكر واتخذ لنفسه دارا يجتمع فيها مع أصدقائه للتداول في شؤون البلاد وخصص قسما من وقته لخدمة مواطنيه، دخل الحياة العامة موظفا فعمل ما بين سنتي 1875- 1879م محررا عربيا ثم ما لبث أن تلقى وظائف عديدة وأصبح عضوا في لجنة امتحان المحامين بحلب ورئيسا فخريا للجنة المنافع العمومية، ترأس عام 1894م المحكمة الشرعية كما ترأس في العام نفسه غرفة التجارة والصناعة في حلب[3] .

تأثر الكواكبي بالآراء والمفاهيم الغربية وخاصة في الديمقراطية والوطنية وكان لكتاباته قبول واسع ساعد على تنمية الوعي العربي وظهور الاتجاه القومي خاصة وأنه عرض آراءه في إطار إسلامي وأنه يريد للعرب أمة واحدة تتخطى الطائفية في نطاق الوطن ونهضة تعيد لها دورها في الإسلام[4] ودعا إلى نبذ الخلافات الطائفية وإلى المساواة بين سائر رعايا السلطان لتحقيق العدالة والتماسك الاجتماعي بين السكان، كما دعا إلى الاستقلال الإداري لكل القوميات في نطاق الدولة العثمانية وطالب بإقامة خلافة عربية محل الخلافة العثمانية

[1] – محمد بن عبد الرحمان برج: المرجع السابق، ص109.

[2] – فهمي توفيق محمد مقيل: من اعلام الحضارة الاسلامية و رؤى ثقافية و فكرية، ج1 دط، د.د.ن،دم،دت، ص 104.

[3] – نور بيرتا بيير: الكواكبي المفكر الثائر إسهام في دراسة الإسلام الحديث، تر علي سلامة، ط2، منشورات دار الآداب، بيروت، 1981م، ص ص8،7.

[4] – عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 173.

وتعتبر دعوته خطوة جريئة في بناء القومية العربية[1] طرح أفكارا جديدة في عصره حول وحدة المسلمين وعروبة الخلافة ومقاومة الاستبداد والجهل والدعوة إلى الشورى في الحكم والفصل بين السلطات الثلاث (القضائية، التنفيذية، التشريعية) واللامركزية في الحكم العثماني للولايات العربية[2]، وقد خاطب بني قومه من غير المسلمين فدعاهم إلى تناسي الإساءات والأحقاد وكان يذكرهم بأن أحداث سنة 1860م مرجعها التعصب الديني الذي لم يستفد منه إلا المستعمر للبلاد العربية، لكن فرضت عليه الرقابة على كل تحركاته فغادر الشام إلى مصر سنة 1899م[3]، وفي مصر جاهر الكواكبي بآراءه وأفكاره التي كانت تنم عن إيمان بمستقبل الإسلام والعنصر العربي، وأن مفهوم النهضة عنده يرتكز على أمجاد العرب وتراثهم الخالد[4]، ولم يلبث أن غادر مصر في سياحة إلى زنجبار والحبشة والهند مطلعا على أحوال العالم الإسلامي وعاد إلى مصر وكانت وفاته في القاهرة سنة 1902م.[5]

2- ابرز مظاهرها:

أ- **الجمعيات:** لعبت الجمعيات الأدبية والعلمية دورا هاما في نشر الثقافة العربية وصارت تجمعاتها ملاذا للمهتمين بشؤون الثقافة والفكر، وكانت نشأتها على يد مجموعة من المثقفين المسيحيين العرب، وأول جمعية نشأت هي جمعية التهذيب عام 1845م شارك في تأسيسها بطرس البستاني وناصيف اليازجي وقد تخطى نشاطها الموضوعات اللغوية والأدبية إلى مناقشة الموضوعات الوطنية[6] ثم جمعية الآداب والعلوم كذلك أسسها اليازجي والبستاني

---

[1] – علي معطي: تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي: دراسة في العلاقات العربية التركية 1908- 1918، ط1، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان، 1992م، ص 26.

[2] – سعد تامر الحميدي: الصراع بين القوميتين العربية والتركية وأثره في انهيار الدولة العثمانية في الربع الأول من القرن العشرين، ط1، مطابع دار الحديث للنشر، الدوحة، 2011م، ص 135.

[3] – محمد عبد الرحمان برج: المرجع السابق، ص 111.

[4] – السيد محمد الدقن: المرجع السابق، ص 183.

[5] – مير بصري: المرجع السابق، ص 174.

[6] – أحمد زكريا الشلق: المرجع السابق، ص 265.

واقتصر أعضاؤها على مجموعة من الشوام[1]، ولم يمضي عامان على تأسيسها حتى بلغ عدد أعضائها خمسين عضوا أكثرهم من النصارى السوريين المقيمين في بيروت ولم يكن فيها عضو مسلم أو درزي وكانت لها مكتبة صغيرة وكان اليازجي هو القائم عليها والبستاني سكرتير الجمعية، وكانت الاجتماعات تعقد مرة كل أسبوعين واستمررت الجمعية مدة خمس سنوات وأصدرت في عامها الأخير كتابا من أعمالها حرره البستاني[2] كما تأسست الجمعية العلمية السورية سنة 1875م هدفها إثارة الثغرة القومية ضمت إبراهيم اليازجي الذي ألقى في افتتاحها قصيدة دعا فيها العناصر العربية للتمرد على الأتراك وتغنى بأمجاد العرب واتهم الأتراك بالظلم.[3]

كما تأسست العديد من الجمعيات في بلاد الشام أهمها:

- جمعية زهرة الآداب 1873م بيروت ضمت نخبة من المثقفين، تعقد اجتماعاتها أسبوعيا حيث تلقي البحوث والخطب والقصائد بها.
- الجمعية التاريخية 1875م بدمشق.
- الجمعية الخيرية 1878م بدمشق انضم إليها علماء دمشق وأدبائها.
- جمعية المقاصد الخيرية 1880م ببيروت.
- جمعية النادي الأدبي 1890م بطرابلس تقوم بإلقاء الخطب على الجمهور.[4]
- جمعية رابطة الوطن العربي 1904م.

[1] – زكريا سليمان بيومي :المرجع السابق، ص 203.

[2] – جورج أنطونيوس: المصدر السابق، ص 117.

[3] – زكريا سليمان بيومي: المرجع السابق، ص 203.

[4] – هشام سوادي هشام: تاريخ العرب الحديث 1516– 1918م من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 2010م، ص ص 255، 256.

ويلاحظ أن نشاط هذه الجمعيات في بلاد الشام كان في البداية ثقافيا بشكل عام ولم تكن دعوة لكيان سياسي[1] وتعتبر هذه الجمعيات إحدى النتائج الناجمة عن ازدياد الوعي الاجتماعي لدى المثقفين.[2]

ب- الكتب: أسست النخبة المثقفة في الشام مجموعة من الكتب ولعل أبرزها ما ألفه ناصيف اليازجي مثل كتاب (فصل الخطاب في أصول لغة الإعراب) الذي صدر في مالطة سنة 1836م، وكتاب مجمع البحرين نشر في بيروت سنة 1856م[3]، كما ألف العديد من الكتب المدرسية في العلوم العربية للطلاب في المدارس التبشيرية.[4]

أما بطرس البستاني ألف كتاب (كشف الحساب في علم الحساب) يبلغ عدد صفحاته 400ص وهو ملئ بالرسوم التوضيحية ويعتبر هذا الكتاب أول كتاب في علم الحساب الحديث، كما له كتاب (قطر المحيط) وتشير بعض الكتابات بأن تسميته بهذا الاسم لأن نسبته في الكتابة توشك أن تكون كنسبة قطر دائرة إلى محيطها والكتاب جزآن يقع كل جزء فيما يزيد عن 1100ص[5].

وترك الكواكبي كتابين هما: (طبائع الاستبداد، وأم القرى) أما كتابه الأول فهو عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها ثم جمعها في الكتاب[6] والذي يعرف فيه الاستبداد بأنه صفة للحكومة المطلقة العنان التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء[7]، إن كتابه هذا أفزع السلطان عبد الحميد الثاني ومنع كتابه من دخول البلاد العثمانية ورغم ذلك تسربت نسخ كثيرة إلى

---

[1]- مجد جكيب: اشواق النهضة والانبعاث، قراءات، في مشروع الاستاذ فتح كولن،ط1، دار النيل للطباعة والنشر،القاهرة،2013م،ص 59.

[2] – هشام سوادي هشام: المرجع السابق، ص 255.

[3] – علي معطي: المرجع السابق، ص 23.

[4] – أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ص 376.

[5] – عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص 316.

[6] – محمد عبد الرحمان برج : المرجع السابق: ص 110.

[7] – أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، د ط، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، لبنان، د ت، ص 250.

الناس في بلاد الشام وغيرها.[1] أما كتابه (أم القرى) استعرض فيه أحوال المسلمين عامة والخاضعين للدولة العثمانية خاصة وقد سماه أم القرى لأنه فرض أن هذه الآراء وضعت على بساط البحث في مكة[2]، وقد جاء هذا الكتاب صيحة مبكرة لليقظة العربية.[3]

كما ألف نجيب عازوري كتاب (عصبة الوطن العربي في باريس بهدف تحرير الولايات العربية من الحكم العثماني) ونشر هذا الكتاب حوالي 50 نداء موجها إلى العرب تدعوهم إلى الثورة على العثمانيين، ثم نشر عام 1905م كتاب بالفرنسية le Réveil de la Nation Arabe يقظة الأمة العربية دعا فيه إلى فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية على أن تكون الحجاز مقر الخلافة العربية وأن تكون الشام والعراق دولة عربية موحدة.[4]

ج- الصحف والمجلات: قامت النهضة الصحفية العربية في ق 19م بدور أساسي في النهضة الفكرية التي أسهمت مساهمة فعالة في إثارة الوعي القومي العربي وتوجيهه.[5]

فقد ساعدت على تحديث العقل العربي وحملت إلى قراءها لواء الدعوات السياسية والفكرية المختلفة وحاربت الفقر والجهل والأمية ونادت بتحرير الأمة وكافحت لإصلاح اللغة وأصبحت الصحف منبرا عاما لدعاة الفكر القومي[6] وارتبطت الصحافة في بلاد الشام إلى حد بعيد بأحوال الدولة العثمانية السياسية، فحتى سنة 1858م لم تظهر صحيفة عربية في البلاد الشامية إلا أنه وبعد صدور الصحافة سنة 1865م والذي يحد من حرية الصحافة والذي صدر في عهد السلطان عبد العزيز (1861- 1876) توالى صدور الصحف والمجلات العلمية

---

[1] – محمد عبد الرحمان برج: المرجع السابق، ص 111.

[2] – محمد بديع شريف، واخرون: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ترت: محمد شفيق غربال، د ط، مكتبة الأنجلو مصرية، د م، د ت، ص 57.

[3] – محمد عبد الرحمان برج: المرجع السابق، ص 111.

[4] – علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية في عصر النهضة 1798- 1914، الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، ط2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م، ص 134.

[5] – السيد محمد الذقن: المرجع السابق، ص 147.

[6] – هشام سوادي هشام: المرجع السابق، ص 238.

والأدبية والدينية، وقد كثرت هذه المطبوعات وازدهرت في عهده لتساهله وعدم تعصبه الديني فصدر في الفترة بين 1865- 1876 عشر مجلات شهرية وأسبوعية وست صحف سياسية ودينية وكانت ثمرات الفنون أول جريدة عربية إسلامية في بيروت وكان يقوم على إصدار هذه الصحف خيرة الشباب المثقف عاملين على النهوض بإحياء التراث العربي[1] ثم كان عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي أقر دستور 1876م في مادته 12: بحرية الصحافة فصدرت في هذه الفترة بعض الجرائد مثل (لسان الحال) لكن لم يلبث عبد الحميد أن انقلب على الدستور أخذ يصادر الحريات وفي مقدمتها الصحافة فعطلت الصحف، ولكن على الرغم من اضطهاد الصحافة[2] وتشديد الرقابة عليها لم ييأس المفكرون الشاميون فأصدروا صحف كثيرة مثل: (المصباح، بيروت، الشمس، الحديقة، النصير، الإقبال وغيرها...) كما تأسست جريدة "الجوانب" سنة 1860م وانتشرت في المشرق العربي بسرعة ونالت شهرة واسعة وأصبحت منبرا للكتاب العرب يتسابقون على النشر فيها وتحمل معظم كتاباتهم وقصائدهم روحا قومية[3] وأصدر بطرس البستاني صحيفة أسبوعية صغيرة في بيروت بعنوان "نفير سورية" نتيجة لأحداث سوريا والمذابح التي حصلت بين المسلمين والنصارى وكانت أول صحيفة سياسية أتيح لها الصدور في سوريا وقد أوقفت معظم جهودها في الدعوة إلى التوفيق بين العقائد المختلفة وإلى الإتحاد والتعاون في طلب المعرفة ثم أسس عام 1870م صحيفة الجنان وهي صحيفة سياسية أدبية تصدر كل أسبوعين وكانت الغاية منها محاربة التعصب والدعوة إلى التفاهم والإتحاد وكان شعارها (حب الوطن من الإيمان) وهو شعور لم يكن يعرفه العالم العربي في ذلك الوقت[4]، أما نجيب عازوري فأصدر مجلة شهرية (استقلال العرب) صدر العدد الأول منها

[1] – السيد محمد الذقن: المرجع السابق، ص 149.

[2] – نفسه: ص ص 150،151.

[3] – هشام سوادي هشام: المرجع السابق، ص 235.

[4] – ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، ص ص 179، 180.

1887م وكان الغرض منها التعريف بالبلاد العربية وإثارة اهتمام الناس بقضية تحريرها[1]، وأنشأ عبد الرحمان الكواكبي جريدة (الشهباء) 1778م وهي أول جريدة صدرت في حلب[2] أغلقت بعد صدور 15 عددا عالجت قضايا المجتمع منددة بالظلم والظالمين[3] كما أصدر عام 1778م جريدة (الاعتدال) إلا أن حظها لم يكن أوفر من حظ الشهباء حيث سرعان ما أمرت السلطات بإيقافها عن الصدور[4].

المبحث الثالث: القومية العربية:

1- مفهومها:

حركة سياسية قومية تهدف إلى تحقيق استقلال الشعب العربي استقلالا تاما وبعث الحضارة العربية وتحقيق الوحدة بين الأقطار العربية لتشكل الأمة العربية دولة واحدة تستطيع أن تساهم في الحضارة الإنسانية، وتشارك في بناء عالم قائم على العدل والحرية، بدأت هذه الحركة منذ مطلع القرن العشرين[5]، وفكرة القومية نبتت أولا في الغرب وتمكنت القوة الغربية من جذب مجموعة من شباب الإسلام ومن المسيحية إليها فأفرغت عقولهم من تعاليم الإسلام وملأتها بالأفكار الهدامة بدعوى "التقدم" وظهرت لأول مرة في العالم العربي على يد الجمعية السورية عام 1847م وهي جمعية أنشأت بتوجيه وحماية إرساليات التبشير الأمريكي، ثم تبنت الجامعة الأمريكية بعد ذلك الدعوة للقومية العربية في بيروت 1875م[6]. لقد انبثقت فكرة القومية العربية من المدارس التبشيرية التابعة للدول الاستعمارية والتي كانت تنتشر في بلاد الشام خاصة في لبنان، ولقد كان التركيز في هذه المدارس على اللغة العربية والأدب العربي والشعر العربي وأوجدت الإرساليات التبشيرية المطابع العربية

[1] – علي المحافظة: المرجع السابق، ص 135.

[2] – مير بصري: المرجع السابق، ص 174.

[3] – فهمي توفيق مقيل: المرجع السابق، ص 105.

[4] – نفسه: ص 104.

[5] – عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسية، ج4، المرجع السابق، ص 832.

[6] – عبد الفتاح إسماعيل غراب: المرجع السابق، ص 168.

ونشروا الكتب العربية بلغة سهلة وأدى ذلك إلى انتشار واسع للغة العربية وآدابها، كما أدى إلى ظهور عدد كبير من خريجي تلك المدارس الذين أصبحوا أدباء وشعراء[1] ولم يقتصر نشاط البعثات التبشيرية على المجال الديني فحسب، باعتبار أن هذه البعثات كانت تنتمي إلى دول أوروبية مسيحية لها في الشرق أطماع، فقد اعتبرت هذه الإرساليات أن من واجبها تدعيم المكانة السياسية للدول التي تنتمي إليها والتي تساند هذه الإرساليات ماديا وأدبيا لذلك فإن هذه الإرساليات صارت أداة لتحقيق أطماع سياسية مستعينة بالطوائف الدينية وهكذا أدى التعليم الغربي إلى توسيع شقة[2] الخلاف المذهبي وأضاف عقبة في وجه النمو القومي[3] وتعتبر بلاد الشام التربة الخصبة التي نبتت فيها الأفكار والجمعيات المعادية للدولة العثمانية والتي استخدمت ضد الدولة العثمانية وتسعى لإسقاطها، ويرى بعض المثقفين أن ظهور التيارات القومية وخاصة تيار القومية العربية الذي ظهر في بلاد الشام على وجه الخصوص كان ظاهرة إيجابية ساهمت في نشر الوعي وعوامل اليقظة والنهضة لكنها في الحقيقة لم تكن سوى عامل من عوامل التعجيل بسقوط الخلافة والتعجيل بدخول الاستعمار إلى أغلب دول العالم العربي بل إن القومية كانت وسيلة لهدم ما كان مبني على أسس وقواعد ثابتة من التفاهم والعمل المشترك الذي كان عنوانه العلاقات العربية العثمانية خلال قرون سلفت وكيف تكون عوامل نهضة ولم تأت بأي تقدم تكنولوجي أو مادي للبلاد العربية بل جاءت بأفكار ومبادئ هدامة مخربة سعى المبشرون الفرنسيون إلى نشرها وبثها بين سكان بلاد الشام حتى تزرع الفرقة والتباغض والتنافر بينهم وبين العثمانيين.[4]

2- الجمعيات العلنية والسرية:

ا: الجمعيات العلنية:

[1] – رفيق شاكر النتشة: المرجع السابق، ص 143.

[2] – محمود حسن صالح منسي: الشرق العربي المعاصر، ط1، د.د.ن،د م، 1990، ص 226.

[3] – نفسه: ص 226.

[4] – محمد جكيب: المرجع السابق، ص ص 58،59.

1- جمعية النهضة العربية 1906م: تأسست في إسطنبول ثم انتقلت إلى دمشق، وتعد هذه الجمعية أول جمعية قومية عربية منظمة نشأت في سياق الوعي بالفكر القومي وتمثلت أهدافها في السعي وراء سعادة الأمة العربية وإحياء المجد العربي وتوحيد أبناء الأمة العربية وإحياء اللغة العربية والمطالبة بنظام حكم لا مركزي يضمن للعرب حقوقهم داخل السلطنة[1] ولما افتضح أمرها أخذ السلطان العثماني يضيق الخناق على أعضائها وأودع بعضهم غياهب السجون، وقد ضاق عبد الحميد ذرعا بهذه الجمعيات وتحركات رجالها المعادي للسلطة فشدد النكير بالأحرار والمفكرين حتى اضطر بعضهم إلى الهرب خارج البلاد واتخذوا مصر وأوربا وأمريكا مكانا جديدا لهم وميدانا رحبا لنشاطهم السياسي.[2]

2- جمعية الإخاء العربي 1908: تأسست في الأستانة بعد إعلان الدستور العثماني وأنشأت ناديا لها، وإن مؤسسيها هم عدد من كبار موظفي العرب في العهد الحميدي، خافوا على مناصبهم في الدور الجديد، فاستعانوا ببعض الشبان العرب المتحمسين وأسسوا هذه الجمعية للدفاع عن مناصبهم[3] مقصد هذه الجمعية هو معاونة جمعية الإتحاد والترقي في سبيل المحافظة على أحكام القانون الأساسي (الدستور) وجمع كلمة الملل العثمانية المختلفة دون تفريق في الجنس والمذهب وتمكن الرابطة العثمانية بينهم لخدمة الدولة العثمانية وإصلاح الشؤون المختلفة ثم السعي لإعلاء شأن الأمة العربية، كان من أبرز مبادئها أمران هما:

- المحافظة على الدولة العثمانية وعدم تجزئتها.
- إعلاء شأن العرب ومنحهم المساواة الدستورية وإنالتهم المناصب والوظائف.[4]

---

[1] – فدوى نصيرات: المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر (1840– 1918)، ألقيت هذه المحاضرة بتاريخ 12–04–2010م في التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة فيلادلفيا، ص 18.

[2] – علي معطي:المرجع السابق،ص ص،35،36.

[3] – أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل وجامع للقضية العربية في ربع قرن، مج 1، النضال بين العرب والترك، د ط، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، القاهرة، د ت، ص 15.

[4] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 162.

أيد الطلاب العرب في الأستانة هذه الجمعية في أوائل عهدها مسوقين بدافع الشعورين القومي والوطني، فقد ساءهم تحامل الاتحاديين خاصة والترك عامة على العرب في شخص ابي الهدى الصيادي ونجيب ملحمة وأحمد عزت العابد من رجال العهد الحميدي فكانوا إذا خطبوا ضدهم أضافوا كلمة "العرب" تميزا له وتشهيرا به فيقولون عرب عزت أو عرب نجيب (يريدون نجيب ملحمة) مع أنهم كانوا يضيفون هذه النسبة إلى رجال الترك من أبطال العهد الحميدي، ولطالما أوقف الطلاب العرب في الآستانة الخطباء الترك واحتجوا عليهم لإساءتهم إلى العرب، وأخذت جمعية الإخاء العربي على نفسها مهمة استقبال نواب العرب حين قدموا الأستانة للمرة الأولى، فأعدت لهم الحفلات وأستقبلهم أعضاؤها والطلاب العرب واحتفوا بهم وساروا معهم إلى دار الجمعية فكانت أول مظاهرة عربية شهدتها الآستانة.[1]

3- المنتدى الأدبي 1909: أسس العرب هذا النادي في إسطنبول وكان مكانا لتجمع معظم الشباب العربي وخاصة الطلاب وكان مؤسسوه من رجال الحركة القومية الوليدة منهم عبد الكريم الخليل (رئيس المنتدى) وآخرون[2]، كان المنتدى الأدبي مركزا فكريا عربيا وكان له دور يذكر في الحركة العربية وفي نشر الفكرة القومية، ولعل بعض رواده اتخذوا موقفا عربيا متميزا[3]، تمثلت أهدافه في جمع الشباب العربي في الآستانة وانتزاع حقوق العرب من الأتراك وبث المبادئ السامية بين الشباب العربي في الآستانة وخارجها ونشر الدعوة إلى القضية القومية، أقبل الشباب العربي بقوة للانضمام إلى المنتدى واستقر رأيهم على القيام بدعاية واسعة النطاق تبث في جميع الأقطار العربية تقوم على الأسس التالية: الأمة العربية أمة واحدة فقدت مجدها واستقلالها لتسلط الأجانب عليها، والبلاد العربية بلاد غنية يطمع فيها الأقوياء ويعملون على استعمارها ولا سبيل إلى تعديل هذه الحالة إلا بتقوية العنصر العربي في الدولة العثمانية وجعله قادرا على الدفاع عن حياته، وقد هدف المنتدى عن نشاطه

[1] – أمين سعيد: المصدر السابق، ص 16.

[2] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 163.

[3] – عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 201.

إلى إيقاظ الحس القومي لدى الأمة العربية التي كانت تغط في سبات عميق من جراء الاستعباد التركي.[1]

4- حزب اللامركزية الإدارية العثماني 1912: أسسه في مصر جماعة من سياسي سوريا المقيمين في مصر بمعرفة الحكومة التركية، وهم رفيق العظم، ورشيد رضا والدكتور شميل ومحي الدين الخطيب، وكان رفيق العظم رئيسه وإسكندر عمون نائب الرئيس[2] وكان يهدف للحفاظ على الإمبراطورية العثمانية من الأخطار الخارجية المحدقة بها ومن المنازعات الداخلية، وخلق الشعور بالولاء لوحدة الإمبراطورية العثمانية والإخلاص للرمز الموحد وهو العرش العثماني[3] كان هذا الحزب مواليا للدولة العثمانية في بداية الأمر ثم انقلب ضدها بعد أن انقلب الاتحاديون ضد العرب، وقد كان لهذا الحزب فروع في جميع مدن سوريا وفلسطين وفي أنحاء كثيرة من العراق، وكان من أبرز أهدافه المطالبة بالحكم اللامركزي في الولايات العثمانية، وقد أجتمع في هذا الحزب المسلمون والنصارى والدروز واليهود ليكون حزبهم في سوريا مؤلفا من جميع العناصر.[4]

5- جمعية الإصلاح في بيروت 1913: تأسست هذه الجمعية في بيروت، وكانت تعمل على ترقية العرب، وقد اتفقت أهدافها مع سائر الجمعيات الأخرى في المطالبة للاعتراف بسيادة الدولة العثمانية وبأن تكون اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة التركية[5] إلى جانب الحكم الذاتي للولايات العربية، قام الاتحاديون بحل الجمعية واعتقال زعمائها كما تعاونت مع جمعية النهضة اللبنانية[6] في المهجر وقدمتا رسالة مشتركة لحكومة فرنسا

---

[1] – فدرى نصيرات: المرجع السابق، ص 20.

[2] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 164.

[3] – فدوى نصيرات: المرجع السابق، ص ص 2،.22.

[4] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 165.

[5] – زين العابدين شمس الدين نجم: المرجع السابق، ص 403.

[6] – تأسست في بيروت 1909 وتلخصت أهدافها في تمهيد السبيل لفرنسا للاستيلاء على سوريا ووضعها تحت الحماية وتمثلت أهميتها في أنها شكلت جزءا مكونا من حركة التحرر ضد السيطرة التركية وكان الوطنيون العرب يتعاونون مع

1913[1]، احتج العرب وقاموا بمظاهرات في جميع أنحاء بلاد الشام نتيجة لتصرفات الاتحاديين، مما دفع بالدولة العثمانية إلى إطلاق سراح الزعماء وأعلنت استعدادها لتلبية المطالب الإصلاحية وقامت بإصدار قانونين أحدهما يحقق إصلاحا ماليا محدودا والآخر لإنشاء مجلس عام للولايات وإن أعطى الحكومة المركزية سلطة التحكم في هذا المجلس من خلال ولاة الولايات، كما سمحت باستعمال اللغة العربية في المدارس الابتدائية فقط وفي بعض الدوائر، ولما كانت هذه الإجراءات لم تحقق ما يصبوا إليه العرب وقد تركت هذه الجمعية أثرا قويا في نفوس العرب حتى أن جمعية مشابهة لها تأسست في البصرة وهي جمعية البصرة الإصلاحية[2] 1913م والتي انضم إليها عدد كبير من الضباط وأعضاء من فرع حزب الحرية والائتلاف وبالتنسيق مع حزب اللامركزية في القاهرة كثرت اجتماعات هذه الجمعيات وفروعها مما أحدث نشاطا عاما للحركة العربية.[3]

ب: الجمعيات السرية:

1- الجمعية القحطانية: أنشأت في الآستانة في أواخر 1909 بعد مداولات ومشاورات بين بعض اللبنانيين والسوريين وبعض الضباط المتحمسين لليقظة العربية، كما كان أعضاء الجمعية القحطانية يختارون من بين الشباب الثقاة الذين يحفظون العهد ويكتمون السر ويعملون بتفان للقضية العربية، كان للجمعية كلمة سر وإشارة لإثبات شخصية العضو وقد أسس للجمعية فروع في خمس مراكز بالإضافة إلى القسطنطينية[4] شارك فيها ضباط

هذه الجمعية وفي وقت لاحق تركت نظرات قادة الجمعية بصمة جوهرية على قرار لجان الإصلاح في بيروت ودمشق وحزب اللامركزية ونتائج عمل المؤتمر العربي في باريس، أنظر، فدوى نصيرات: السابق، ص 22.

[1] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 165.

[2] – زين العابدين شمس الدين نجم: المرجع السابق، ص ص 40،.404.

[3] – أنشأ هذه الجمعية في البصرة السيد طالب النقيب نائب البصرة في مجلس النواب العثماني وأحد زعماء حزب الائتلاف إليها كما انضم إليها أحرار العراق وشبانه، وصدرت جريدة النهضة في بغداد لتكون لسان حال لها فلم تعش طويلا، أنظر، أمين سعيد: المصدر السابق، ص 31.

[4] – علي معطي: المرجع السابق، ص 77.

ومدنيون عرب وكانت وجهتها السعي لإنهاض العرب وجمع كلمتهم والمطالبة بحقوقهم في المشاركة في الدولة ويبدوا أنها تعبر عن تذمر العرب من موقف الاتحاديين[1] وكان الهدف منها هو تحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين[2] وذلك بأن تؤلف الولايات العربية جزءا من مملكة تركيا عربية رأسها السلطان العثماني، وذلك على نمط إمبراطورية النمسا والمجر[3] والواقع أن الجمعية القحطانية لم تعش طويلا فقد أهملها أعضاؤها بعد سنة من تأسيسها وذلك خوفا من افتضاح أمرهم بعد أن خانهم أحد الأعضاء ووشى بهم إلى السلطات التركية.[4]

2- جمعية العربية الفتاة 1911: أسسها في باريس مجموعة من الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون هناك وكانوا كلهم من المسلمين وقد أخذ عملهم في هذه الجمعية سبيل الجد والكتمان والحذر وكانوا لا يضمون إليها أحدا إلا بعد أن يمر بتجربة طويلة يتبينون فيها صدق عهده[5] نقل مركز الجمعية من باريس إلى بيروت 1913 ثم إلى دمشق وكان هدف الجمعية السياسي تحقيق استقلال البلاد وتحريرها من الحكم التركي وأية سيطرة أجنبية أخرى وأن ترفع الأمة العربية إلى مستوى اجتماعي وثقافي تضاهي به الأمم الأوروبية.[6]

3- جمعية العهد: تأسست في الآستانة في 1913 بدلا من الجمعية القحطانية ولكنها اقتصرت على عضوية العسكريين فقط أسسها الضابط عزيز المصري وكان العراقيون يشكلون أعلى نسبة في هذه الجمعية ثم السوريين، وكانت غايتها الوحدة العربية في جميع الأقطار العربية وكان جل عناصرها من الضباط الأحداث وقد لعبوا دورا خطيرا في الثورة

---

[1] – عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 201.

[2] – عبد الله عزام: القومية العربية، د ط،د.د.ن، د م، د ت، ص 13.

[3] – عبد العزيز الدوري: الجذور التاريخية للقومية العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص62.

[4] – علي معطي: المرجع السابق، ص 78.

[5] –محمد بديع شريف،وآخرون: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة،مرا وتر،محمد شفيق غربال،دط،مكتبة لانجلو المصبرة، دم، دت،ص 91.

[6] –احمد طربين:تاريخ المشرق العربي المعاصر،المرجع السابق،ص393.

العربية وكان أعضاؤها البارزون قد انضموا إلى قوات الثورة[1] وضعت الجمعية برنامجا حددت فيه أهدافها وكان يتألف من النقاط التالية:

- غاية هذه الجمعية السعي لاستقلال البلاد العربية الداخلي على أن تظل متحدة مع الآستانة.
- ضرورة بقاء الخلافة الإسلامية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان.

أحدث إنشاء هذه الجمعية أهمية عظيمة في دوائر الآستانة لما عرف به منشئوها من الصلابة والقوة ولأنها نشأت في فترة من الزمن توترت فيها العلاقات بين الاتحاديين والعرب توترا كبيرا كان من أثره تأييد الشبان والضباط العرب للجمعية والتفافهم حولها وعندما شعرت بها حكومة الاتحاديين، وبدأت سلسلة من الاعتقالات وفي أوائل 1915 وحدت جمعية العهد نشاطها مع جمعية العربية الفتاة وبدأتا تعملان معا للثورة ضد الأتراك وقد اشتعلت بالفعل في 1916م.[2]

المؤتمر العربي بباريس:

نشأت فكرة انعقاد مؤتمر عربي تدعى إليه المنظمات العربية العلنية منها والسرية لدى بعض السياسيين والمفكرين والطلبة المقيمين في فرنسا وقام الشباب المنضمون إلى جمعية العربية الفتاة بمبادرة لتوحيد القوى القومية في الدولة العثمانية وخارجها بهدف إجراء أقصى ضغط ممكن على السلطة التركية المتمثلة بزعامة الإتحاد والترقي[3] مثل هذا المؤتمر بداية بظهور القومية الأساسية.[4]

---

[1] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 169.

[2] – علي معطي: المرجع السابق، ص ص 82،81.

[3] – هشام سوادي هاشم: المرجع السابق، ص 281.

[4] – محمد عبد الشفيع عيسى: القومية العربية،الإطار النظري– المسار التاريخي الأزمنة والتجديد، د ط، دار الأنصار للنشر والتوزيع، دمشق، 2000، ص 55.

قال الشيخ عبد الحميد الزهراوي في خطاب ألقاه في المؤتمر العربي: "إن الرابطة الدينية عجزت تماما عن إيجاد الوحدة السياسية وأنا لا أرجح إلى التاريخ لا يرهن على صحة هذا بل حسبي ما لدينا من الشواهد الحاضرة أنظر إلى الحكومتين العثمانية والفارسية كيف تقوى رابطتهما الدينية على إزالة خلاف بسيط بينهما وهو اختلاف على الحدود[1] ثم تحديد المسائل التي ستكون مدار البحث وهي:

- الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال.
- حقوق العرب في المملكة العثمانية.
- ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية.
- المهاجرة من سوريا وإليها.[2]

وقد صدرت قرارات المؤتمر تؤكد على ضرورة حفظ حقوق الولايات العربية على أساس اللامركزية وأن تكون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية وأن تكون معتبرة في مجلس المبعوثان وشكر المؤتمر حكومة فرنسا لترحيبها بالضيوف العرب.

لقد حاولت فرنسا استغلال المؤتمر لمصلحتها عن طريق عملائها المقيمين في فرنسا خاصة نصارى العرب، وبالتالي فإن نقطة الضعف في هذا المؤتمر كانت في الجمعية الإصلاحية التي اندس فيها فريق من عملاء فرنسا وصنائعهم فتمكنوا من تشويه سمعة بعض رجالها في نظر شعبهم وفي نظر الترك أيضا.

ومن نقاط الضعف الاستعانة بمستشارين أجانب في حكم البلاد الشامية، ومن الثغرات أيضا كونه عقد في عاصمة أجنبية ولها مطامع في بلاد الشام، كما أن المشاركين ممن كانت لهم ارتباطات سابقة مع فرنسا وإنجلترا.

---

[1] – ساطع الحصري: ما هي القومية، أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، د ط،د.د.ن، د م، د ت، ص 319.

[2] – حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، السعودية، 1935م، ص 174.

لقد كان اتجاه المؤتمر تتويجا لنشاط الحركات الإصلاحية من الوجهة السياسية على صعيد الواقع، لا على صعيد المبادئ والجمعيات وقد تنازل المؤتمرون عن التمسك بالمبدأ الديني، إذ كان المؤتمر يعبر عن مرحلة لقاء هام في الاتجاه السوري المسيحي مع العرب القومي المسلم.[1]

لقد كان المؤتمر مسخرا لمصلحة فرنسا ومطامعها بينما كان الإنجليز يتطلعون إلى نقمة العرب والحركة الإصلاحية بمزيد من التوجس والحذر فاستغلوا التذمر العربي من التحكم العثماني، كما استغلوا العلاقة المترددة بين الشريف حسين وحكومة الاتحاديين فخدعت الشريف حسين عن طريق ما يسمى بمشروع الخلافة العربية واحتواء الحركة العربية الوليدة التي ارتبطت بالشريف حسين ابن علي وأرسلت إليهم ضابط مخابرات ليؤجج روح القومية ردا على دعاوي القومية الطورانية ليؤلف ما يسمى بالثورة العربية الكبرى ضد الخلافة.[2]

المبحث الرابع: الثورة العربية

1- أسبابها:

تعود أصول ثورة 1916 العربية إلى طموحات حسين بن علي[3] شريف مكة، حيث قاوم منذ 1909م وحتى اندلاع الثورة في جوان 1916 كل محاولات الاتحاديين[4] للحد من

---

[1] محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص ص 178،179

[2] – نفسه: ص 181.

[3] – ولد الحسين بن علي1270 ه /1853م في الأستانة خلال إمارة الشريف عبد المطلب بني غالب على مكة حيث كان جده ووالده يقيمان هناك منذ 1269هـ/1851م بناءا على أمر الدولة العثمانية ثم انتقل الحسين مع والده إلى مكة عندما كان في الثالثة من عمره، أنظر، نضال داود المومني:الشريف حسين بن علي والخلافة، د ط، منشورات لجنة تاريخ الأردن سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة (11)، عمان، 1996م، ص 18. عين أمير لكنه عزل بعد إعلان الدستور العثماني لمعارضة في الانقلاب 1908 ثم صدر الأمر بتعيين عمه عبد الإله أميرا غير أنه توفي بعد يومين فخلفه ابن أخيه الحسين بن علي، أنظر كذلك، أسامة يوسف الشهاب: الاتجاه الإسلامي في نهضة الشريف الهاشمي، دراسة في الفكر السياسي للثورة العربية الكبرى وثائق ونصوص وأسانيد، د ط، دائرة المكتبة الوطنية، الأردن، 1995م، ص 48.

[4] – الاتحاديين هم أعضاء جمعية الإتحاد والترقي الذين تولوا السلطة في الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور 1908 وجمعية الإتحاد والترقي هي امتداد لجمعية تركيا الفتاة فإن المؤرخون يطلقون إسم تركيا الفتاة على بدايات الحركة خاصة حينما كان معظم نشاطها في أوربا ولما انتقل نشاطها إلى داخل البلاد وانضم إليها العسكريون خاصة صار يطلق عليها الإتحاد والترقي، أنظر، سليمان بن صالح الخراشي: كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، السعودية، 1420هـ، ص ص 39،40.

نفوذهم وسلطتهم في الحجاز وكانت سياسة الاتحاديين القاضية بإقامة حكم شديد المركزية يقضي على أهداف حسين الأولية القاضية بضرورة المحافظة على وضع مستقل ذاتي للحجاز تحت سلطته وبضمان التوارث المباشر لعائلة الإمارة[1].

– سوء الإدارة العثمانية وبخاصة في الفترة التي سبقت الحرب وعقب دخول تركيا لها مباشرة إلى جانب ألمانيا[2] وما انجر عنه من أزمات اقتصادية مدارها ما وقع في الحجاز ولا سيما بعد مرور عامين على الحرب من الضائقة المالية على وجه عام ومن المجاعة الشعبية في بعض الأنحاء ذلك بأن معاش تلك البلاد إنما كان يعتمد على الحج وعلى الموارد الخارجية.[3]

– قيام جمال باشا بشنق زعماء الحركة العربية ومفكريها[4] حيث أن حكمه الإرهابي لم يحرر بلاد الشام من زعامة الثورة بل زاد من شغب روح الثورة[5] فبعد سلسلة الإعدامات في بيروت ودمشق والتي شملت خيرة قادة الحركة القومية لم يبق أي خيار سوى تأييد الشريف حسين ودعم ثورته و كانت أقل ارتباطا بالنضال القومي واضحت علاقتهم ببريطانيا واضحة تهدف إلى ضمان استمرار وجود أسرة الشريف على عرش العرب، كما أنهم كانوا أقل خبرة في الشؤون السياسية على الصعيدين العربي والدولي من معظم الأحزاب العربية.[6]

---

[1] – فيليب خوري: المرجع السابق، ص 124.

[2] – أسامة يوسف الشهاب: المرجع السابق، ص 138.

[3] – محمد جميل بيهم: العهد المخضوم في سوريا ولبنان 1918– 1922م، د ط، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ص 31.

[4] – محمد عبد حسين، يوسف أبو سمرة: تاريخ الشرق الأوسط الجديد والقديم في موازين العرب واليهود والقوى العظمى في العالم ودور الولايات المتحدة الأمريكية دراسة تاريخية تحليلية نقدية، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص 74.

[5] – عبد الجليل التميمي: دراسات في التاريخ العربي العثماني 1453– 1918م، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) زغوان، 1994، ص 56.

[6] – الرفيق عبد الإله الأحمر:دليل العمل القومي العربي المقدم من القيادة القومية لحزب البعث العربي الإشتراكي، د ط، مطبوعات القيادة القومية للنشر والتوزيع، د م، 2010، ص 13.

- إقامة الجمعيات العربية السرية الجمعية العربية الفتاة والقحطانية، المنتدى الأدبي... وتبلور الوعي القومي والرغبة في التخلص من الحكم التركي.

- تصرفات الاتحاديين ودعاة الحركة الطورانية ومحاولة المس بالعقيدة الإسلامية وبشخصية الرسول الكريم محمد –صلى الله عليه وسلم– مثل (إلغاء حتمية الصلاة في المدارس الدينية).

- تذمر القبائل البدوية في الحجاز من تشغيل الأتراك لسكة الحديد في الحجاز لأنها تقطع عليهم رزقهم في نقل متاع الحجاز.

- استغلال البريطانيين لمكانة الشريف كونه من السلالة الهاشمية وكونه أمير مكة إضافة إلى نفوذه وقدرته على ضرب القوات التركية في الجزيرة العربية.

- ضعف الدولة العثمانية وانفصال الأقاليم والولايات.[1]

- وقد أوضح الشريف حسين المقصود بالنهضة التي قامت من أجلها الثورة العربية بأنها خدمة للإسلام والعرب عندما أظهر الاتحاديون عداءهم للإسلام والعرب[2].

- يوضح الشريف حسين سبب مهم من أسباب إعلان الثورة هو ما يتعلق بأقاليم الحجاز إذ أسهب إلى ما تعرض له هذا الإقليم وسكان الحرمين من ظلم واضطهاد وأعلن الشريف حسين أن الثورة موجهة ضد الاتحاديين.[3]

---

[1] – محمد عبد حسين، يوسف أبو سمرة: المرجع السابق، ص 74.

[2] – مؤيد توفيق عقل حيدر العقرباوي: موقف جريدة المستقبل الباريسية من الثورة العربية الكبرى بين عامي 1916– 1919م، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لمئوية الثورة العربية الكبرى 1916– 1917 تعقده جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الزرقاء، الأردن، يومي 28–29 رجب الموافق لـ 5– 6 ماي 2016، ص 18.

[3] – كليب مسعود الفواز: المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين 1908– 1918م، دراسة تحليلية، د ط، دار المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، د م، د ت، ص ص 161، 162.

2- مراسلات الشريف حسين ماكماهون:

كان الإنجليز على علم بما يجري بين الحسين والاتحاديين، حيث أن الألمان استمالوا الاتحاديين وجذبوهم إليهم وعليه اتجهت أنظار الإنجليز نحو مكة والاتصال بأميرها[1] بدأت بريطانيا بمحاولاتها الأولى لجر العرب إلى جانبها ضد تركيا فلم تترك دعاية ولا دسيسة إلا وجرتها لتحقيق غايتها وتظاهرت باحترام مطالب العرب وحرياتهم ووحدة بلادهم مقابل اشتراكهم في الحرب إلى جانبها[2] حيث أن بريطانيا وجهت جل اهتمامها لتنفيذ خطتها نحو الشريف حسين واعتبرته أفضل زعماء العرب في تنفيذ خطتها وذلك لعدة اعتبارات أنه يتمتع بمركز ديني محترم وذلك لإشرافه على الحرم المكي من جهة ولانتمائه للدوحة النبوية من جهة أخرى، كما كانت الدولة العثمانية تعتمد عليه في الدعوة للجهاد وترتيب الأعمال الحربية لنفاذ كلمته وكذلك بعد مركز الدولة العثمانية مما يساعد على التمرد والثورة[3] استغلت بريطانيا فرصة مرور الأمير عبد الله بن الحسين[4]الذي كان يتردد على القاهرة والإسكندرية في روحاته العديدة بين مكة وإسطنبول وتقابل مرارا مع موظفي دار المعتمد البريطاني بالقاهرة، الذين زاروه عندما نزل ضيفا على الخديوي وأحجم عن مبادلتهم الود وأخبر الممثل العثماني بذلك وحدثت مقابلة تمت في القاهرة في 05 فيفري 1914 مع اللورد كتشنر المعتمد البريطاني في مصر أن أفاض الأمير عبد الله في شرح أسباب الجفاء بين والده الشريف حسين والأتراك وسخط العرب عامة عليهم بسبب الاتجاهات الطورانية

---

[1] – أمين سعيد: المصدر السابق، ص 126.

[2] – شفيق الرشيدات: فلسطين تاريخيا وعبرة ومصيرا، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، لبنان، 1991، ص 59.

[3] – فتحي زغروت: من ذخائر التراث الإسلامي، النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، ط1، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، 2009، ص 637.

[4] – ملك أردني ولد 1882 واغتيل في 20 جويلية 1951 م أسس إمارة شرق الأردن 1921 وأراد إقامة إتحاد أردني فلسطيني يقبل الانتداب البريطاني تحت رئاسته وقد حقق بعض هذا باشتراكه ثم انسحابه من حرب 1948 مما كشفت القوات العربية الأخرى المشتركة في قتال الصهيونيين ثم تنازل الأردنيون بعد ذلك عن أطماعهم في فلسطين، أنظر، رؤف سلامة: المرجع السابق، ص 53.

الجديدة، وأشار عبد الله أنه من المحتمل إذا عزل الأتراك والده عن إمارة مكة أن تندلع الثورة القوية في إقليم الحجاز لنصرة الشريف حسين، وأن زعماء العرب يريدون التحرر من الحكم المركزي العثماني الجديد.[1]

وجد هذا التلميح العربي استجابة لدى الإنجليز ومن ثم بدأت بريطانيا الخطوة الأولى لتحطيم العرب والترك معا، حيث سلم سفير بريطانيا مكتوبا إلى الشريف حسين ملخصه "إن بريطانيا تشكر الشريف حسين على خدمة الأماكن المقدسة وسهره على راحة الحجاج" ثم دست عبارة مثيرة وهامة انتهت بها الرسالة "وأنها لا تعارض في إرجاع الخلافة إلى العرب"[2] أخذ الإنجليز يمنون الشريف حسين بمستقبل باهر ويلوحون له بمنصب الخلافة، وتوقع الشريف حسين بذلك أن يؤسس دولة عربية إسلامية كبيرة[3] قامت بريطانيا بإرسال مندوب عنها حمل رسالته إلى الأمير عبد الله وكانت الرسالة الأولى يتساءل فيها عما إذا كان عبد الله ووالده لا يزالان على رأيهما الأول الخاص بالدفاع عن حقوق العرب وأن بريطانيا عازمة على تقديم المساعدة للعرب ضد الترك[4] بدأ الشريف حسين رسالته إلى السيد مكماهون[5] نائب ملك بريطانيا في 14 جويلية 1915 ثم تبعها برسالة أخرى وكلها خمس

---

[1] – محمد فاروق الخالدي:المرجع السابق، ص 183.

[2] – نفسه: ص 184.

[3] – أحمد عبد العزيز علي عيسى: تاريخ العرب الحديث، د ط، مكتبة شبان المعرفة للنشر والتوزيع، د م، 2018، ص 215.

[4] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 185.

[5] – مكماهون هنري مندوب سام إنجليزي في مصر ولد في 28 نوفمبر 1862 وتوفي في 26 ديسمبر 1949 نشأ في الهند ودرس العسكرية في إنجلترا ثم عاد للعمل بالهند بين 1890– 1914 أحضره كتشنر للعمل بالأمن في مصر وقد تبادل في هذا الوقت عدد من الخطابات مع الشريف حسين وعده فيها بأن تتولى أسرته الحكم في فلسطين وسوريا والعراق وفي 1916 إنتهت خدمته في مصر وتولى بعدها بعض الوظائف الإقتصادية في إنجلترا، أنظر، رؤف سلامة: المرجع السابق، ص ص 977، 978.

رسائل[1] رد عليها مكماهون برسائل مماثلة انتهت الأخيرة في 10 مارس1916 ويلاحظ على تلك الرسائل لغة التبجيل والمبالغة في التعظيم للشريف حسين[2] وقد قال مكماهون في إحدى رسائله عن حكومته أنها ستباشر على الحرب والمساعدة حتى يتم تحرير هذه الأقطار وأن إنكلترا لا تستثني أي منطقة عربية لها فيها نفوذ ما عدا الإمارات الواقفة على خليج فارس والبحر الهندي[3] تحالف الشريف حسين مع البريطانيين علنا وأيدته في ذلك الجمعيات العربية التي كان لها نفوذ قوي خصوصا في بلاد الشام كالعربية الفتاة واللامركزية.[4] بينما كانت المفاوضات جارية بين الحسين وماكماهون كان الحلفاء يجرون في ما بينهم مفاوضات سرية لاقتسام البلاد العربية انتهت بتوقيع إتفاق سايكس بيكو[5] 1916[6] وبمقتضاه وزع العالم العربي بين إنجلترا وفرنسا فقضى على وحدته ورسمت حدوده التي ما تزال قائمة الآن إلى حد كبير.[7]

3- الحركة العربية بقيادة الحسين بن علي:

[1] – ملحق رقم (03)ص137، رسالة حسين مكماهون، العماد مصطفى طلاس: الثورة العربية الكبرى، ط4، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1987م، ص 399.

[2] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 187.

[3] – حافظ وهبة: المرجع السابق، ص 108.

[4] – محسن محمد الصالح: فلسطين سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1، د.د.ن،، ماليزيا، 2002، ص 18.

[5] – ملحق رقم (08)ص145،خريطة اقتسام البلدان العربية وفقا لاتفاقية سايكس بيكو،موفق بني المرجه:المرجع السابق،330.

[6] – عقدت إتفاقية سايكس بيكو في 16 ماي 1916 بين مارك سايكس البريطاني وجورج بيكو الفرنسي نصت المعاهدة على تجزئة البلاد العربية إلى 5 مناطق، أنظر، حسن علوان ياسين: الثورة الروسية وأثرها على المشرق العربي والإسلامي 1917– 1924 م دراسة تاريخية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سانت كليمنتس، بغداد، 2012، ص 220.

[7] – حسين صبري الخولي: فلسطين بين المؤامرة الصهيونية والاستعمار، د ط، دار التحرير للطبع والنشر، د م، 1968، ص 11.

كانت قيادة الفتاة والعهد تعملان على الاتصال بالزعامات المحلية في سوريا والعراق وغيرهما وتبحثان عن قائد سياسي معروف يستطيع دعم الحركة العربية بشكل قوي وكان الحسين في تلك الفترة يعتبر أهم وأكبر زعماء العرب وعليه جرى التنسيق مع الشريف حسين، وقرر الاتصال بالقوميين في دمشق وأوفد ابنه فيصل لذلك الأمر، اتخذت كل من الجمعيتين الفتاة والعهد عزمهما للانفصال عن الدولة العثمانية والانضمام إلى الحسين وأبنه فيصل[1] وقد اتخذتا قرار جاء فيه ما يلي:[2]

- قطع العلاقات ما بين العرب والترك مع وجوب استقلال البلاد العربية.
- وفيه شروطهم لعقد اتفاق مع بريطانيا للدخول معها في الحرب وطلبوا منه أن يقدم الميثاق إلى والده ليعمل بموجبه في اتفاقياته مع بريطانيا للدخول معها في الحرب.

ومن بنود هذا الميثاق:

1- اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التالية:

شمال خط مرسين أضنه... إلى حدود إيران.

شرقا حدود إيران إلى خليج العرب.

جنوبا المحيط الهندي باستثناء مدينة عدن

غربا امتداد البحر الأحمر ثم الأبيض المتوسط إلى مرسين.

2- إلغاء جميع الامتيازات الأجنبية[3]

3- عقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة.

4- تقديم بريطانيا وتفضيلها على غيرها من الدول في المشروعات الاقتصادية.

---

[1] – طالب محمد وهيم: مملكة الحجاز (1916- 1925)، دراسة في الأوضاع السياسية، ط1، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، د م، 1981م، ص 113.

[2] – محمد فاروق الخالدي:المرجع السابق، ص ص 195،196.

[3] – نفسه، ص 197.

– لقد كان هذا الميثاق أساسا لمفاوضات الحسين مع الإنجليز وكان لهذا أهمية لأنه بني على إيجاد دولة عربية كبيرة في آسيا وليس دولة سوريا فقط.

4- إعلان الثورة العربية على الدولة العثمانية ضمن التحالف العربي البريطاني:

عندما انتهت مكاتبات مكماهون كان الشريف حسين يحلم يملك عريض وإمبراطورية وخلافة إسلامية[1] وعليه قام الشريف حسين بإعلان الثورة العربية على الأتراك من مكة المكرمة في 06/10/ 1916،[2] وتحرك إبنه فيصل على رأس جيش عربي من الحجاز شمالا باتجاه العقبة ثم دمشق وفي الوقت نفسه قام الجيش الإنجليزي من مصر وسار باتجاه غزة فلسطين والساحل وقام بمعارك ضاربة مع الجيش التركي على أرض فلسطين واستغل الإنجليز أسلوبهم في نشر دعايات ومناشير ألقوها من الطائرات على أرض فلسطين وعلى مناطق مختلفة من فلسطين والأردن وذلك للانضمام للشريف حسين، والمنشور[3] موجه من الشريف إلى الضباط والجنود العرب في الجيش التركي في فلسطين وبلاد الشام[4] وخلال فترة الحرب ظهرت فضائح الاتفاقيات السرية سايكس بيكو ووعد بلفور[5] لقد ظهرت أنباء سايكس بيكو الغادرة بتقسيم البلاد العربية بين الحلفاء عن طريق الحكومة الشيوعية في

---

[1] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق،202.

[2] – ملحق رقم(09)ص146، خريطة سير الثورة العربية،شوقي ابو خليل:اطلس التاريخ العربي الاسلامي،ط12،دار الفكرللنشر والتوزيع،دمشق،2005،ص،138.

[3] –ملحق رقم(04)ص140،منشور الشريف حسين للضباط العرب في الجيش العثماني،موفق بني المرجه:المرجع السابق،ص ص،435 .

[4] – تيسير جبارة: تاريخ فلسطين، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، فلسطين، 1998، ص 87.

[5] – هو الخطاب الذي كتبه بلفور وزير الخارجية البريطاني إلى اللورد روتشيلد باسم إتحاد الجمعيات الصهيونية التي تهدف إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين عرف هذا الخطاب بوعد بلفور فقد جاء فيه أن بريطانيا تتعهد بالدفاع عن إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وأنه لا مساس بحقوق غير اليهود الدينية والمدنية هناك وأنها ستبذل قصارى جهدها من أجل تحقيق هذا الهدف، وفي الوقت الذي وعدت فيه إنجلترا بإقامة وطن لليهود في منطقة لا تمتلك حق التصرف فيها، كان 90% من سكان فلسطين عرب وامتلاك اليهود للأراضي لا يتعدى 02% ورغم هذا التعارض طمأنت إنجلترا العرب أن هذا الوعد لا يعني إقامة وطن لليهود وأنها ستدعم إقامة دولة عربية مستقلة موحدة، أنظر، حسين أوزدمير: فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني، تر، وليد عبد الله القط، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، 2013، ص 146.

روسيا في 08 تشرين ال1917 عن طريق جمال باشا الذي أرسل رسالتين إلى الأمير[1] عبد الله وفيصل وثالثة إلى القائد العسكري الكبير في جيش فيصل بن الحسين وأعلم فيصل والده بتلك الأنباء فأنكر ذلك ورفض أن يغير موقفه، نقلت العربية الفتاة مركز قيادتها إلى معسكر فيصل في الأردن ليزحفوا جميعا نحو دمشق، كما رفض الضباط العرب الاستمرار في الحرب إلى جانب الإنجليز وخرجوا عن أوامر فيصل الذي أرسل إلى والده يطلب منه أن تقدم بريطانيا تأكيدات بأنها تستنفذ وعودها الأساسية له فأجابه والده يعلمه بثقة الحلفاء وتكرر العصيان عند بعض الضباط العرب ضد قيادة الحلفاء وإشتد هياجهم قبل الوصول إلى دمشق[2] واستمرت الجيوش الغازية بالزحف نحو المدن الشامية بمساندة قوات الثورة المخدوعة فحاصرت القدس ودافع عنها العثمانيون دفاعا مجيدا، وسقطت المدينة بأيدي القوات الصليبية في 9-12-1917 وبقي أمر دخولها سرا عدة أيام وفرح النصارى فرحا ظاهرا فقرعت أجراس الكنائس بسقوط القدس، حيث أن الجنرال اللبني عندما دخلت الجيوش الإنجليزية المدينة وعندما وصل إلى كنيسة القيامة.[3] قال اليوم انتهت الحروب الصليبية[4] استمر زحف قوات الجيش العربي بقيادة فيصل بن الحسن حيث استولى على حوران ودرعا ودمشق في 20 أفريل 1918 ورفع العلم العربي على دار الحكومة وشرع بتأسيس الحكومة العربية الثالثة في 03 تشرين الأول 1918م، كما دخلت القوات البريطانية وكانت الجماهير تهتف بحرارة كما دخل اللبني والقائد الفرنسي مدينة بيروت واحتلوا دار الحكومة وهنا ظهرت بوادر الغدر بالعرب عندما وصل الجنرال اللبني واتخذ قراره لوضع السياسة البريطانية موضع التنفيذ، التقى اللنبي بالأمير فيصل وأبلغه بالسياسة الواجب تطبيقها في الأراضي المحتلة وأنه مستعد للاعتراف بإدارة عربية على الأرض شرقي نهر الأردن من

[1] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 210.

[2] – نفسه: ص ص 210،211.

[3] – نفسه: ص 212.

[4] – صالح مسعود ابو بصير: جهاد شعب فلسطين 1368– 1968م، د ط، د.د.ن،د م، دت، ص 67.

معان حتى دمشق وفيها حمص وحماه وحلب وأن تكون المنطقة تابعة لقيادته[1] بصفته القائد العام وبصفة الأمير فيصل أحد قواد الحلفاء كما قرر تعيين ضابطي ارتباط أحدهما إنجليزي والآخر فرنسي ليكون وسيطا لدى الإدارة العربية وبذلك يكون اللنبي قد وضع اتفاقية سايكس بيكو موضع التنفيذ، وعين فيصل على المنطقة التي سماها منطقة محتلة وليست محررة من الأتراك ولم يعطيه أي حق في إدارة لبنان أو فلسطين اعترض فيصل بشدة عندما علم بتولي الفرنسيين[2] فأجابه الجنرال اللنبي بإصرار أن هذه الأوامر قد صدرت إليه بصفته القائد العام في فلسطين وسوريا[3] وهكذا لم تعترف بريطانيا وفرنسا بالشريف حسين إلا ملكا على الحجاز فقط دون بقية البلاد العربية ورفضتا منحه لقب صاحب الجلالة بل دعته بصاحب السيادة وأحيانا بصاحب السمو.[4]

5- نتائجها:

لقد كان للثورة العربية عدة نتائج والتي اتخذت منحيين الأول إيجابي والثاني سلبي فمن الناحية الإيجابية ما يلي:

- أول منجزات الثورة العربية إبرازها القضية العربية على حيز الوجود في ميدان السياسة العالمي وانتزاع الاعتراف الدولي بها، إذ جاء إعلان الثورة حتى يكرس شرعية المطالب العربية وحقها في تقرير المصير وإقامة دولة عربية تشمل أكثر المناطق التي كانت خاضعة للدولة العثمانية.

- إعادة وحدة العرب الروحية وخلق تاريخ قومي لم يكن له وجود أو شبه وجود منذ سقوط الخلافة العباسية وعندما تداعت تلك الوحدة وتفتت إلى وحدات قطرية هيمنت على أكثرها

---

[1] - محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 214.

[2] - نفسه:ص 216.

[3] - العماد مصطفى طلاس: المرجع السابق، ص 267.

[4] - شيخة بنت صالح بنت محمد شعيب: نيابة الأمير فيصل العامة في الحجاز في عهد الملك عبد العزيز، 1344-1373هـ/1926- 1953م، دراسة تاريخية حضارية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 2011، ص 13.

عناصر غير عربية والتي لم توحد إلا تحت الحكم العثماني، وفي أواخر عهدهم حاولوا أن يذوبوهم في بوتقة الطورانية بعد إخفاقهم في صهرهم في بوتقة العثمانية.[1]

- أعظم إنجاز للثورة العربية هو قيامها على يد أمير عربي مسلم آمن بعروبته كما آمن بإسلامه وأراد أن يستعيد حق العرب في تقرير مصيره وكانت هذه أول ثورة ضد الخلافة العثمانية استهدفت الوحدة.

- جسمت الثورة العربية اليقظة العربية ودفعت بالقضية العربية إلى الساحة العالمية.[2]

- أما من ناحية السلبية فقد أدت الثورة العربية إلى نتائج كارثية بالتقسيم الاستعماري للمشرق العربي الذي كان جزءا من الإمبراطورية العثمانية ووضعه تحت الانتدابين البريطاني والفرنسي.[3]

- مزقت بلاد الشام إلى دويلات أربع والدولة الواحدة قسمت إلى أجزاء متناثرة في ظل الانتداب البغيض.

- بعد الوعود الفضفاضة بتاج الملك على عرب آسيا كلهم وخلافة عربية ثمنا لإسقاط الخلافة العثمانية، فصلت سوريا عن الحجاز وبدأت الأحزاب السورية تقتنع بكيان سوري جديد كحزب الإتحاد السوري.

- كان الخراب والدمار من أبرز نتائج التحالف العربي البريطاني حيث فقدت نحو عشر سكانها في المعارك والجوع والأمراض (أي نحو ثلاث مئة ألف رجل على أقل تقدير) وخسرت من حيوانها وشجرها وذخائرها وبيوتها وجسورها وما يساوي الملايين من الدنانير فضلا عمن قتل في الحرب.[4]

---

[1] – أسامة يوسف شهاب: المرجع السابق، ص 261.

[2] – نفسه: ص ص 361،365.

[3] – إيجي ناغاساوا: مستقبل أنظمة ما بعد الاستعمار في الوطن العربي، مجلة إضافات، ع 31–32، صيف/ خريف 2015، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص 136.

[4] – محمد فاروق الخالدي:المرجع السابق، ص 305.

- غدر الإنجليز بحليفهم الشريف حسين وعزله فبعد نهاية الحرب وانتهاء خدماته أرسلت بريطانيا لورانس لإقناع الحسين بقبول مصير فلسطين.[1]

وفي ختام فصلنا هذا نستنتج ان:

جملة الاحداث انفة الذكر قد ارهقت الدولة العثمانية حتما فاستفادت الدول الكبرى عامة وفرنسا خاصة من ضعفها و اضطراباتها.

[1] – محمد فاروق الخالدي: المرجع السابق، ص 309.

خاتمة

وفي ختام دراستنا نستنتج أن:

-بلاد الشام واجهت العديد من التحديات في القرن 19م وأن التبشير الفرنسي هو احدي تلك التحديات.

- أن العلاقة التي نشأت بين الطرفين الفرنسي والعثماني كانت تحكمها المصلحة فالجانب العثماني يرغب في التوسع الجغرافي في أوروبا بإيجاد حليف كفرنسا أما الجانب الفرنسي وخاصة الملك فرانسوا الأول وبسبب الظروف القاهرة التي مر بها أضطر إلى عقد تحالف مع العثمانيين.

- تعد الامتيازات الفرنسية من العوامل التي ساهمت في التدخل الفرنسي في الدولة العثمانية، حيث مثلت نقطة تحول مهمة فيها.

- أن إقامة الجاليات الأوروبية في بلاد الشام بحجة التجارة ليس في الواقع سوى مظهر من مظاهر الاستعمار الأوربي وقد تم ذلك تحت غطاء الاتفاقيات والمعاهدات التي تحمل في طياتها تغلغلا استعماريا خفيا واستنزافا اقتصاديا لمواردها وتدخلا في شؤونها.

- كان للحكم المصري لبلاد الشام انعكاسا كبيرا عليها من خلال سياساتهم التي أنصفت الجالية الأوروبية أكثر من غيرها، من خلال نجاح محمد علي باشا في بناء مؤسسات تربوية وتعليمية حديثة متخذا من فرنسا مثالا للرقي والازدهار، والذي ترتب عنه أن تنبهت الدول الأوربية إلى مدى الضعف الذي أصبحت عليه الدولة العثمانية، وبالتالي استعدادهم لتقسيم أراضيها حينما تتهيأ الظروف المناسبة.

- شهدت منطقة الشام في القرن 19 م عدة تنظيمات إدارية جديدة كخط الشريف كلخانة 1839م، والخط همايوني 1856.

- إن التبشير مؤسسة من مؤسسات الغزو الفكري الغربي الموجهة للعالم الإسلامي وإن هذه المؤسسة سلكت طريقين لإخراج المسلمين من ملتهم تمثلت الأولى في إضعاف العقيدة في نفوس المسلمين، والثانية العمل على تقبل نمط الحياة الغربية بكل ما فيها من سلبيات تتنافى وروح الإسلام ومبادئه.

– تكمن خطورة التبشير في ارتدائه ثوب الدين في الظاهر لكنه في الحقيقة هو حركة سياسية تعمل على تسهيل الغزو الفكري والحضاري الغربي في البلاد الإسلامية وصولا لاستعمار تلك البلاد.

– عمل المبشرون الفرنسيون بكل أجناسهم على تحقيق الهدف الأساسي من أهداف النفوذ الأجنبي ببلاد الشام، وهذا الهدف هو إخراج المسلمين والعرب عن القيم التي تدفعهم إلى الحرية ومقاومة هذا النفوذ بكل صوره وعدم الانصهار في الأممية والعالمية.

– إن من الصعوبة أن يرتد مسلم عن دينه إلى النصرانية والحقيقة أن فئات كثيرة التي أعماها الغضب والتعصب والجهل جرت وراء عملية التبشير رغبة في الوقوف في وجه الإسلام ومحاولة زحزحة العقيدة من قلوب المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

– إن وحدة المسلمين في نظر المبشرين الفرنسيين يجب أن تتفتت وأن هدفهم هو التفرقة بين المسلمين واتجاهاتهم.

– إن البعثات التبشيرية لا تقوم بعملها التبشيري في قطر من الأقطار إلا بعد دراسة شاملة في شتى النواحي سواء السياسية، الاجتماعية أو الاقتصادية... إلخ.

– إن أول مدخل للمبشرين في البلاد العربية والإسلامية هو جهل المسلم بدينه يتبعها حاجته للمال،ثم للعلاج ثم الأمن وأسوأ ما في هذا العمل استغلاله للخدمات الاجتماعية للوصول إلى أهدافه.

–إبعاد الطلاب عن تراثهم وإيمانهم بأن ذلك التراث فارغ المحتوى، واستحقار من يقرأ ويكتب أو يؤلف في التراث الإسلامي،و زعزعة مكانة اللغة العربية في نفوسهم وإبعادهم عن لغتهم الأم، ولغة القراءة وتعظيم اللغة الفرنسية و إبعادهم عن الثقافة والتربية الإسلامية حتى يستطيعوا الإطلاع على اللغة الأجنبية فيتأثروا بالفكر الغربي، و الثقافة الفرنسية.

– استخدمت البعثات التبشيرية الفرنسية كل الوسائل الممكنة لتحقيق أهدافها الاستعمارية منطلقة من حاجات الناس في المجالات كافة ومستثمرة بدهاء تلك الحاجات لاستقطاب أكبر عدد من المسلمين لصالحهم فاقتحمت كل الميادين المهمة واستخدمت البر والإحسان

ومارست العطف على المستحقين وتقديم الإعانة للمحتاجين كل ذلك بهدف وصولها إلى مراميها.

– إن المؤسسات التبشيرية الفرنسية على ما بينها من اختلافات فكرية وعقائدية يجمعها وحدة الهدف الذي ينطلق من أطماع تستهدف في خاتمة المطاف أمة العروبة والإسلام.

– كان هدف فرنسا من إنشاء المؤسسات التبشيرية تنشئة جيل بعيد عن الإسلام، ليسهل القضاء على وحدة المسلمين التي كانت حجر عثرة أمام الاستعمار الصليبي الذي ما فتئ في كل مرة يحاول ضرب المسلمين بشتى الوسائل الممكنة.

– أصبحت البعثات التبشيرية أداة لتحقيق أطماع سياسية وكانت الدولة العثمانية مسرحا للتنافس الدولي فيها وأصبحت المؤسسات التعليمية والثقافية مركزا للفكر الغربي في الشام نشأ من خلالها جيل يتقن اللغات الأوربية أكثر من العربية.

– لم يتوقف المبشرون عن فترة زمنية في تبشيرهم بل مازالت عجلتهم تدور وما قضية العولمة التي نعيشها اليوم إلا صورة ذكية من صور التبشير والهدف من هذا هو الإسلام والمسلمين.

– إن من أبرز نتائج التبشير الفرنسي في بلاد الشام أن مهد الطريق للاستعمار الأوروبي والتغلغل في العالم الإسلامي.

– عرفت بلاد الشام العديد من الطوائف المذهبية، الأمر الذي جعلها عرضة للصدمات العرقية الدموية سواء بين المسلمين أو بين المسيحيين أنفسهم وذلك بإقناع الأقليات بضرورة بقاء نفوذ الدول الأجنبية في الدولة العثمانية.

– ومن أهم آثاره أيضا على الدولة العثمانية إثارة الفتن والأحقاد بين مختلف الطوائف حتى بين أبناء النصارى أنفسهم وإيقاظ الحركة القومية العربية مما يحببهم في التخلي عن الدولة العثمانية.

– من الطبيعي أن ينتقل الاستعمار الغربي إلى تفتيت الجماعات المتحالفة والقوميات المتعاونة بعد أن أرادت تغيير النظام وأصبح إشعال نار الفتنة والتناقضات بين هاته القوميات لإسقاط الدولة العثمانية.

– وجد العثمانيون أنفسهم في صميم التنافس الأوربي والصراعات المذهبية التي رافقت تفكك الدولة العثمانية، إذ اتخذت كل من الدول الأوربية الكبرى ذريعة حماية ملة مسيحية لتتدخل في سياستها وتؤمن لنفسها نفوذا وحصة أكبر فيها.

– محاولة المبشرين الفرنسيين المستمرة في إنشاء دولة مسيحية في بلاد الشام التي أضحت خطرا على شعوبها.

– عرفت بلاد الشام بداية بزوغ تباشير فجر النهضة التعليمية من خلال ما شهدته تلك المنطقة من أحداث سياسية وكذلك للخصوصية التي تمتعت بها بسبب سعة مساحتها من جهة وتنوع الطوائف الموجودة فيها من جهة أخرى.

– أسهمت البعثات التبشيرية الفرنسية التي تزايد نشاطها في بلاد الشام منذ القرن 19 م في النهضة الفكرية العربية فبالرغم من الآثار السلبية التي تركتها تلك البعثات في إيجاد نوع من الولاء للدول الأوروبية إلا أنها أيقظت المشاعر لدى المسلمين الذين أصبحوا يعملون على تأسيس النوادي والجمعيات وغيرها.

– ظهور مجموعة من السياسيين الذين تأثرت أفكارهم بآراء سياسية وفلسفة غربية أدت إلى اضطراب الأفكار في مختلف نواحي الحياة.

– إن التفكير في النهضة الفكرية العربية بدأ عند العرب النصارى قبل أن يبدأ عند المسلمين.

– ظهور عدد من الجمعيات العلمية والمنتديات الأدبية في بلاد الشام التى كان لها دور بارز في بلورة النهضة الفكرية العربية وكان في مقدمة الرواد الذين لهم دور متميز في هذا المجال: بطرس البستاني وناصيف اليازجي.

- التفت العرب المسيحيون في نهضتهم الأدبية والفكرية إلى الماضي البعيد يستلهمون منه القيم والمعاني وطرق التعبير..

- إن حركة القومية العربية بدأت كحركة أدبية تعمل على إحياء اللغة العربية وآدابها وبعث التراث الفكري العربي والإفادة منه، كما قامت الجمعيات الأدبية بهذا الدور البارز الذي تحول إلى دور العمل السياسي.

- يرى البعض أن ظهور تيار القومية العربية الذي ظهر في بلاد الشام على وجه الخصوص كان ظاهرة إيجابية ساهمت في نشر الوعي وعوامل اليقظة لكنها في الحقيقة لم تكن سوى عامل من عوامل التعجيل بسقوط الدولة العثمانية.

- بدأت القومية العربية تعني شيئا آخر غير الإصلاح، إذ أصبحت تعني حرية واستقلال العالم العربي عن الدولة العثمانية، تلك الدعوة التي تبناها الشريف حسين في ثورته عام 1916م.

- إن نمو تيار قومي عربي داخل الدولة العثمانية كان يهدف إلى تكوين دولة عربية كبرى إلا أنه لم ينجح في ذلك لأن الدول الأوروبية سارت على قاعدة التثبيت والسيطرة تجاه الشرق العربي الذي وضع تحت النفوذ الفرنسي والبريطاني.

- تشكلت الأهداف التبشيرية الفرنسية التي تحققت فعلا خطرا حقيقيا عانى منها العالم الإسلامي ولا يزال يعاني.

- أن مؤتمر باريس كان ضمن التوجه الاستعماري الفرنسي من أجل تعميق الهوة بين العرب والترك.

- إن الثورة العربية التي قادها الشريف حسين هي ثورة ضد الظلم والاستبداد وهدفها الأساسي تحرير العرب وتوحيدهم وقيام دولة عربية تضم (سوريا، العراق، الحجاز، الأردن، فلسطين، لبنان) حيث تعهدت بريطانيا بتقديم المساعدة والاعتراف باستقلال البلاد العربية مقابل الوقوف إلى جانبها ضد الحلفاء، فبعد الوقوف إلى جانبها في حربها نكثت عهدها وتقاسمت مع حليفتها فرنسا التركة.

– كانت الثورة العربية ضمن الأهداف الفرنسية البريطانية ففي غمرة المراسلات بين الشريف حسين وماكماهون كانت إتفاقية سايكس بيكو قيد الإعداد وتم تقسيم المنطقة المتفق عليها إلى مناطق نفوذ فرنسية وأخرى بريطانية مباشرة وغير مباشرة.

– إن مرحلة الثورة العربية الكبرى هي المرحلة التي شهدت أول تغيير ثوري جذري في تاريخ النضال العربي ضد الدولة العثمانية وكان من آثار الثورة تأكيد البعد الحضاري الإنساني لهذه المنطقة العربية في مواجهة التحديات لطمس هويتها وحضارتها، وقد انطلق الشريف حسين رافعا راية إحياء العقيدة الدينية واللغة العربية.

– لقد نال المبشرون الكثير، فهذه فلسطين ثمرة من ثمار تبشيرهم الاستعماري الذي لاقتصر خطورته على فئة أو طبقة معينة، بل تؤثر على الأمة بأكملها.

الملاحق

الوثائق

الملحق رقم: (01) الخط الهمايوني

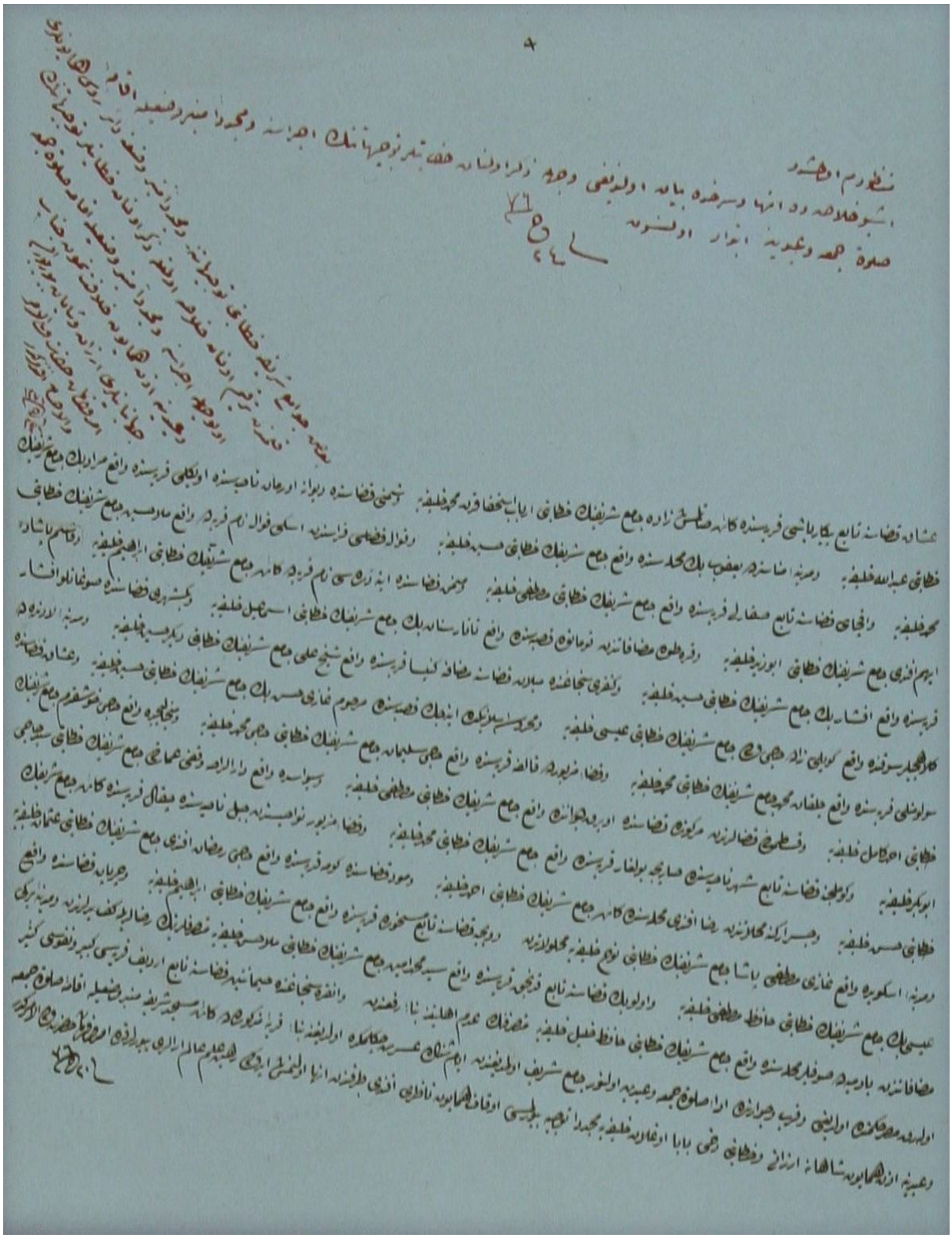

المصدر: https://ar.wikipedia.org/wiki/ الجمعة 20 أفريل 2018 سا 18:34

الملحق رقم: (02): كلية الطب في بيروت.

سفارة فرنسا لدى الباب العالي .

الادارة السياسية

رقم ٢١٧

١٨ ت ١ (اوكتوبر) ١٨٩٨

سعادة الوزير Delcassé وزير الشؤون الخارجية في باريس .

حول كلية الطب في بيروت :

. . . تعود فكرة تأسيس هذه الكلية إلى « غامبيتا » والكاردينال « لافيجري » . والهدف من الفكرة ايجاد كلية فرنسية كبيرة في سوريا يأتي إليها شبان هذا البلد ليتعلموا فيها العلوم الطبية ، ويتمكنوا من دراسة لغتنا ، كي ينتشروا في المشرق ، فيما بعد ، على غرار الكثير من اصدقاء نفوذنا وحضارتنا .

إن الغاية الأولى للمؤسسين أن يجعلا من هذه الكلية فكرة سياسية ومؤسسة دعائية .

. . . ان الاساتذة الكرام الذين ارسلتهم وزارة التعليم الفرنسية ليشاركوا في الامتحانات السنوية في الكلية ، يتصرفون وكأنهم محكمة دولة . وباعتقادهم أن هذه الكلية تمثل التعليم الفرنسي في المشرق ، لذا يجب أن يتخرج منها علماء قبل أي شيء آخر . أن الهدف السياسي الذي وضعناه لأنفسنا قد أخضع اليوم للفوائد العلمية المزعومة في هذه المؤسسة .

التوقيع غير واضح

المصدر: طلال عتريسي: المرجع السابق، ص 150.

الملحق رقم (3): رسالة حسين مكماهون

الرسالة الأولى

مذكرة السير هنري مكماهون الأولى الى الشريف حسين
القاهرة في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ (٣٠ آب - سنة ١٩١٥)

الى السيد الحسيب النسيب سلالة الاشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الاحمدية صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل دولة الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبلة العالمين ومحط رحال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين .

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة ، نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لاظهاركم عاطفة الاخلاص وشرف الشعور والاحساسات نحو الانكليز . وقد يسرنا علاوة على ذلك أن تعلم ان سيادتكم ورجالكم على رأي واحد وان مصالح العرب هي نفس مصالح الانكليز والعكس بالعكس . وهذه النسبة فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت الى سيادتكم عن يد علي أفندي وهي التي كان موضحاً بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها .

وانا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى عربي صميم من فروع الدوحة النبوية المباركة .

وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لاوانها - وتصرف الاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة رحاها ولأن الأتراك أيضاً لا يزالون محتلين لاغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً وعلى الاخص ما علمناه وهو ما يدهش ويحزن أن فريقاً من العرب القاطنين في تلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها - وبدل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الالمان - نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الالمان وذلك الظالم العسوف وهو الأتراك .

مع ذلك فانا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل وللبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية وستصل بمجرد اشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينوه . وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته الينا ونحن على الدوام معكم قلباً وقالباً مستنشقين رائحة مودتكم الزكية ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا .

وفي الختام ارفع الى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي .

المخلص
(السير آرثر مكماهون)
نائب جلالة الملك

***

الرسالة الثانية

مذكرة الشريف حسين الثانية الى السير هنري مكماهون

بسم الله الرحمن الرحيم

مكة ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ ، (٩ أيلول - سنة ١٩١٥)

لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر، سلمه الله

بمزيد من السرور والغبطة تلقيت كتابكم المؤرخ في ١٩ شوال وطالعته بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطتنا الاساسية أعني نقطة الحدود .

وأرى من الضروري أن أؤكد لسعادتكم اخلاصنا نحو بريطانيا العظمى واعتقادنا بضرورة تفضيلها على الجميع في كل الشؤون وفي أي شكل وفي أية ظروف ويجب أن أؤكد لكم أيضاً أن مصالح اتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم .

ويعذرني فخامة المندوب اذا قلت بصراحة ، ان « البرودة » و « التردد » اللذين ضمنهما كتابه فيما يتعلق بالحدود وقوله أن البحث في هذه الشؤون انما هو اضاعة للوقت ، وان تلك الاراضي لا تزال بيد الحكومة التي تحكمها . . . ويعذرني فخامته اذا قلت أن هذا كله يدل على عدم الرضا ، أو على النفور على شيء من هذا القبيل .

فان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد نتمكن من ارضائه ، ومفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطالب شعب يعتقد أن حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد .

وهذا ما جعل الشعب يعتقد أنه من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ويعلقون عليها كل الآمال وهي بريطانيا العظمى .

واذا اجمع هؤلاء على ذلك فانما يجمعون عليه في سبيل الصالح المشترك . وهم يرون أنه من الضروري جداً أن يتم تنظيم الاراضي المجزأة ، ليعرفوا على أي أساس يؤسسون حياتهم كي لا تعارضهم انكلترا أو احدى حليفاتها في هذا الموضوع مما يؤدي الى نتيجة معاكسة ، الامر الذي حرمه الله .

وفوق هذا فان العرب لم يطلبوا - في تلك الحدود - مناطق يقطنها شعب أجنبي بل هي عبارة عن كليات وألقاب يطلقونها عليها .

أما الخلافة فان الله يرضى عنها ، ويسر الناس بها .

وأنا على ثقة يا صاحب الفخامة ، أنكم لا تشكون قط بأني لست أنا شخصياً الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا ، بل هي مقترحات شعب بأسره ، يعتقد بأنها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية .

أوليس هذا صحيحا يا فخامة الوزير ؟

وبالاختصار فاننا ثابتون في اخلاصنا نصرح بكل تأكيد بتفضيلنا لكم على الجميع أكنتم راضين عنا - كما قيل - أو غاضبين .

أما ما يتعلق في قولكم بأن قسماً من شعبنا لا يزال يبذل جهده في سبيل تأمين مصالح الأتراك ، فلا أظن أن هذا يبرر « البرودة » و « التردد » اللذين شعرت بهما في كتابكم فيما يتعلق بموضوع الحدود ، الموضوع الذي لا اعتقد ان رجلاً مثلكم ثاقب الرأي ينكر أنه ضروري لحياتنا الادبية والمادية .

وأنا حتى الساعة لا أزال أنفذ ما تأمر به الديانة الاسلامية في كل عمل أقوم به ، وأراه مفيداً وصالحاً لبقية المملكة ، واني سأستمر في هذا الى أن يأمر الله في غير ذلك .

وأود هنا يا صاحب الفخامة أن أؤكد لكم بصراحة أن كل الشعب - ومن جملته هؤلاء الذين تقولون أنهم يعملون لصالح تركيا وألمانيا - ينتظر بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات المتوقفة على موافقتكم أو رفضكم قضية الحدود ، وقضية المحافظة على ديانتهم ، وحمايتهم من كل أذى أو خطر .

وكل ما تجده الحكومة البريطانية موافقاً لسياستها ، في هذا الموضوع ، فما عليها الا أن تعلمنا به وان تدلنا على الطريق التي يجب أن نسلكها .

ولذلك نرى أن من واجبنا أن نؤكد لكم أننا سنطلب اليكم في أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها .

ولست أرى حاجة هنا لأن ألفت نظركم إلى أن خطتنا هي أخطر على مصالح انكلترا من خطة انكلترا على مصالحنا ، ونعتقد أن وجود هؤلاء الجيران في المستقبل سيقلق أفكارنا كما يقلق أفكارها .

وفوق هذا فان الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء وقد يضطرونا لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة ، تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة .

وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة .

وأنا اصرح بهذا رغم اني اعتقد وأومن بالتعهدات التي قطعتموها في كتابكم .

ويستطيع معالي الوزير ، وحكومته أن يثقا كل الثقة بأننا لا نزال عند قولنا وعزيمتنا وتعهداتنا التي عرفها مستر ستورز منذ عامين .

ونحن ننتظر اليوم الفرصة السانحة التي تناسب موقفنا ، وخاصة فيما يتعلق بالحركة التي أضحت قريبة والتي يدفعها الينا القدر بسرعة ووضوح ، لنكون حجة ـ نحن والذين يرون رأينا ـ في العمل ضد تركيا ، ودون ان تتعرض للوم والنقد .

واعتقد أن قولكم « بأن بريطانيا لا تحثكم ولا تدفعكم للاسراع في حركتكم مخافة أن يؤدي هذا التسرع الى تصديع نجاحكم » لا يحتاج الى ايضاح . . الا فيما يتعلق بمطالبكم بالاسلحة والذخائر عند الحاجة .

اعتقد الآن أن في هذا الكفاية . . .

***

المصدر: العماد مصطفى طلاس: المرجع السابق، ص 399.

لملحق رقم (4): منشور الشريف حسين للضباط العرب في الجيش العثماني.

منشور الشريف حسين
الذي ألقته الطائرات الإنكليزية على الفلسطينيين ١٩١٧م

الجيش الانكليزي في فلسطين

وهذا هو المنشور:

الى جميع العـــرب

وسواهم من الضباط والرجال الموجودين في الجيش العثماني

سمعنا بمزيد الأسف انكم تحاربوننا نحن الذين نجاهد في سبيل المحافظة على أحكام الدين الاسلامي الشريف من التغيير والتحريف، ولتحرير العرب قاطبة من حكم الاتراك. ونحن نعتقد ان الحقيقة الخالصة لم تصل اليكم، لذلك أرسلنا لكم هذا الاشعار ممهوراً بمهرنا لنؤكد لكم اننا نحارب لأجل غايتين شريفتين وهما حفظ الدين وحرية العرب عامة.

لقد أرسلنا الأوامر المشددة الى عموم رؤساء ورجال قبائلنا بأنه اذا أسرت جيوشنا اي واحد منكم يجب ان يعاملوكم بالحسنى و يرسلوكم الى أولادي حيث يرحبون بكم ويحسنون وفادتكم.

لقد كانت المملكة العربية مستعبدة تحت سلطة الاتراك مدة طويلة فقتلوا من قتلوا من اخوانكم وصلبوا من صلبوا من رجالكم ونفوا نساءكم وعيالكم بعد تحريف دينكم، فكيف تطيقون الصبر بعد ذلك، وتتحملون عناء الاستمرار معهم وترضون بمعاونتهم ؟!

هلموا للانضمام الينا، نحن الذين نجاهد لأجل الدين وحرية العرب حتى تصبح المملكة العربية كما كانت في عهد اسلافكم ان شاء الله تعالى، والله الهادي الى سواء السبيل.

شريف مكة المكرمة وأميرها
وملك البلاد العربية
(الختم) حسين بن علي

المصدر: موفق بني المرجه: المرجع السابق، ص 435.

الخرائط

الملحق رقم (05): التقسيمات الإدارية تحت الإدارة العثمانية.

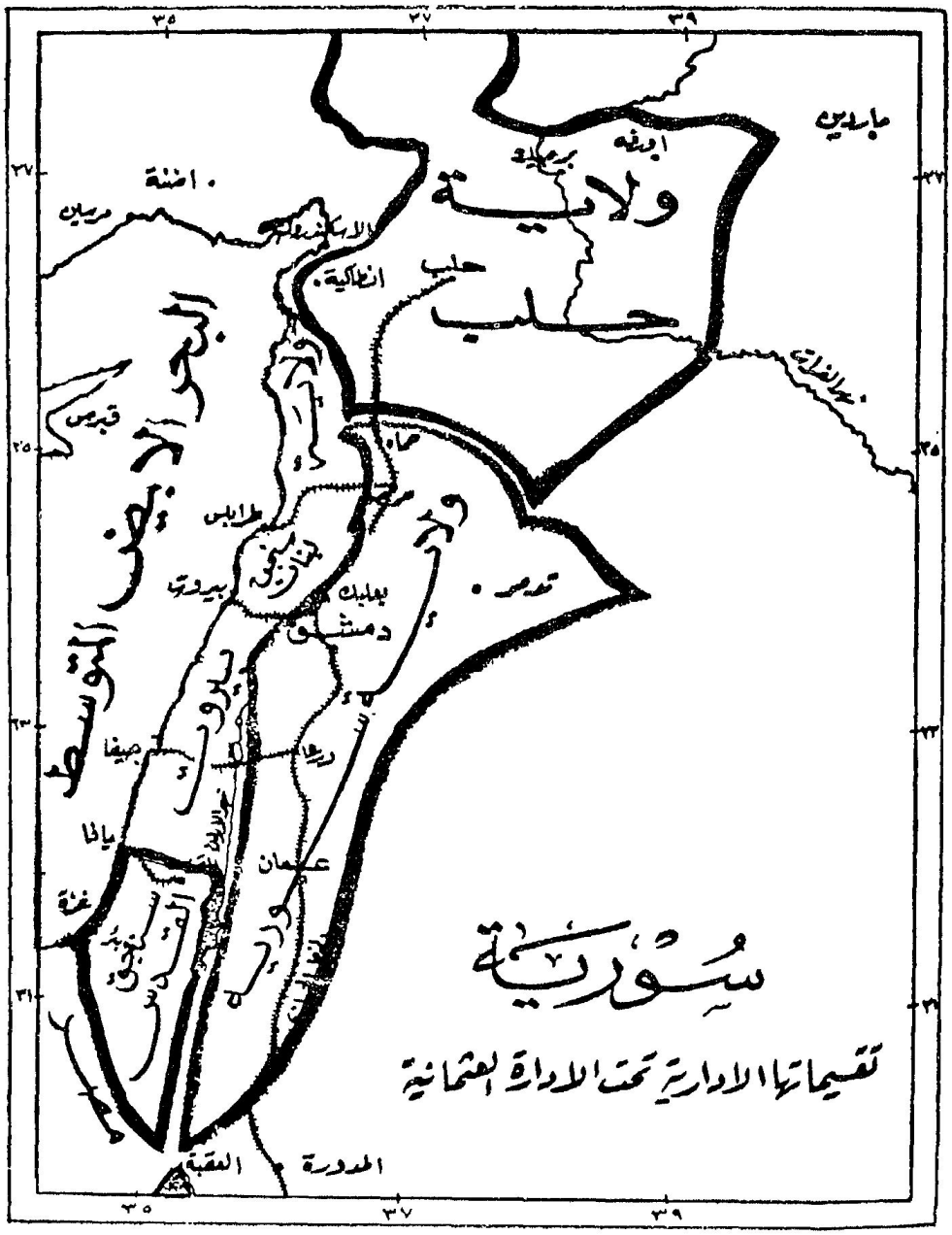

المصدر: أحمد طربين: المرجع السابق، ص 645.

الملحق رقم (06): خريطة تبين سير حملة إبراهيم باشا على بلاد الشام.

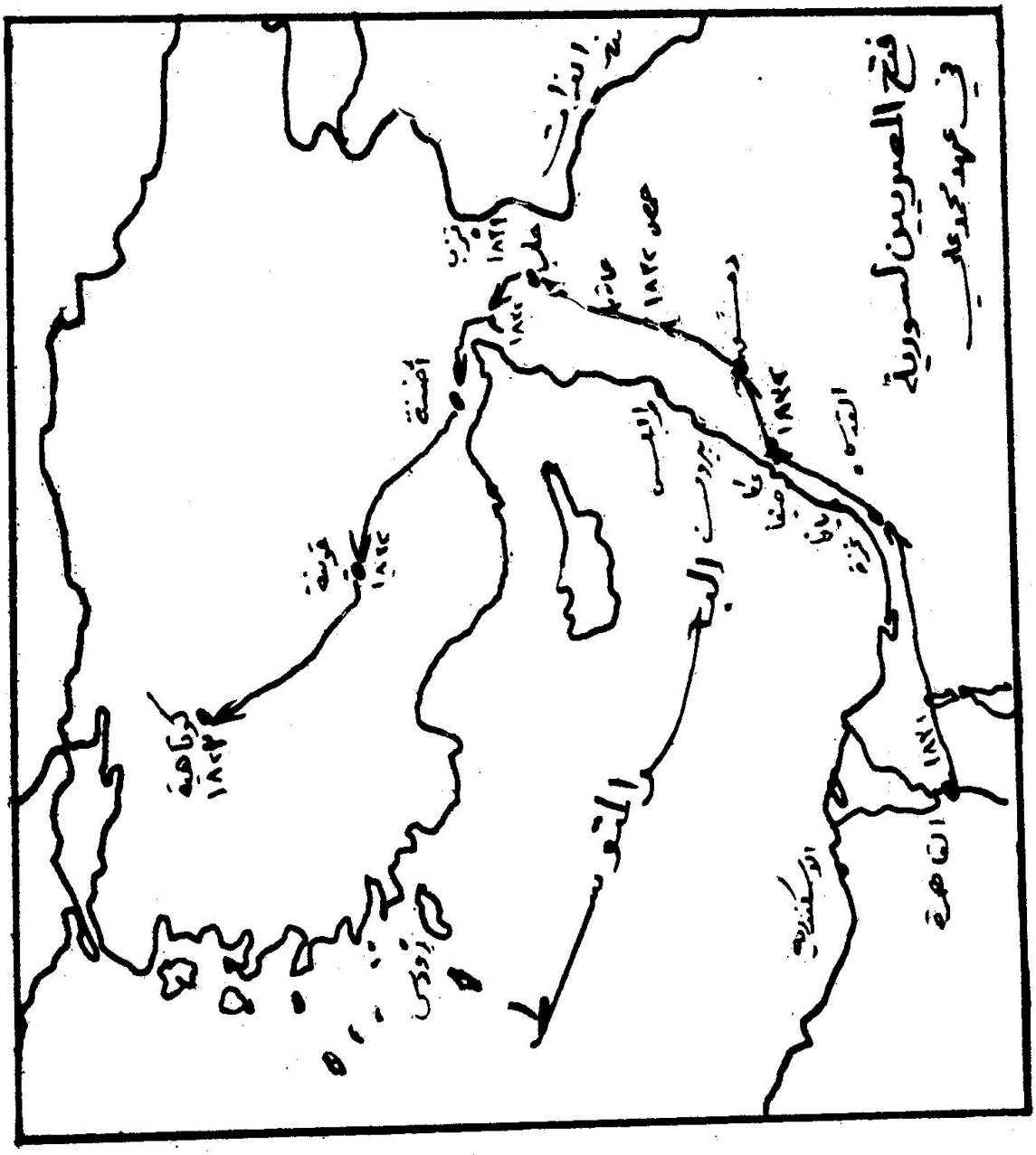

المصدر: مؤلف مجهول:مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سوريا، المصدر السابق، ص 6.

الملحق رقم (7): خريطة التوزيع الطائفي في لبنان.

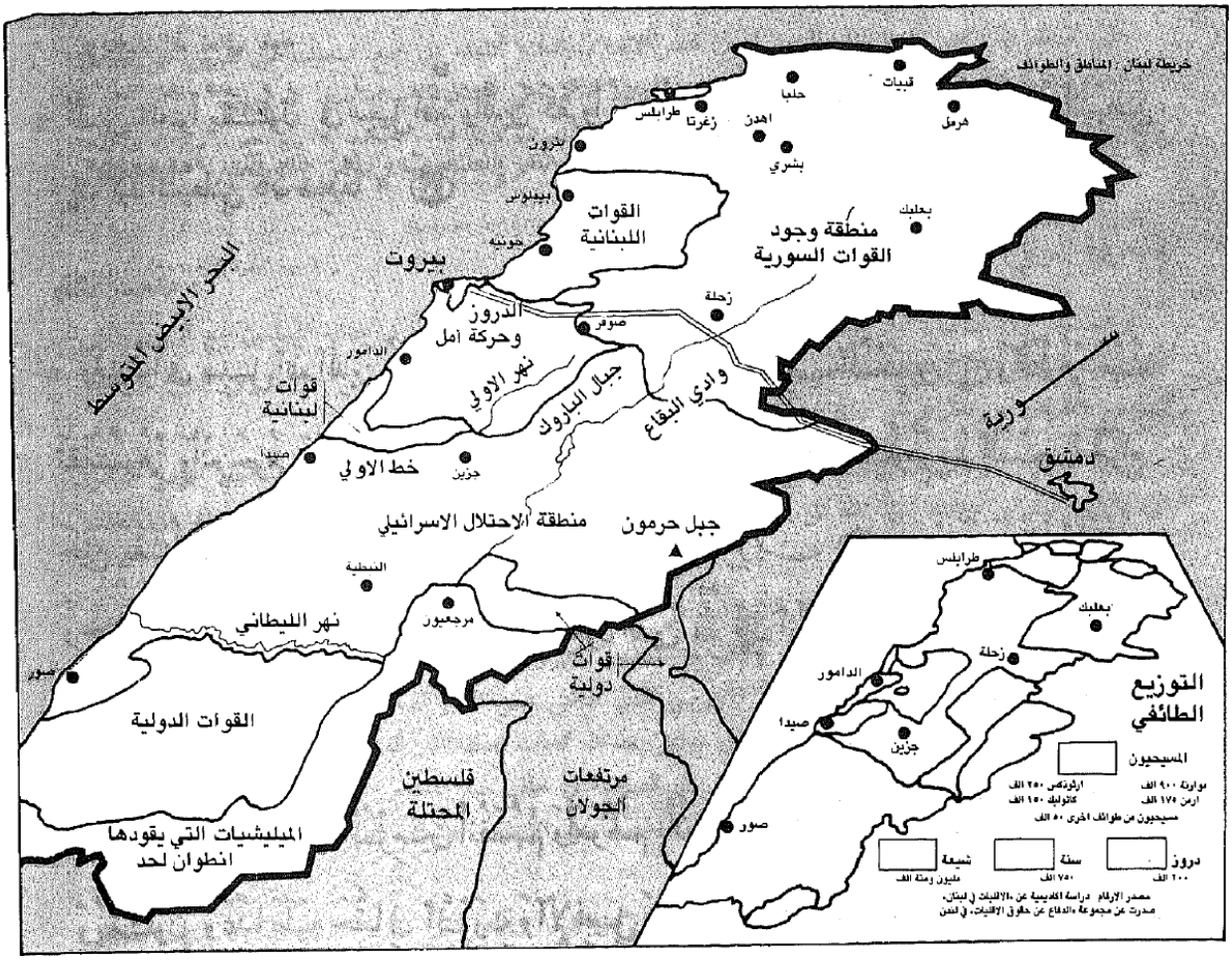

المصدر: موفق بني المرجه: المرجع السابق، ص 180.

الملحق رقم (8): خريطة إقتسام البلدان العربية وفقا لاتفاقية سايكس بيكو

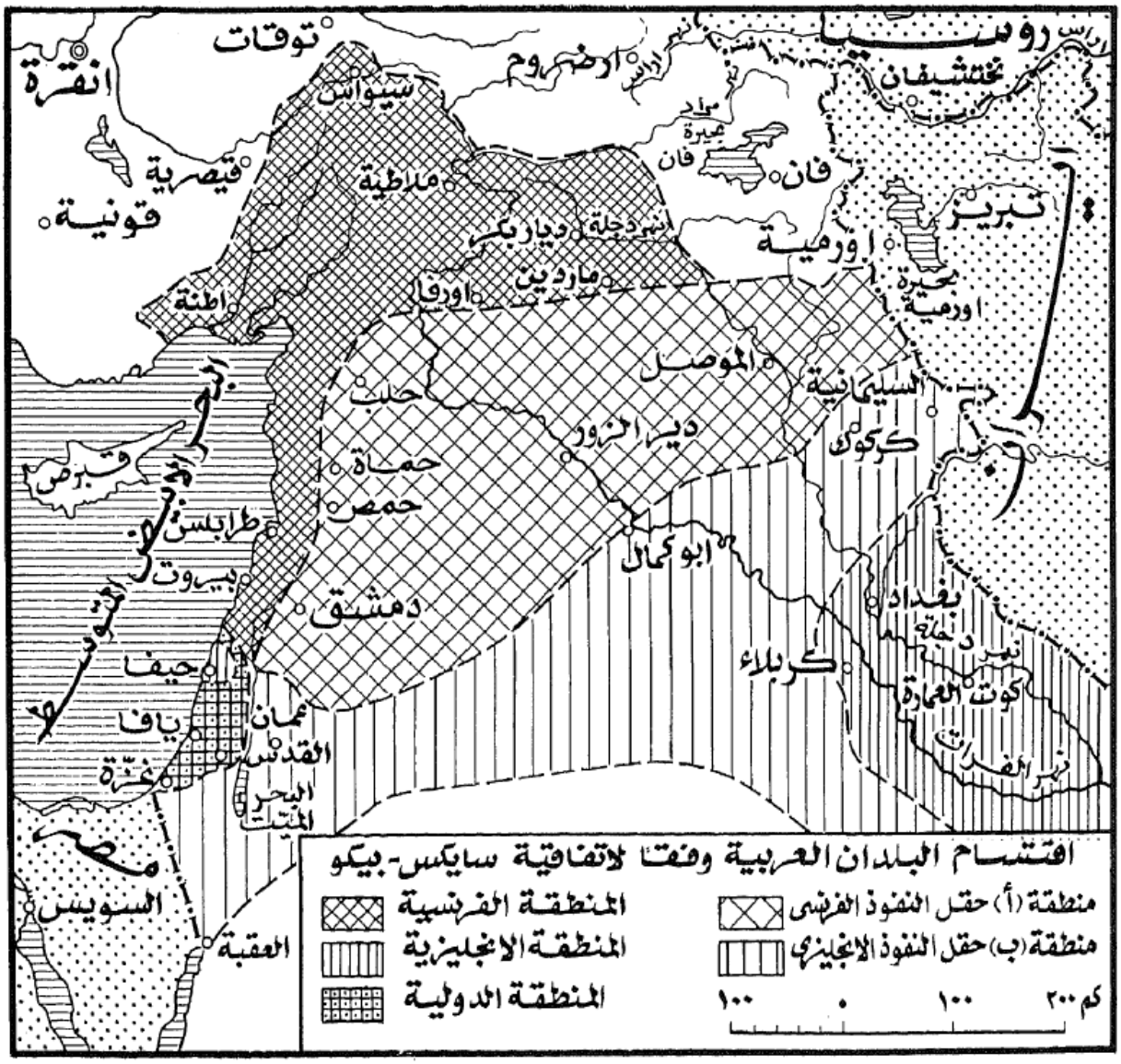

المصدر: موفق بني المرجه: المرجع السابق، ص 330.

الملحق رقم (9): خريطة مسار الثورة العربية

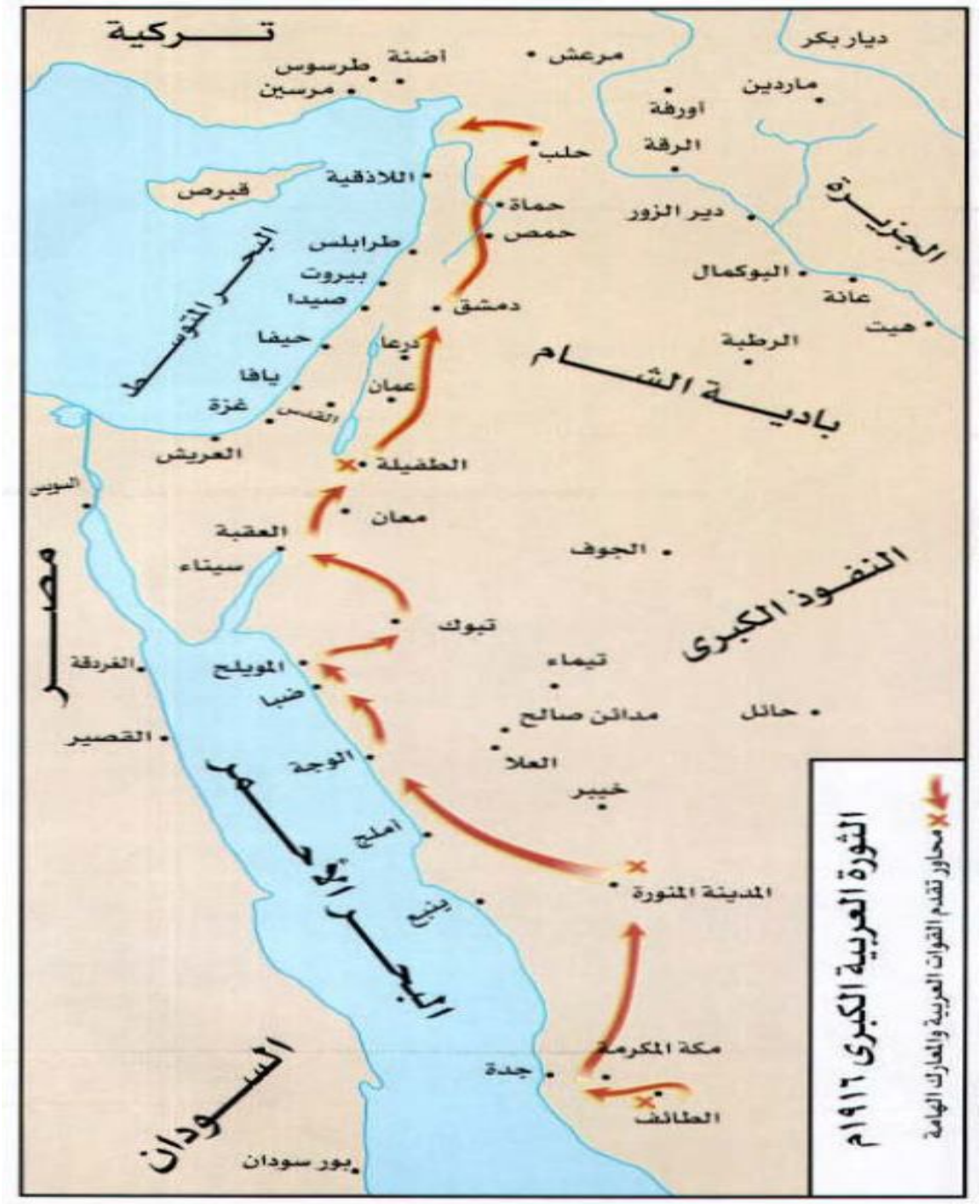

المصدر: شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص 138.

الصور

الملحق رقم (10): جامعة القديس يوسف الجامعة اليسوعية (الفرنسية في بيروت).

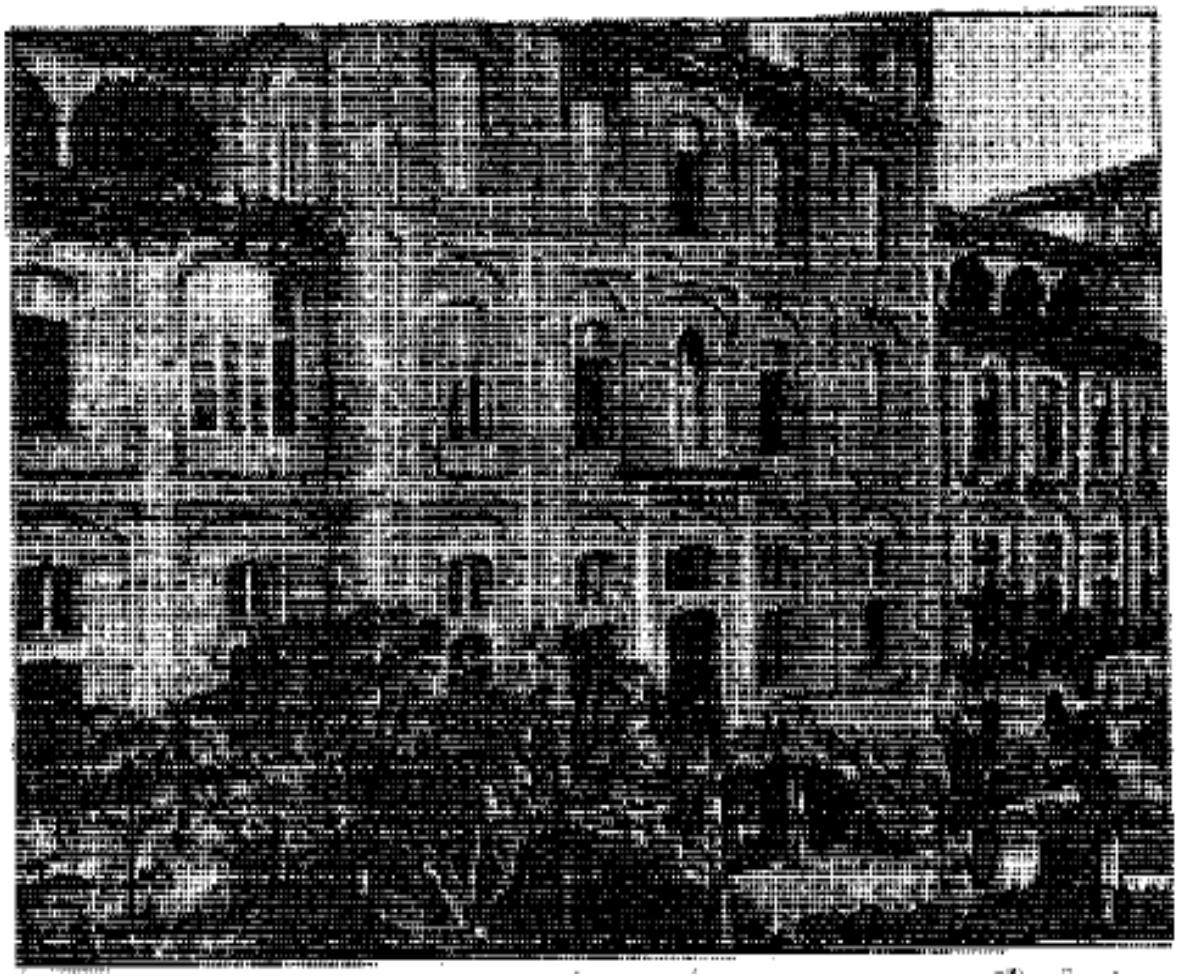

المصدر: موفق بني المرجه: المرجع السابق، ص 169.

الملحق رقم (11): المطبعة الكاثوليكية بلبنان.

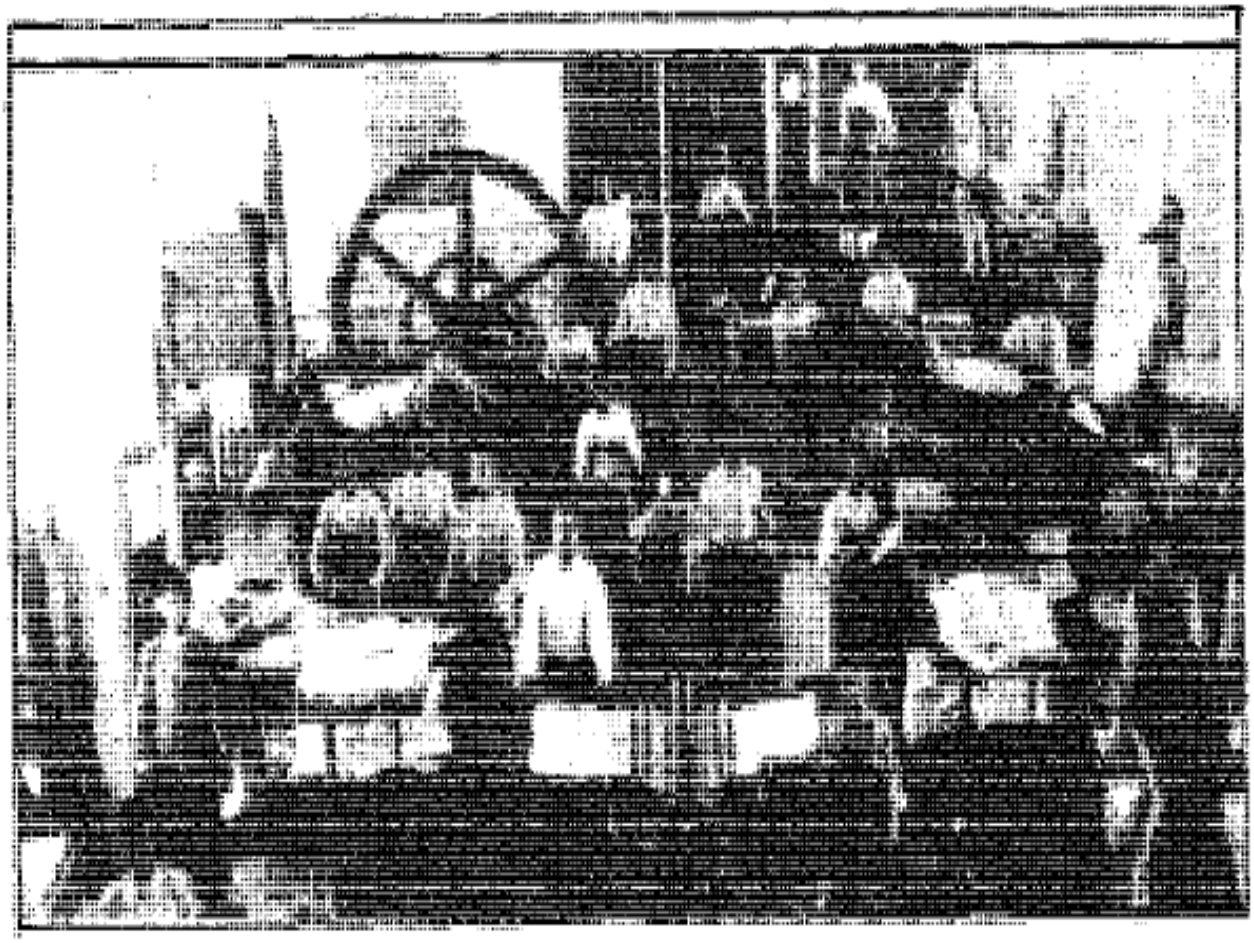

المصدر: موفق بني المرجه:المرجع السابق، ص 169.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا المصادر:

1- آصاف حضرة يوسف بك : صفحات من تاريخ مصر تاريخ سلاطين بن عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم محمد زينهم محمد عراب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.

2- أنطونيوس جورج : يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة: ناصف الدين الأسد، إحسان عباس، ط3، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، لبنان، 1987م

3- الحصري ساطع : ما هي القومية، أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، د ط، د د.ن، د م، د ت.

4- زيدان جرحي : تراجم ومشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، ط1، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، مصر، 2011.

5- لويل توماس: مغامرات مع لورنس أثناء الثورة العربية الكبرى 1916- 1918، ترجمة أحمد إيبش، ط1، دار الكتب الوطنية للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2013.

6- المحامي محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس للنشر والتوزيع، لبنان، 1986م.

7- مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تحقيق وتقديم أحمد عدنان سبانو، ط1، د.د.ن، د م، د ت.

8- يوجين روجان: العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، ترجمة: محمد إبراهيم الجندي، ط1، هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2011.

ثانيا: المذكرات الشخصية:

1- السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية 1891- 1908، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، 1971.

ثالثا: المراجع:

1- الأحمر الرفيق عبد الإله : دليل العمل القومي العربي المقدم من القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، د ط، مطبوعات القيادة القومية للنشر والتوزيع، د م، 2000م.

2- أبو نهرا جوزيف : المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني، مركز الشرق المسيحي للبحوث والمنشورات، جامعة القديس يوسف، د م، 2013م.

3- أوزدمير حسين : فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني، تر وليد عبد الله القط، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، 2013م.
4- يلماز أوزوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، م1، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988م.
5- أبو بصير صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين، 1368- 1968، د ط،د. د. ن، د م، د ت.
6- أبو زيد بكر بن عبد الله: المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها مخاطرها، ط1، دار ألفا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.
7- برج محمد عبد الرحمان : التاريخ العربي الحديث والمعاصر، ط1، دار التعليم الجامعي للنشر والتعليم، الإسكندرية، 2009م.
8- البعيني حسن آمين: دروز سوريا ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي 1920- 1943، دراسة في تاريخهم السياسي، ط2، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، د م، 1993م.
9- بصري مير: أعلام وطنية وقومية عربية، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع، لندن، 1999م.
10- البطوش بسام عبد السلام: الأردن وفلسطين نظرات في التاريخ المشترك، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2011م.
11- بني المرجه :موفق صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، ط1، مؤسسة صقر الخليج، دار الكويت للصحافة "الأنباء"، الكويت، 1968م.
12- بولس مسعد: الدولة العثمانية في لبنان وسوريا حكم أربعة قرون 1517- 1916، ط1، د .د .ن، د م، د ت.
13- -البيساطي أحمد سعد الدين، التبشير وأثره في البلاد العربية، دار أبو المجد للطباعة بالهرم، د م، 1989م.
14- بيات فاضل : دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، رؤية جديدة في ضوء المصادر والوثائق العثمانية، ط1، دار المدار الإسلامي للنشر والتوزيع، لبنان، 2002م.
15- بيومي زكريا سليمان : العرب بين القومية والإسلام، قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط1، دار القاهرة للنشر والتوزيع، مصر، 2002م.
16- بيهم محمد جميل : العهد المخضرم في سوريا ولبنان 1918- 1922، د ط، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 2000.

17-بيير نور بيرتا : الكواكبي المفكر الثائر إسهام في دراسة الإسلام الحديث، تر علي سلامة، ط2، منشورات دار الآداب، بيروت، 1981م.
18- التميمي عبد الجليل:دراسات في التاريخ العربي العثماني 1453- 1918، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) زغوان، 1994م.
19- جبارة تيسير : تاريخ الدولة العثمانية 1280- 1924م، ط1، القدس، 2015م
20- الجبهان محمد بن سلمان:ما يجب أن يعرف المسلم من حقائق عن التبشير والنصرانية، الرياض، 1976م.
21- جكيب محمد : أشواق النهضة والإنبعاث قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2013.
22- الحسن عيسى : الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الإنهيار، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2009م.
23- حلاق حسان : تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 2000م.
24- الحميدي سعد تامر: الصراع بين القوميتين العربية والتركية وأثره في انهيار الدولة العثمانية في الربع الأول من القرن العشرين، ط1، الناشر الدوحة، دار الحديث، لبنان، 2011.
25- -الحوالي سفر بن عبد الرحمان :العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة السلامية المعاصرة،ط1،دار الهجرة النشر والتوزيع، دم، دت.
26- 5-الخالدي محمد فاروق: المؤامرة الكبرى عل بلاد الشام، دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين، ط1، دار الراوي، 2000م.
27- خالدي مصطفى، فروخ عمر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، ط1، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986م.
28- -الخراشي سليمان بن صالح: كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، السعودية، 1420هـ.
29- -خوري فيليب : أعيان المدن والقومية العربية سياسة دمشق 1860- 1920م، تر عفيف الرزاز، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993م.

30- -الخولي حسين صبري : فلسطين بين المؤامرة الصهيونية والاستعمار، د ط، دار التحرير للطبع والنشر، د م، 1968م.
31- -الدهيسات هايل خليفة : القدس تاريخ وحضارة من الكنعانية إلى الرعاية الهاشمية، ط1، كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2011م.
32- -الدوري عبد العزيز : التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986م.
33- -الدوري عبد العزيز: الجذور التاريخية للقومية العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008م.
34- الذقن محمد السيد: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، ط1، د د ن، الإسكندرية، 2009م.
35- -رائسي إدريس ناصر: العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، ط1، دار الهادي للنشر والتوزيع، لبنان، 2007م.
36- -راشد زينب عصمت: تاريخ أوروبا الحديث، ج1، ط1، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د ت.
37- -رباعية إبراهيم: شواهد على المكانة العلية للدولة العثمانية وسلاطينها من خلال إتفاقيات الامتيازات العثمانية الفرنسية لعام 242هـ - 1536/ 1084- 1673م، دراسة تحليلية، دط، د. د ن، د م، د ت.
38- -الرشيدات رفيق: فلسطين تاريخيا وعبرة ومصيرا، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، لبنان، 1991م.
39- -زغروت فتحي: من ذخائر التراث الإسلامي، النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، ط1، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، 2009م.
40- -ساباعيسى ميخائيل: لشيخ ناصيف اليازجي 1800- 1870م، د ط، دار المعارف للنشر والتوزيع، بيروت، د ت.
41- -السراحنة جمال حسن أحمد: فلسطين بين الغزو الفكري والإستعمار، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، السعودية، 2008م.
42- -سنو عبد الرؤوف: تطور الإتجاهات الإسلامية في الدولة العثمانية من التنظيمات إلى نهاية عصر السلطان عبد الحميد الثاني، المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.

43- -سعد يوسف: نابليون بونابرت، ط1، دار الشام للنشر والتوزيع، مصر، 1988.
44- -السقار منقذ بن محمود: الإستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية، ط 1، د.د. ن، د م، د ت.
45- -سلمان سلامة عبد المالك: أضواء على التبشير والمبشرين، ط1، دار الأمانة للنشر والتوزيع، مصر، 1994م.
46- -سليمان محمود: السيمات العامة للقرن التاسع عشر في طرابلس، مشروع الإحياء الوثائقي والثقافي في مدينة طرابلس، د ط، د.د.ن، د م، د ت.
47- -سيلشر ليندا: دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تر عمرو الملاح ودنيا الملاح، مراجعة عطاف مارديني، ط1.
48- -الشتري محمد بن ناصر: التنصير في البلاد الإسلامية أهدافه وميادينه، آثاره، ط1، دار الحبيب للنشر والتوزيع، الرياض، 1998م.
49- -شعيب علي عبد الحميد المنعم: التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الفرابي للنشر والتوزيع، لبنان، 2005م.
50- -شريف محمد بديع شفيق غربال:مكتبة الأنجلو مصرية للنشر والطباعة، د م، د ت،.
51- -شلبي عبد الجليل: الإرساليات التبشيرية، كتاب يبحث في نشأة التبشير وتطوره وأشهر الإرساليات التبشيرية ومناهجها، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ت.
52- -الشلق أحمد زكريا: العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1518-1916، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م.
53- -شهاب أسامة يوسف: الإتجاه الإسلامي في نهضة الشريف، دراسة في الفكر السياسي للثورة العربية الكبرى وثائق ونصوص وأسانيد، د ط، دار المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الأردن، 1995م.
54- -شوفالي إلياس: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، 1996م.
55- -الصالح محسن محمد: فلسطين، سلسلة دراسات منهجية، ط1، مطبعة المحلبة للتأليف والترجمة والنشر، ماليزيا، 2002م.
56- -الصالح عبد الرحمان بن عبد الله: التنصير تعريفه، أهدافه، وسائله، المنصرين، ط1، د د ن، د م، د ت.

57- -الصباغ ليلى: الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ط1، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، لبنان، 1409هـ.
58- -صقر جوزيف، قصة وتاريخ الحضارات العربية (1-2) بين الأمس واليوم لبنان من عصور ما قبل التاريخ حتى عهد المتصرفيه، ط1،د.د. ن، د م، د ت.
59- -الصلابي علي محمد محمد: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د م، 2001م.
60- -الطراونة فاطمة: الأهمية الإجتماعية والإقتصادية للقدس العثمانية والتدخل الأوروبي فيها في العصر الحديث والمعاصر، د ط، د. د. ن، د م، د ت
61- -طربين أحمد: تاريخ المشرق العربي المعاصر، ط1، د. د. ن، دمشق، 1986م.
62- -طربين أحمد: التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا؟، ط1، مكتبة دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م.
63- -طنوش محمد سهيل: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس للنشر والتوزيع، لبنان، 2013م.
64- -عبد الوهاب أحمد: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط1، مكتبة وهبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1981م.
65- عتريسي طلال:البعثات اليسوعية مهمة إعداد النخب السياسية في لبنان، دراسة وثائقية تاريخية، ط1، الوكالة العالمية للنشر والتوزيع،دم،1987.
66- -العكيلي آراء جميل صالح: النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين 1831- 1914، ط1، د.د.ن، د م، د ت.
67- -علي محمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام من ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الأموي دراسة سياسية اجتماعية اقتصادية فكرية، عسكرية، ط2، جوهرة الشام للنشر والتوزيع، سوريا، 1997م.
68- -عفاف سيد صبرة الحناوي: مصطفى محمد، حاضر العالم الإسلامي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2013م.
69- -عزام عبد العزيز: القومية العربية، د ط، د.د.ن، د م، د ت.
70- -العماد مصطفى طلاس: الثورة العربية الكبرى، ط4، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1987م.

71- -عمر عبد العزيز عمر: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر 1815- 1919، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، دم، 2000م.
72- -عميرة عبد الرحمان، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وظلال الإستشراق، ط1، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، د ت.
73- -عيسى أحمد عبد العزيز علي: تاريخ العرب الحديث، د ط، مكتبة شبان المعرفة للنشر والتوزيع، د م، 2008م.
74- -عيسى محمد عبد الشفيع: القومية العربية الإطار النظري، المسار التاريخي الأزمنة والتجديد، د ط، دار الأنصار للنشر والتوزيع، دمشق، 2000م.
75- -عيسى عبد الرزاق عبد الرزاق: التنصير الأمريكي في بلاد الشام 1834- 1914، ط1، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، 2005م.
76- -فاروقي ثريا: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ترجمة حاتم الطحاوي، د ط، دار المنار الإسلامي للنشر والتوزيع، د م، د ت.
77- -فلاحة محمد خير: الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، دراسة موضوعية تبين أحوال السلطنة وما كانت عليه من حضارة التزيين وما تلاها من تهور العابثين، د ط، د.د.ن، د م، د ت.
78- -فناد ولينا إيننل ألكسندر: الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن 19، ترجمة أنور محمد إبراهيم، ط1، المجلس الأعلى للثقافة والنشر والتوزيع، د م، 1999م.
79- -قرطاش سمراء أمين: تقرير بعنوان أهداف الإستشراق، ط1، د.د.ن، د م، د ت.
80- -القواز كليب مسعود: المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين 1908- 1918، دراسة تحليلية، د ط، دار المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، دم، دت.
81- -كامل مصطفى :المسالة الشرقية ،ط1،مطبعة الاداب للنشر والتوزيع،مصر،1898.
82- -كساب أكرم: التنصير مفهومه وجذوره، أهدافه أنواعه ووسائله وصولاته، ط1، مركز التنوير الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، دت.
83- -اللهيبي ثروت الحنكاوي: الأطماع الأجنبية في بلاد الشام سوريا تحت الإنتداب الفرنسي نموذجا 1920- 1946، ط1، دار دجلة للنشر والتوزيع، الأردن، 2014م.

84- -لوتسكي:تاريخ الأقطار العربية الحديث، د ط، دار الفرابي للنشر والتوزيع، لبنان، 1985م.
85- -المحافظة علي: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798- 1914، الاتجاهات الدينية السياسية الاجتماعية والعلمية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م.
86- -محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر سلاطين العثمانيين الكبار 1258- 1330/ 1824- 1918م، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، 1990م.
87- -معطي علي: تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي، دراسة في العلاقات العربية التركية 1908- 1918، ط1، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان، 1992م.
88- -مقداد محمود: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، 1992.
89- -مقيل فهمي توفيق محمد: من أعلام الحضارة العربية الإسلامية ورؤى ثقافية وفكرية، ج1، د ط، د.د.ن، د م، د ت.
90- -مانتران روبير:تاريخ الدولة العثمانية، ج2، ترجمة بشير السباعي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م.
91- -منسي محمود حسن صالح: الشرق العربي المعاصر، ط1، د د ن، د م، 1990.
92- -مؤلف مجهول:سويسرا الشرق، حلم لبنان تبدده السياسة، ملف 15-6-2009، قسم الدراسات والأبحاث في دار العرب للنشر والتوزيع، د م، د ت.
93- -مؤلف مجهول: لبنان من عبث الطائفية ومكر المستعمرين إلى حضارة الإسلام المشكلة والحل، ط1، د.د.ن، د م، 2008.
94- -مؤنس حسين: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط1، مطبعة حجازي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1938.
95- هاشم هشام سوادي: تاريخ العرب الحديث 1816- 1918، من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، د م، 2010.
96- -النتشة رفيق شاكر: عبد الحميد الثاني وفلسطين، ط2، السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين، ط3، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، 1991م.

97- -النجار جميل موسى: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد والي مدحت إلى نهاية الحكم العثماني 1869- 1917، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.
98- -النجدي رفع بن عبد الرحمان: الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ط1، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1988.
99- -نصيرات فدوى: المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر 1840- 1918، ألقيت هذه المحاضرة بتاريخ 12-04-2010م، في التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة فيلادلفيا، 2010.
100--هاشم هشام سوادي: تاريخ العرب الحديث 1816- 1918 من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر، 2010.
101--هريدي محمد عبد اللطيف: الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحصار المد الإسلامي عن أوروبا، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.
102--الوذيناني خلف بن دبلان بن خضر: الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام 1327هـ/ 1909م، ط2، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2003.
103--وهيم طالب محمد: مملكة الحجاز (1916- 1925) دراسة في الأوضاع السياسية، ط1، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، د م، 1982.
104--وهيبة حافظ:جزيرة العرب في القرن العشرين، ط1، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، السعودية، 1935.
105--يحي جلال: أوربا في العصور الحديثة، ط1، دار الهيمنة المصرية العامة للكتاب للنشر والتوزيع، مصر، 1891.
106--ياغي إسماعيل أحمد: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، د ت.
107--ياغي إسماعيل أحمد:العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، 1997.
108- -ياسين نادية: الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (أواخر القرن التاسع عشر 1908)، تقديم هاشم صالح التكريتي، ط1، مكتبة عدنان للنشر والتوزيع، سورية، 2014.

رابعا: المذكرات والرسائل والأطروحات الجامعية:

1- أحمد سرير فتيحة حاج بن فطيمة سهيلة: الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية بين الآثار الإيجابية والسلبية 1310هـ/ 1916، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة فارس يحي، المدية، 2014- 2015.

2- بحري فائقة محمد حمزة عبد الصمد: أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1989.

3- بعيو غانية: التنظيمات العثمانية وأثرها على الولايات العربية، الشام والعراق نموذجا، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، ، جامعة الجزائر، 2008- 2009.

4- جمال الدين فردوس بنت حافظ محمد: دور السفراء العثمانيين والفرنسيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية 1203- 1388ه/ 1788- 1909م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أم القرى، السعودية، 2013- 2014.

5- شعيب شيخة بنت صالح بنت محمد: نيابة الأمير فيصل العامة في الحجاز في عهد الملك عبد العزيز 1344- 1373هـ/ 1926- 1953م، دراسة تاريخية حضارية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 2011.

6- الشهري عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان: التبشير في بلاد الشام، لبنان، سوريا، فلسطين، الأردن، رسالة ماجستير:جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، 1404هـ.

7- عبد الرحيم جهان بنت إبراهيم شارعلي: الآثار السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام، 1342- 1359هـ/ 1924- 1939م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2011.

8- غانم سمية: السياسة العثمانية في بلاد الشام، 1876- 1916، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014- 2015.

9- غراب عبد الفتاح إسماعيل: العمل التنصيري في العالم العربي رصد لأهم مراحله التاريخية المعاصرة، رسالة ماجستير، مكتبة البدر للنشر والتوزيع،دم، 200.

10- قادس ثروت: الكتاب المقدس في التاريخ العربي المعاصر، ط1، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللاهوت العملي من لويز قبل أمريكا في الفلسفة، جامعة هيد لبرج، ألمانيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.

11- كمال حسنة:العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789- 1807م، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2005- 2006.
12- المالكي إبراهيم بن مسعود: النشاط التنصيري في منطقة الخليج، أهدافه وأبعاده وسبل مقاومته، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1429هـ.
13- مجاني وفاء: العدوان الثلاثي على مصر 1956، مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر، جامعة بسكرة، 2013- 2014.
14- المجممي محمد بن موسى: التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، دراسة عقدية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب، جامعة الملك فهد، السعودية، 1432- 1433هـ.
15- المضيان ماجد بن صالح: أثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الفترة من (936- 1443هـ/ 1520- 1924)، رسالة ماجستير في العقيدة، 1416هـ- 1995م.
16- ناهي أسماء: بلال أمينة، الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر، 1800- 1830، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة خميس مليانة، 2015- 2016.
17- الخضري أمل عاطف محمد: التنصير في فلسطين غفي العصر الحديث، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2004.
18- ياسين حسن علوان: الثورة الروسية وأثرها على المشرق العربي والإسلامي 1917- 1924، دراسة تاريخية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سانت كليمنتس، بغداد، 2012م.

خامسا: الدوريات:

- **المجلات:**

1- أحمد محمد: الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني (1876-1918) مجلة جامعة، دمشق، المجلد 27، العدد 01- 02، 2011.
2- الجبوري هيثم محي طالب عبد الجبوري زينت حسن:أثر حركة الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 63، العدد 03.
3- ناغاساوا إيجي: مستقبل أنظمة ما بعد الاستعمار في الوطن العربي، مجلة إضافات، ع 31- 32، صيف خريف، 2015، كلية الآداب، جامعة بغداد.

4- النجم نايف عبد نايف: اليهود والامتيازات الأجنبية في بلاد الشام، مجلة آداب الفراهيدي، ع 09 كانون الأول، 2011.

سادسا: الندوات والملتقيات:

1- حيدر العقرباوي مؤيد توفيق عقل: موقف جريدة المستقبل الباريسية من الثورة العربية الكبرى بين عامي (1916- 1919) بحث مقدم للمؤتمر الدولي لمئوية الثورة العربية الكبرى، 1916- 2016، تعقده جامعه آل البيت كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الزرقاء، الأردن، يومي 28- 29 رجب الموافق لـــ 05- 06 أيار، 2016م.

سابعا: الموسوعات القواميس والأطالس:

- **الموسوعات:**

1- شربل كمال موريس: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، 1998.

2- رؤوف سلامة موسى: موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، ج2، ط1، دار ومطابع المستقبل بالفجالة والإسكندرية ومكتبة المعارف، بيروت، 2002.

3- الزيدي مفيد:موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

4- عبد الكافي إسماعيل عبد الفتاح: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي – إنجليزي)، د ط، د د ن، د م، د ت.

5- صابان سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة عبد الرزاق محمد حسين بركات، د ط، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000.

6- الكيالي عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، ج1، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د م.

7- الكيالي عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، ج2، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د م.

8- الكيالي عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، ج3، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د م.

9- الكيالي عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، ج4، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د م.

10- الكيالي عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، ج5، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990.

11- الكيالي عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، ج6، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د م.

- **القواميس:**

1- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور الإفريقي المصري:لسان العرب، مجلد 4، د ط، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، د ت.

- **الأطالس:**

1- أبو خليل شوقي: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط2، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، 2005.

ثامنا: المراجع باللغة الأجنبية:

1- scipion maain. conduit de la France envers la turquie grinbert et popez libriraires. Paris.1840

2- Frederick jones bliss.The religion of Modern Syria and Palastine.N.g 1912.

تاسعا: المواقع الإلكترونية

1- https://ar.wikipedia.org/wiki/

الملخص:

التبشير هو ذلك الغزو الفكري والعقائدي الذي تبنته فرنسا في بلاد الشام ،منتهجة عدة ذرائع لتحريف الدين الاسلامي ،اذ اسهمت تلك الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية لفرنسا في ايجاد موضع قدم لها في المنطقة فضلا عن الحكم المصري في بلاد الشام والاصلاحات الادارية التي انتهجتها الدولة العثمانية في المنطقة ،ساعدت هذه العوامل المبشرين الفرنسيين على استخدام مختلف الوسائل والاساليب لتحقيق مآربها ،وانجر عنه من اثارة للفتن وايقاد الاحقاد وبعث الفكر القومي للقضاء على الدولة العثمانية لفسح المجال امامها .

الكلمات المفتاحية: بلاد الشام، الدولة العثمانية، التبشير، المسيحيون

Abstract

Preeching is the intellectual and ideological invasion that has been adopted by France in the levant using several reasons to spoil islam .the privileges that have been granted by Ottoman empire helped France to find a place in the region in addition to this reason ,the Egyptian ruling in levant as well as the administrative reforms that have been taken by Ottoman Empire in the region,he factors helped the French preechers to use the different means and reasons for achieving their goals.this lead to making teoubles, spreading hatered, And nationalism to defeat the Ottoman Empire in order to make it easier to be there.

Keywords: sham(levant) , the Ottoman Empire, preeching, Christians.